

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 55 NOVEMBER 1981.

العدد (٥٥) ـ محرم ١٤٠٢ هـ السنة الخامسة ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد (٥٥) محرم ١٤٠٢ هـ - السنة الخامسة - تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨١ م

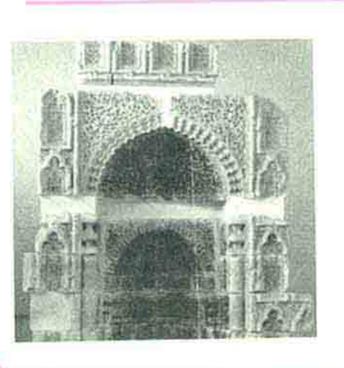
في هذا العدد

★ رسائل النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى ملوك العصر وأمرائه يدعوهم فيها إلى الإسلام.. دراسة شاملة مزودة بالصور ص (٧١) ★

بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم الأريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون



★ ينطوي جسم الإنسان على أسرار غامضة لا يعلمها إلا الله.. ترى هل استطاع العلم أن يحقق شيئا من النجاح؟ سؤال نجد الإجابة عليه في ص (١١٤) ★



★ يعتبر متحف العراق من المتاحف العالمية التي تضم كنوزاً إنسانية تعد من الذخائر.. مع الكلمة والصورة عن المتحف العراقي ص (٤٣) ★



د. محمد عبد القوي زهران

★ من مواليد سمالوط المنيا — مصر عام ١٩٣٨ م.

★ دكتوراه الفلسفة في العلوم (بيئة نباتية).

★ عمل باحثاً بمعهد الصحراء بالقاهرة، فأستاذاً مساعداً لكلية العلوم — جامعة المنصورة، ثم أستاذاً لنفس الكلية.

★ يعمل حالياً أستاذاً للبيئة النباتية — معهد الأرصاد ودراسات المناطق الجافة — جامعة الملك عبد العزيز، جدة — السعودية.

★ حضر عدداً من المؤتمرات المتعلقة بالنبات.

★ له عدد كبير من البحوث العلمية نشرت في المجلات والدوريات العلمية الدولية والعربية.

د. محمد نعمان جلال

★ بكالوريوس علوم سياسية كلية الاقتصاد يونيو (حزيران) ١٩٦٥ م، بتقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف الثانية.

★ ماجستير علوم سياسية كلية الاقتصاد نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤ م، بتقدير جيد جداً.

★ دكتوراه علوم سياسية كلية الاقتصاد أبريل (نيسان) ١٩٨٠ م، بتقدير مرتبة الشرف الأولى.

★ من بحوث ودراسات للمؤلف:

١ — الفكر السياسي عند الفارابي.

٢ — الثقافة والسياسة في الصين.

٣ — الاتجاهات السلمية في المجتمع المصري.



أحمد الوالي العلمي

★ من مواليد فاس بالمغرب، عام ١٩٣٨ م.

★ ماجستير في الأدب واللسانيات.

★ دكتوراه في التربية وعلم النفس التطبيقي.

★ عمل أستاذاً للغة العربية والإنجليزية والفرنسية، ورئيساً لقسم إفريقيا بالإذاعة والتلفزة الوطنية.

★ يعمل الآن أستاذاً محاضراً بجامعة محمد الخامس — الرباط — المغرب، ومعلماً للغة العربية لغير الناطقين بها بمعهد الدراسات والأبحاث والتعريب بجامعة محمد الخامس.

★ من المؤتمرات التي اشترك فيها:

— ندوة تنسيق الأعمال بين مدارس علوم الإعلام في كل من المغرب وتونس والسنغال ١٩٧٦ م.

— الندوة العالمية الأولى لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الرياض ١٩٧٨ م.

— تأليف الكتاب العربي، الرباط ١٩٨٠ م.

★ من مؤلفاته: «مع الإنجليزية كلغة وسيطة» ١٩٦٩ م. «مفاتيح العربية» (٣ أجزاء).

★ له روايتان، ومسرحيتان، وديوان شعر.. جميعهم باللغة الفرنسية.

محمد صهيود النايف

★ من مواليد الصويرة بالعراق ١٩٥٢ م.

★ تلقى تعليمه بجامعة بغداد.

★ يحمل بكالوريوس آداب (لغة عربية) وبكالوريوس شريعة وقانون.

★ تخصصه اللغة العربية وعلومها ويحضر حالياً للماجستير في الأدب العربي.

★ عمل مدرس لغة عربية ومسؤول اللجنة الأدبية / فرع واسط بالعراق، **وحالياً** أمين سر محكمة أبو ظبي.

★ قام برحلات إلى دول الخليج، فرنسا إيطاليا، مصر، سورية وتركيا.

★ اشترك في معظم المهرجانات القطرية والمؤتمرات التي عقدت في بغداد والموصل والبصرة وحصل على الجائزة في المهرجان القطري عام ١٩٧٦ م، الذي عقد في شمال العراق في مدينة كركوك.

★ مؤلفاته: ديوان «شواطئ وعيون» وقطرات مطر (تحت الطبع)، وأوبريت (طائر الفرح) يخرج الآن تلفزيونياً وأوبريت (النورس) أخرج إذاعياً عام ١٩٨٠ م.

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا، والله الموفق **



- «جامعة إسلامية» في العراق.
- جائزتان علميتان جديدتان في القاهرة.
- جائزة أدبية في مصر باسم الشاعر صلاح عبد الصبور.
- ندوة الفكر الإسلامي في الجزائر.
- «أبحاث اليرموك» في الأردن و «استراتيجيا» في لبنان مجلتان جديدتان.
- معرض للكتاب السعودي في تونس.



- وفاة جاك لاكان مؤسس مدرسة فرويد، وبول كولار عالم الآثار السويسري.
- «أثر الصحف في الحياة الثقافية» موضوع ندوة أقيمت في باريس.
- العثور على مسجد أثري في روسيا، وبقايا أسطول «قوبلاي خان» في اليابان.
- وفاة عالمين حاصلين على جائزة نوبل في الفيزياء والكيمياء.
- موسوعة عن الآثار تصدرها جامعة كمبردج.



إحصاءات التعليم في المملكة ٩٨/ ١٣٩٩ هـ

ضمن اهتمامات **وزارة المعارف** بالتعليم ، فقد أصدر مركز المعلومات الإحصائية والتوثيق التربوي بالتعاون مع **رئاسة تعليم البنات ووزارة التعليم العالي** ، مجلداً جديداً يمثل إحصائية التعليم ومدى تطوره خلال الفترة ٩٨/ ١٣٩٩ هـ ، للبنين والبنات في مختلف المراحل ، بداية بالروضة ونهاية بالجامعات التي تشرف عليها وزارة التعليم العالي ، مزوداً بالجداول والبيانات الإحصائية .

* كتب جديدة *

● « **بين ظلمات المجهول** » ، تأليف **الدكتور التجاني الشيخ شبور** ، صدر عن **دار العلوم بالرياض** .

● « **لغة الإعلام اليوم بين الالتزام والتفريط** » ، تأليف **الدكتور إبراهيم درديري** ، صدر عن **دار العلوم بالرياض** .

● « **رحلة إلى جزر مالديف** ـ إحدى عجائب الدنيا » ، تأليف **محمد ناصر العبودي** ، صدر عن **دار العلوم بالرياض** .

● « **أصول التربية الإسلامية** مقارنة مع نظريات التربية » ، تأليف **سعد عبد الله الجنيدل** ، صدر عن **دار العلوم بالرياض** .

● « **حكم وأحكام من السيرة النبوية** » ، تأليف **الشيخ عبد الله عبد الغني خياط** ، صدر عن **دار الرفاعي بالرياض** وضمن سلسلتها « **المصابيح** » .

● « **فهرس مخطوطات جامعة الرياض ـ الحديث وعلومه** » ، المجلد الرابع ، صدر عن **عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض** .

● « **الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي** ـ أصوله ، قضاياه » ، تأليف **الدكتور سعد أبو الرضا** ، صدر عن **مكتبة المعارف بالرياض** .

● « **التصور اللغوي عند الأصوليين** » ، تأليف **الدكتور السيّد أحمد عبد الغفار** ، صدر عن **دار عكاظ للطباعة والنشر بجدة** .

● « **خطوط وكلمات** » ، تأليف **علي الخرجي** ، صدر عن **إدارة النشر بتهامة** .

● « **المملكة العربية السعودية والمنظمات الدولية** » ، تأليف **الدكتور عبد الله القباع** ، صدر عن **دار عكاظ للنشر والتوزيع** .



أبحاث اليرموك

ذلك هو **عنوان المجلة التي ستصدرها (جامعة اليرموك) بدمشق** ، وهي **مجلة فصلية** تهتم بنشر **الدراسات الأدبية واللغوية** ، وسيرأس تحرير هذه المجلة **الدكتور محمود الغول** .



إنشاء جامعة إسلامية

تقرر في العراق إنشاء « **الجامعة الإسلامية** » وهي جامعة جديدة ترتبط بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، وستنشأ على أسس حديثة بحيث تشمل مختلف الدراسات العلمية إضافة إلى الدراسات الإنسانية ، كما ستعنى بشكل خاص بدراسة التراث العربي والإسلامي وفلسفة الفكر العربي ، وستتكون الجامعة مبدئياً من الكليات التالية :

★ كلية للشريعة والقانون .
★ كلية للغة العربية وأصولها بأقسامها المختلفة .
★ كلية لأصول الدين بأقسامها المختلفة .
★ كلية للهندسة بأقسامها المختلفة .
★ كلية للعلوم بأقسامها المختلفة .

فهرس تحليلي للمخطوطات

صدر عن **وزارة الإعلام العراقية** مؤخراً فهرس تحليلي لمخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة التي تضمها **مكتبة « المتحف العراقي »** ، أعده أسامة النقشبندي ، تضمن الفهرس وصفاً دقيقاً للكثير من المخطوطات الهامة ويكشف عن مجموعة نادرة وفريدة من تلك المخطوطات التي تمتلكها مكتبة المتحف وتعود لفترات زمنية مختلفة .

كلمة

منظمة إسلامية للمعوقين
دعوة صادقة موجهة للمملكة العربية السعودية

في الندوة المنشورة في هذا العدد عن «المعوقين» بمناسبة العام الدولي للمعوقين الذي دعت إليه الأمم المتحدة، والذي تبنّت هذه المجلة تغطيته من خلال الدراسات المختلفة، واللقاءات والندوات التي أجرتها مع المختصين عن مشكلات المعوقين علماء ومسؤولين.. كما تبنّت واهتمت بعام الطفل الدولي الذي استمرت خلال العام في نشر مجموعة من الدراسات، وعرض الكتب العلمية والتراثية إلى جانب نشر مجموعة من اللوحات الفنية، وإجراء لقاءات وندوات مع المهتمين بشؤون الطفل والطفولة في العالم، كما تهتم حالياً بتغطية القرن الخامس عشر الهجري بما تقدمه من دراسات وأبحاث عن الحضارة الإسلامية ومعطياتها، وتأثيراتها على غيرها من الحضارات، والخصائص التي تتميز بها.

ومجلة «**الفيصل**» بهذه الاهتمامات تؤدي رسالتها الكبيرة الملقاة على عاتقها كوسيلة إعلامية تنتشر في كل الوطن العربي إلى جانب بعض الدول الآسيوية والأوروبية، وكقناة ثقافية تسهم في إيجاد قاعدة ثقافية عربية إسلامية يمكن من خلالها رسم مسار معاصر يعنى بالحق، وينشد الصدق.

قلنا في الندوة التي أشرنا إليها في بداية هذا الموضوع، طرح أحد الأعضاء المشتركين في الندوة فكرة إنشاء «منظمة إسلامية للمعوقين» انطلاقاً من المبادئ النبيلة، والأهداف السامية، والقواعد الكريمة التي ينص عليها بالدعوة إلى التوادد والتعاطف والتراحم، والتكافل الاجتماعي داخل المجتمعات الإنسانية لتحقيق الأمن والأمان لكل إنسان، وهذه الأمور يسبق بها الإسلام كل النظم والقوانين الوضعية القاصرة عن الإحاطة بأحوال وحاجات الإنسان، وقد دعا إليها قبل أربعة عشر قرناً، أي قبل أن تعرف القوانين الوضعية هذه المبادئ الكريمة، وقبل أن تظهر الأمم المتحدة، وكل المنظمات العالمية على ظهر الوجود.

والإسلام كدين عالمي جاء لهداية البشرية كلها على اختلاف أجناسها وألوانها، ولغاتها وبيئاتها، أولى بأن تتبنى دوله منظمة إنسانية تعنى بحاجات وأحوال فئة مغلوب على أمرها، فئة تستحق الرعاية والحنان والعطاء المالي والنفسي.

ومجلة «**الفيصل**» يسعدها أن تدعو إلى إنشاء منظمة إسلامية للمعوقين، على أن تكون منظمة عالمية مستقلة لا تتحكم فيها الأهواء، ولا تخضع لتيارات السياسة، والمتغيرات المختلفة.

والمملكة العربية السعودية بما حباها الله من تكريم لوجود قبلة ملايين المسلمين (الكعبة المشرفة) في أراضيها المقدسة التي انطلقت منها جحافل المسلمين لنشر العدل والحرية والحضارة في العالم الإنساني، هذه الأرض أحق من غيرها أن تتبنى إنشاء هذه المؤسسة، وتهيئ لها المناخ المناسب مالياً ونفسياً وإعلامياً ودولياً بمساعدة الدول الإسلامية والعربية، ولا أحد ينكر الدور الريادي الذي قامت ــ وتقوم ــ به المملكة العربية السعودية لتقديم العون لكل بلد أصيب بكارثة طبيعية أو مرضية، أو اقتصادية، كما لا ينكر دورها في رعاية المؤسسات الخيرية ومساعدتها لتحقيق أهدافها السامية في الداخل والخارج.

إن تبني المملكة العربية السعودية لفكرة إنشاء منظمة إسلامية عالمية، سوف يضيف إلى تاريخها الكبير صفحة مشرقة سوف تبقى ما بقي الخير على الأرض.

ولنا الأمل الكبير في أن تجد دعوتنا صداها لدى المسؤولين في المملكة العربية السعودية وعلى رأسهم الملك المسلم خالد بن عبد العزيز، وأخيه صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد.

ومجلة «**الفيصل**» سوف ترفع هذه القضية للمقام السامي رغبة منها في التعاون لإنجاح الفكرة انطلاقاً من إيمانها بأن رسالتها لا تتوقف عند إبداء الرأي.. والله من وراء القصد.. ومنه نستمد العون جميعاً.. وهو الهادي إلى سواء السبيل.

علوي طه الصافي

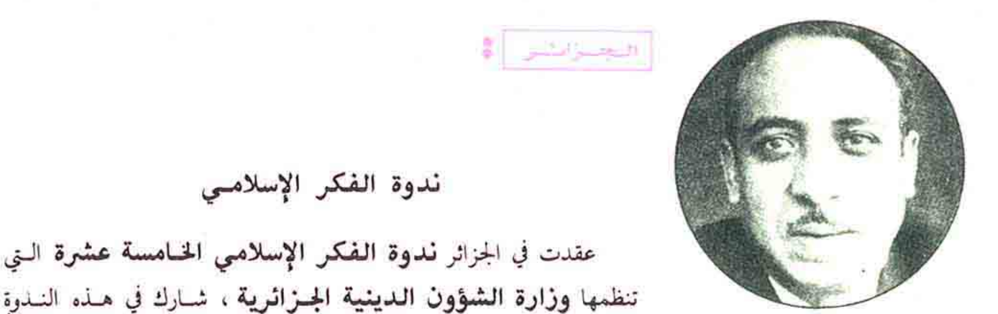
مصر

حفل أدبي

أقام **نادي القصة** بالقاهرة حفلاً أدبياً خاصاً في ذكرى الكاتب الراحل (**د. محمد حسين هيكل**) **صاحب أول رواية مصرية «زينب»**، حضر الحفل عدد كبير من رجال الأدب والصحافة والإعلام أمثال الدكتور عبد العزيز شرف، وجلال العشري، ويحيى حقي، ومحمود البدوي.

جائزة أدبية

قرر **اتحاد الكتّاب المصريين** إنشاء جائزة أدبية باسم **الشاعر الراحل «صلاح عبد الصبور»** تمنح سنوياً **لصاحب أحسن ديوان شعر يلاقي قبولا جماهيرياً ونقدياً وذلك تخليداً للشاعر الذي يُعد من روّاد الشعر الحديث.**



★ صلاح عبد الصبور ★

جائزتان لذوي الابتكارات الجديدة

تشجيعاً للعلماء فقد **قررت أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة إنشاء جائزتين** جديدتين تمنحان سنوياً لاثنين من العلماء المصريين الذين **يتقدمون بأحسن ابتكار لجهاز تنمية الابتكارات والاختراعات التابع للأكاديمية** ويثبت صلاحيتها ، وأنه يمكن الاستفادة من هذا الابتكار محلياً ويساهم في حل مشكلة قومية تعاني منها البلاد ، **وستكون الجوائز على مستوى جوائز الدولة** في العلوم من الناحية المادية ويتم تسليمها مع تلك الجوائز .

الجزائر

ندوة الفكر الإسلامي

عقدت في الجزائر **ندوة الفكر الإسلامي الخامسة عشرة** التي تنظمها **وزارة الشؤون الدينية الجزائرية** ، شارك في هذه الندوة مجموعة كبيرة من الفقهاء وكبار المفكرين في الدول العربية والإسلامية ، وقد نوقش في هذه الندوة التي استمرت أسبوعاً إمكانية تدعيم الأخذ بتعاليم القرآن الرئيسية في مجالات التربية والتعليم والثقافة .

* كتب جديدة *

- « **فن المقامات في الأدب العربي** » ، تأليف **الدكتور عبد المالك مرتضاض** ، صدر في **الجزائر** .
- « **النساء الجزائريات** » ، تأليف **الدكتورة هيلاند فاندفيلا** ، صدر في **الجزائر** ، وهو موضوع أطروحة للدكتوراة .

الزاوية الطبية

الإيمان .. والانتحار

الانتحار إثم كبير بلا شك ، وتمرد جاهل على نعمة الحياة الكبرى التي وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان ، وقد كانت الطرق الطبية السابقة تستدعي تحويل جميع الأشخاص الذين حاولوا الانتحار للأطباء النفسانيين ، لمحاولة علاجهم على أساس أن محاولي الانتحار (حسب النظرة الغربية السائدة) هم في الغالب مرضى نفسانيين فحسب ، ويجب علاجهم على هذا الأساس كمرضى عاديين مصابين بأي مرض آخر .

ولكن الإحصائيات والدلائل الطبية الأخيرة بينت أن معظم محاولي الانتحار يكونون من الأشخاص ضعيفي الإيمان ، وغير القادرين على حل مشاكل اجتماعية كثيبة كانوا عرضة لها ، وأنهم — في واقع الأمر — ليسوا مرضى نفسياً ، ولذلك اتجهت الآراء إلى عدم استشارة أخصائيين نفسانيين بقدر الاعتماد على المربين والمصلحين الاجتماعيين .

وقد جرت في إحدى الجامعات الغربية الكبرى محاولة جادة لتكوين فرق من **الباحثين الاجتماعيين** ، وبعض الأفراد المهتمين بالمسائل الاجتماعية مع وجود بعض الممرضات أو الممرضين المدربين يرأسهم طبيب عام متمرس ، وتتلق هذه الفرق التدريب الكامل لمواجهة مثل هذه الحوادث ، إذ يدرسون مرض **الاكتئاب النفسي** ، ويطلعون على حالات مرضية لمصابين بالاكتئاب ويستمعون إلى مسجلات لأصوات هؤلاء المرضى .

وهكذا تكون الفرق المذكورة مستعدة لمقابلة محاولي الانتحار وإقناعهم بخطأ محاولاتهم ، ثم إعداد تقارير عنهم وتدوين هذه التقارير في سجلات خاصة وتحويل بعضهم إلى **طبيب العائلة أو عيادة الأخصائي النفسي** لمواصلة العلاج .

لقد اتضح من هذه الطريقة نجاح المحاولة ، وقلة مراجعة المرضى محاولي الانتحار ، وقلة انشغال الأخصائيين النفسيين بمثل هؤلاء المرضى . كما أن الطريقة — وهذا هو الأهم — حازت على رضى واقتناع وثقة تامة من قبل المرضى محاولي الانتحار وأقاربهم .

فالإيمان مصدر استقرار النفس وطمأنينتها ، وبالتالي الاستمتاع بما في الحياة من مباهج بعيداً عن أي تفكير في الهروب من الحياة وأعبائها بالانتحار .

د . عصام غنيم

● « لقاء في الريف » ، رواية ، تأليف حسان الجيلاني ، صدرت في الجزائر .

● « المرأة في الأدب الجزائري المعاصر » ، تأليف أحلام مستغانمي ، صدر في الجزائر .

● « وهران والغرب الجزائري في القرن الثامن عشر من خلال تقرير آرام بيري » ، وثيقة وضعت في كتاب ، صدر عن دار المكتبة الوطنية بالجزائر .



استراتيجيا

ذلك هو عنوان المجلة الشهرية الجديدة التي صدرت في بيروت تحت شعار « نحو استراتيجية عربية واحدة » عن شركة أبو ذر الغفاري للطباعة والإعلام ، ويرأس تحريرها وليد الحسيني ، كما يتولى إدارة التحرير في هذه المجلة العقيد بسام اسخيطة ، والمستشار المقدم الهيثم الأيوبي ، ويتولى أمانة التحرير أنيس الفقيه ، هذا وقد صدر العدد الأول منها حافلاً بموضوعات شتى .

ندوة جبران العربية العالمية

احتفاءً بذكرى الشاعر المهجري الراحل جبران خليل جبران ، أقيمت في بيروت ندوة عربية وعالمية عنه حضرها مندوبون من مختلف البلدان ، وقد أقيمت هذه الندوة تحت إشراف الاتحاد العام للكتّاب والأدباء العرب واتحاد الكتّاب اللبنانيين وقد قدمت فيها دراسات وأبحاث حول أدب وفكر وفلسفة جبران .

* كتب جديدة *

● « مقالات نقدية في الأدب الكويتي الحديث » ، تأليف سعيد فرحات ، صدر ببيروت .

● « اتجاهات فكرية في الأدب التونسي الحديث » ، تأليف سعيد فرحات ، صدر ببيروت .

● « كيركجور » ، تأليف فريتيوف برانت ، يتناول حياة وفكر وفلسفة مفكر الدانمارك سورن كيركجور ، ترجمة الشاعر مجاهد عبد





أمل بمستقبل أفضل ، أم ضياع أمام الوحدة في حياة مغلقة ؟

نافذة

تأثير الهجرة على تكوين الشخصية الهامشية

اهتم علماء الاجتماع بدراسة ظاهرة الهجرة باعتبارها من الظواهر القديمة جداً في المجتمع الإنساني التي عاصرت حياته منذ بداية عيشه على شكل تجمعات، ودرسوا مسبباتها الأولية والثانوية، ونتائجها الإيجابية والسلبية، وما تتركه من آثار على شخصية المهاجر التي أطلق عليها علماء الاجتماع «الشخصية الهامشية». (أمثال **روبرت بارك، وإيفرت ستونكوست**) التي هي إحدى إفرازات هجرة أهل الريف إلى المدن، وهجرة الجماعات والأقليات القومية إلى المدن الصناعية الكبيرة التي تكوّن جزراً حضارية متنوعة ومتباينة ذات شكل فسيفسائي داخل حضارة كبيرة، وغالباً ما يكون أبناء هذه الجزر نازحين من حضارات أصيلة وعريقة في قيمها وعاداتها وتقاليدها ليعيشوا في حضارة ناشئة التكوين المعنوي إلا أنها متقدمة في التكوين المادي

فالشخصية الهامشية هي نتيجة انعكاسات للظروف الاجتماعية والحضارية المتناقضة في قيمها وأعرافها وأهدافها، باحثة عن مماثلة جديدة لأنماط حضارية جديدة. فهي تعيش ظاهرياً مع المجتمع المهاجر إليه وباطنياً مع المهاجر منه.

ويسمي الأنثروبولوجيون هذه الشخصية «**بالحدودية**» لأنها تعيش بين حدود حضارة هجروها، وحدود حضارة بدأت العيش بها، أو العيش بين نظامين اجتماعيين متباينين.

وهنا يبرز مفهوم الانتماء الاجتماعي إلى النظام الجديد والامتثال معه الذي يتطلب عدة مهمات وممارسات فكرية وسلوكية وقيمية من الأفراد المهاجرين. وتكون عملية الانتماء عسيرة بالنسبة لهؤلاء المهاجرين لأنهم تركوا نظاماً اجتماعياً عاشوه وألفوه لفترة طويلة من الزمن، وعليهم أن يتكيفوا لنظام اجتماعي جديد، ويتماثلوا مع مكوناته.

فعملية الانتماء إلى نظام اجتماعي جديد بجميع أنماطه الرسمية وغير الرسمية وتبني أدوار اجتماعية جديدة لا خبرة للمهاجر في ممارستها ومعرفته للمحرمات والممنوعات الاجتماعية والأنماط السلوكية المسموح بها ليس بالأمر الهين والسهل، لأن ذلك يتطلب من المهاجر إدراكها، والتعرف عليها، ومعرفة مدى قدرته على تبني وممارسة أنماط النظام الجديد،

المنعم مجاهد، صدر ببيروت.

● «**السجن كمؤسسة اجتماعية** ـ دراسة لآراء واتجاهات المسجونين»، تأليف **الدكتور مصطفى عمر التير**، صدر في **بيروت**.

● «**استمارات استبيان ومقابلة لدراسات في مجال علم الاجتماع**»، تأليف **الدكتور مصطفى عمر التير**، صدر في **بيروت**.

● «**الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية**»، تأليف **خالد القشطيني**، صدرت عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت**.

● «**اللجنة**»، **رواية** تأليف **صنع الله إبراهيم**، صدرت عن **دار الكلمة ببيروت**.

● «**القرآن والدولة**»، تأليف **الدكتور أحمد خلف الله**، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر في طبعة ثانية**.

كما **صدرت الكتب** التالية عن **دار الآفاق** في بيروت من **تأليف** **عمر فاخوري**:

★ «**كيف ينهض العرب؟**».

★ «**الرسائل**».

★ «**مهاتما غاندي**».

★ «**الفصول الأربعة**».

وهذه الكتب من الأعمال الكاملة للمؤلف **وفي طبعتها الثانية**.

● «**دراسات فنية في التعبير القرآني**»، تأليف **الدكتور محمود البستاني**، صدر عن **دار الهادي ببيروت**.

● «**الأوبيك ـ ماضيها، حاضرها، آفاق تطورها**»، تأليف **د. عبد القادر سيد أحمد**، ترجمة **د. خليل أحمد خليل والدكتور فؤاد شاهين**، صدر عن **المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ببيروت**.

● «**التعاون الاقتصادي العربي** ـ وأهمية التكامل في سبيل التنمية»، تأليف **الدكتور عبد الهادي يموت**، صدر عن **معهد**

والتوصل إلى ذلك الإدراك المعرفي يحتاج إلى ذكاء اجتماعي ومرونة سلوكية. لذلك يعتبر علماء الاجتماع شخصية المهاجر من النوع الذكي (اجتماعياً وليس مدرسياً وقياسياً) لأنها استطاعت أن تدرك الأنماط السلوكية المسموحة والممنوحة اجتماعياً، وتقبلها للتغيير والتبديل الاجتماعي والحضاري.

وإذا تعمقنا في عملية الانتماء الاجتماعي نجد أن هذا المهاجر يهدف إلى الحصول على القبول الاجتماعي من قبل أبناء النظام الجديد (كالاحترام في التعامل، وعدم الازدراء الاجتماعي، واطلاق النكات والطرائف الاجتماعية عليه، ومنحه مكانة اجتماعية مرموقة) وهذا يتطلب نبذ حياته الماضية بما فيها من طريقة أكله ولبسه وكلامه، وتبني أنماط جديدة تمثل النظام الاجتماعي الجديد. إن هذا المطلب الاجتماعي يُعتبر أقسى وأعسر المطالب لأنه يتطلب درجة عالية من المرونة الشخصية والانفتاح على تقبل الأشياء والعادات الجديدة وهذا لا يتم بين ليلة وضحاها بل في سنين وقد تأخذ طيلة حياته.

ولما كانت حياة النظام الاجتماعي الجديد (المهاجر إليه) تتطلب المنافسة الشديدة من أجل تحسين مراكزهم الاجتماعية الذي بدوره يولد سرعة شديدة للحراك الاجتماعي في الصعود على السلم الاجتماعي الجديد الذي يأخذ بالاتجاه العمودي وليس الأفقي، فإن ذلك يولد شعوراً بالانسحاب والخوف من الخوض في كل معترك في حياة المهاجر الجديدة.

ولما كانت العلاقات السطحية تسود المجتمع المهاجر إليه بسبب التصنيع والتحضر، وتركيزها على الجوانب المادية للحياة الاجتماعية فإن ذلك يؤدي إلى فقدان العلاقات الحميمة داخل الأسرة، والخوف من المستقبل المجهول، وتعامل المهاجر مع الآخرين (في المجتمع الجديد) من خلال مركزه الاجتماعي الناشئ الجديد وهذا بدوره يقلل من إيصاله إلى مراكز اجتماعية أعلى من مركزه، أو التعرف على أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع المهاجر إليه. جميع هذه المؤثرات الجديدة على المهاجر تسبب وتولد له نمطاً خاصاً لشخصيته التي تصبح فيا بعد ذات صفة قلقة وكئيبة ومتشائمة في نظرتها للحياة.

ويعالج المهاجر هذا القلق في الغالب بالإدمان على شرب الكحول، أو تعاطي المخدرات، أو الانسحاب من المجتمع المهاجر إليه. ويعالج عدم قبوله اجتماعياً في المجتمع الجديد بخرق نظمه وقوانينه، واستعمال القوة، وممارسة السلوك العنيف، أو التمرد على سلطته من أجل مخالفة نظم المجتمع المهاجر إليه من أجل التعبير عن معاناته الاجتماعية والنفسية والحضارية التي يعيشها بعد هجرته مجتمعه الأصلي، أو بواسطة إيذاء الناس الذين لم يقبلوه اجتماعياً من أجل الحصول على مكانة اجتماعية بالقوة لذلك نرى بعض المهاجرين ينخرطون في عمليات إجرامية أو منحرفة سلوكياً وقانونياً، أو الانتماء إلى جماعات متخصصة بالتهريب والتزييف والتخريب.

وزبدة القول: تحدث ظاهرة الهجرة شخصية ذكية اجتماعياً، لكنها قلقة على مركزها الاجتماعي الجديد وغير متوازنة في سلوكها التعبيري، ومنسحبة اجتماعياً لخوفها من الازدراء الاجتماعي (من قبل أبناء المجتمع المهاجر إليه) وكئيبة ومتشائمة في نظرتها للحياة بسبب فقدانها لموقعها الاجتماعي القديم (في المجتمع المهاجر منه) لكن وضعها الاقتصادي تحسن بشكل ملموس فيا إذا قورن مع وضعها قبل هجرتها لمجتمعها الأصلي.

د. معن خليل عمر

الإنماء العربي ضمن سلسلة «**الدراسات الاقتصادية**».

● «**العرب والتكنولوجيا**»، تأليف **سمير عبده**، صدر عن **دار الآفاق ببيروت**.

● «**الشرق والتاريخ العالمي ـ** حول أسلوب الإنتاج الآسيوي»، تأليف **ف. ن**، ترجمة وتقديم **الدكتور توفيق سلوم**، صدر عن **دار الفارابي ببيروت**.



*** كتب جديدة ***

● «**أوراق عاقر**»، **رواية** تأليف **سالم النحاس**، صدرت في **عمان**.

● «**مخطوطات فضائل بيت المقدس**»، إعداد **الدكتور كامل العسلي**، صدر عن **مجمع اللغة العربية الأردني**.



*** كتب جديدة ***

● «**السيف والأكفان البيضاء**»، **مجموعة شعرية** للشاعر **فراج محمد**، صدرت عن **دار النشر المغربية بالدار البيضاء**.

● «**الحماية الفرنسية** ـ بدايتها، نهايتها»، تأليف **الهادي التازي**، صدر في **الرباط**.

● «**متعة المقرئين في تجويد القرآن المبين**»، تأليف **عبد الله الجراري**، صدر في **الرباط**.



* د. عبدالهادي التازي *

● «معلمة القرآن والحديث»، تأليف عبد العزيز بنعبد الله، موسوعة إسلامية متخصصة ستصدر عن الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي.



معرض للكتاب السعودي

أقيم في تونس معرض للكتاب السعودي وذلك تحت إشراف المكتب التعليمي السعودي هناك، عرضت فيه كتب علمية وأدبية ومعاجم وقصص أطفال، هذا وقد اشترك في المعرض كل من دارة الملك عبد العزيز والنوادي الأدبية والجامعات السعودية.

* كتب جديدة *

● «تأملات في اللغة والنحو»، تأليف محمد عزيز الحباني، صدر عن الدار العربية للكتاب بتونس.

● «أناشيد أرض السواد»، ديوان شعر للشاعر محمد حسين آل ياسين، صدر عن دار الأخلاء للصحافة والنشر بتونس.

● «بحجم الحب أكون»، ديوان شعر للشاعر الصادق شرف، صدر عن دار الأخلاء بتونس.



* كتب جديدة *

● «وقائع التغريبة الثانية للهلالي»، مجموعة قصصية للقاص أكرم هنية، صدرت عن دار الكاتب برام الله.

● «داخل اللحظة الحاسمة»، ديوان شعر للشاعر عبد الناصر صالح، صدر ضمن منشورات المثلث.

● «الحلم ما زال محاولة خطرة»، ديوان شعر للشاعر علي الخليلي، صدر عن مؤسسة ابن رشد للنشر بالقدس.

● «همسات صارخة»، ديوان شعر للشاعرة هيام قبلان مصطفى، صدر في القدس.

● «لواحدة ... هي أنت»، ديوان شعر للشاعر منير إبراهيم، صدر عن دار الكتاب بالقدس.

● «وطن وعبير»، مجموعة شعرية للشاعر شفيق حبيب، صدرت في فلسطين.

● «فهرس وأرشيف المعلومات الصحفية»، صدر عن جمعية الدراسات العربية بالقدس.

قطر

* كتب جديدة *

● «ديوان ابن فرحان»، ويضم الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر القطري المرحوم حسين بن أحمد الفرحان النعيمي، جمعه ورتبه حمد محسن النعيمي، صدر عن إدارة الثقافة والفنون بوزارة الإعلام القطرية ضمن سلسلة كتب التراث التي تنشرها.



* كتب جديدة *

● «اليمن بوابة الخليج»، تأليف إبراهيم بشمي، صدر عن دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر بالإمارات.

● «الطريق إلى المدائن»، تأليف أحمد عادل كمال، صدر عن دار دبي للنشر.



* كتب جديدة *

● «العصفور الأعرج»، قصة مصورة للأطفال من تأليف إبراهيم بشمي، صدرت في المنامة.



★ جاك لاكان ★

فرنسا :

وفاة هنري لاجريفول

توفي عن (٧٤) عاماً **النحات الفرنسي «هنري لاجريفول»** الحاصل على **جائزة روما في النحت** في عام ١٩٣٢ م . ولد لاجريفول عام ١٩٠٧ م ، حيث درس في مدرسة **الفنون الجميلة بباريس** ، ثم عين أستاذاً في **المدرسة العليا للفن** ، وقد برع في مهنته حتى استعانت به الأوساط الفنية للتدريس بكلية الهندسة ، كما أنجز في حياته بعض الأعمال المهمة من بينها بعض نقوش على مسرح قصر شايو ، وتمثال المقاومة ، إلى جانب النقوش التي رسمها على جدران بورصة التجارة في هافر ، كما نقش على النقود والميداليات التي تم تداولها عام ١٩٦٣ م .

وفاة جاك لاكان

توفي عن ثمانين عاماً **(جاك لاكان) مؤسس مدرسة فرويد في باريس** ، وكان قد ذاع صيته اعتباراً من عام ١٩٣٦ م ، حين قام بعمل دراسة بحث فيها مرحلة التطور التي يمر بها الطفل من ٦ — ١٨ شهراً وقدمها إلى المؤتمر الدولي للطب النفسي . حاضر في **السوربون** ، وفي **مدرسة المعلمين العليا بباريس** شارحاً نظرياته حول — العلاقة بين اللغة واللاوعي من خلال تعدد المعاني في الخطاب — **وفي عام ١٩٦٣ م ، أسس (لاكان) «مدرسة فرويد» بباريس** وذلك بهدف إتاحة الفرصة لكل من تابعوا نظرياته منذ أكثر من عشر سنوات للالتقاء في حلقات دراسية منتظمة ، وفي عام ١٩٦٦ م ، نشر مؤلفاته وهي مجموعة مقالات ودراسات قدمت لمؤتمرات وسبق نشرها في عدة مجلات ، وقد حل هذه المدرسة عام ١٩٨٠ م ، وذلك لكثرة الاضطرابات داخلها وأنشأ مجموعة جديدة .

أثر الصحف في الحياة الثقافية

عقدت في باريس تحت إشراف «**جامعة ليون**» الفرنسية **ندوة عن أثر الصحف على الحياة الثقافية في فرنسا خلال عام ١٧٨٩ م** ، وهي ندوة دولية حضرها العديد من المهتمين وقد نوقشت فيها أمور عديدة . **والمعروف أن القرن الثامن عشر** وبالذات هذه الفترة التي تعد من **أزهر الفترات في الصحافة الفرنسية** ، فقد قفزت الصحف من (٤٠) صحيفة إلى (١١٥) صحيفة خلال الفترة من ١٧٢٠ — ١٧٦٠ م ، متخذة أشكالا مختلفة منها اليومية والأسبوعية والشهرية ومنها الأدبية والعلمية والنسائية ، وقد احتضنت هذه الفترة أشهر الكتّاب والفلاسفة أمثال **فولتير ، وبومارشيه** .

تاريخ الفن في بروسيا

ذلك هو **شعار المعرض الذي أقيم في باريس «معرض الفن في بروسيا» وهو معرض تاريخي** يتبع تاريخ الفنون المختلفة منذ عهد **بسمارك** (١٨١٥ — ١٨٩٨ م) حتى الآن ، وقد ضم المعرض لوحات فنية ونماذج لتحف منحوتة وآلات موسيقية وقطارات وعربات قديمة تعكس جميعها تاريخ الفن منذ ذلك الوقت حتى الآن ، كما عرضت فيه نماذج لأسلحة حربية كانت مستخدمة إبان الحربين الأولى والثانية .

أراغون ونيشان الشرف

حصل الشاعر الفرنسي «أراغون» الذي يبلغ من العمر حالياً (٨٤) عاماً على **أعلى وسام أدبي فرنسي** يعرف باسم «**نيشان الشرف**» ، والمعروف أن «أراغون» ممن ساهموا في تأسيس المدرسة السريالية لكنه لم يستمر في اتجاهه السريالي الصرف وإنما عاد إلى الشعر الغنائي . له مؤلفات روائية وقصصية عديدة منها «**ايلزا**» و«**عيون ايلزا**» .

* أحدث الكتب *

● «**جسد لجسد**» ، تأليف **جين فافريه سيدا** ، صدر في **باريس** ، ويدور حول **السحر والناس الذين يمارسونه** .

● «**غاري كوبر — حياته**» ، تأليف **نيكولز شاردير** ، صدر في **باريس** .

● «**شبابي**» ، كتاب **يدور حول حياة الروائي الألماني المعاصر فولفجانج كوبان** ، صدر في **باريس** .



بريطانيا :

موسوعة عن الآثار

أصدرت «جامعة كمبردج» موسوعة تتناول **تاريخ الآثار وتطورها** في مختلف العصور والبلدان ، وقد اشترك في إعدادها العديد



* نوبل *

من المختصين في هذا المجال ، ومن الموضوعات التي ركزت عليها الموسوعة **موضوع (الزراعة)** كظاهرة لنشاط الإنسان الأول على الأرض خاصة في **سورية وغينيا الجديدة** التي يرجع ظهور النشاط الزراعي فيهما إلى (١٠) آلاف سنة مضت ، كما عرضت الموسوعة الأدوات البدائية التي استعملها الإنسان وقتذاك في هذه المناطق .

* أحدث الكتب *

● « **الشيخوخة** » ، تأليف **ماري ستيوارت** ، صدر في **لندن** ضمن سلسلة « **تفهم التجارب اليومية** » .

كشف أثري هام

عثر بالقرب من ساحل **مدينة « نجازاكي »** جنوبي اليابان على **هياكل سفن عتيقة ثبت أنها بقايا أسطول القائد (قوبلاي خان) حفيد جنكيزخان** الذي حاول **غزو اليابان منذ حوالي سبعمائة عام** .

ويعتبر هذا الكشف من أهم الكشوف الأثرية في اليابان حيث ضمت هياكل السفن كميات كبيرة من الأسلحة والأواني الفخارية وختماً لأحد قادة قوبلاي ، وجميع هذه المحتويات في حالة جيدة . والمعروف أن (قوبلاي خان) حاول غزو اليابان أول مرة عام ١٢٧٤ م ، وكرر المحاولة مرة أخرى عام ١٢٨١ م ، ومني بالهزيمة في غزوه الأول ، وتعرض أسطوله في المحاولة الثانية لإعصار قضى على ألف سفينة من مجموعة السفن التي وصل عددها إلى (٤٤٠٠) وحدة حربية .



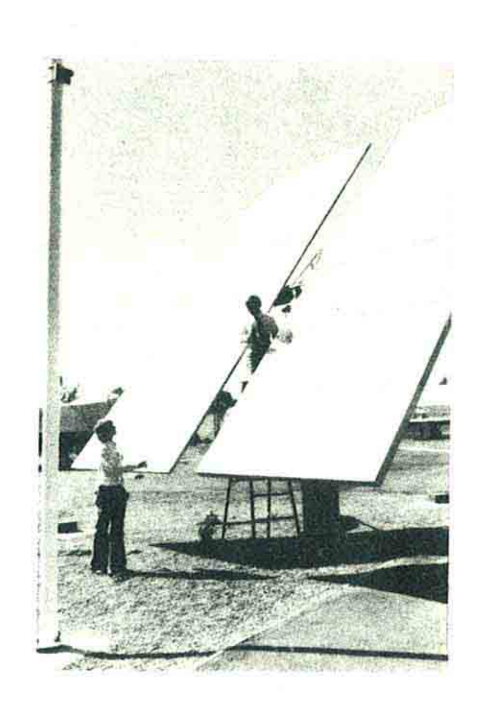
● اكبر محطة شمسية لتوليد الكهرباء في العالم ●

تقام الآن في **الصحراء** بالقرب من **داغيت** Dagget في **كاليفورنيا الأميريكية** أكبر محطة شمسية لتوليد الكهرباء في العالم .

في أواخر عام ١٩٨١ م ، من المقرر وضع أكثر من ١٨٠٠ مرآة ضخمة متحركة يوجهها حاسب إلكتروني ، بحيث تتبع حركة الشمس ،

وتقوم بتركيز أشعة الشمس المنعكسة في مستقبل مركزي موجود في رأس برج فولاذي ، ويقدر أن تغطي هذه المرايا مساحة قدرها (٤٧) هكتاراً .

ويقوم الضوء المركز بتسخين الماء الذي يمر عبر اللوحات القاتمة ، ويتحول إلى بخار تقارب درجة حرارته ٤٥٠° مئوية . هذا البخار يقوم بدوره بتدوير عنفة بخارية ستولد ١٠ ملايين كيلووات ساعي في الساعة الواحدة . وهذه الاستطاعة كافية لتغطية الاحتياجات الكهربائية لمنطقة سكنية يقطنها حوالي (٢٥) ألف نسمة .





● تقدم بحوث الذرة ●

في ٣ نيسان (أبريل) الماضي **قام المركز الأوروبي لأبحاث الذرة** (CERN) بإجراء أول تجربة من نوعها لتحقيق التصادم بين البروتونات (نوى الهيدروجين موجبة الشحنة) **والبروتونات المضادة** : وهي عبارة عن بروتونات تحمل شحنة سالبة . وقد صرح أحد المسؤولين في المركز أن **البروتونات المضادة** Anti Protons التي تم الحصول عليها في مجمع خاص طوره مهندسو المركز قبل ٣ سنوات قد أكسبت طاقة عظيمة (٢٦ مليار إلكترون فولت) في إحدى مسرعات المركز ، واصطدمت بحزمة من البروتونات العادية المتحركة بالاتجاه المعاكس .



● إزالة التسمم بالبلوتونيوم ●

يعتبر **البلوتونيوم** من أكثر العناصر المعروفة سمية ، وهو ينتج في محطات التوليد النووية ، ويستقر في الكبد والعظام إذا قام الجسم بامتصاصه . ولاستخلاص البلوتونيوم من هذه المناطق فقد اكتشف باحثو **جامعة**

وفاة هيديكي يوكاوا

عن (٧٤) عاماً وبمدينة «كيتـو» تـوفي العـالم اليـاباني «هيديكي يوكاوا» الحاصل على **جائزة نـوبل في الفـيزياء** لعـام ١٩٤٩ م ، وذلك عن أبحاثه التي أثبتت أن (الميزون) جزيئة مكهربة ذات كتلة وسط بين الإلكترون والبروتون ، وكان يوكاوا أستاذاً بجامعة كيتـو ، وقد نشر له كتاب « **البحث بشأن الميزون** » ومدخل إلى نظرية الكلمات والعالم المتناهي الصغر .

النرويج

وفـاة أود هاسيل

توفي عن (**٨٤) عاماً** « **أود هاسيل** » ، أستاذ الكيمياء الطبيعية النرويجي **الحاصل على جائزة نوبل في الكيمياء في عـام ١٩٦٩ م** . ولد (هاسيل) في عام ١٨٩٧ م ، وعين أستاذاً للكيمياء الطبيعية **بجـامعة** (أوسلو) في عام ١٩٣٤ م ، وقد حصل على جائزة نـوبل نـظراً لأبحـاثه الخاصة بالتكوينات الجزئية للذرة حيث نشرت لـه عـدة أبحاث في هـذا المجال ، كما برع في استخدام (**أشعة اكس**) للكشف عن جزيئات الذرة إلى جانب استخدامه (**الحزم الضوئية للإلكترون**) .

روسيا

اكتشاف مسجد أثـري

تم **اكتشاف آثار مسجد كبير** يرجع إنشاؤه إلى ألف عـام مضى في الاتحاد السوفييتي وذلك **خلال التنقيب عـن آثـار مـدينة «كويروك ـ توبـي»** تلك المدينة التي وجدت **منذ القـرن السـابع** حتى **الثاني عشر الميلادي** ، ويعتقـد رجـال الآثـار في كازاخسـتان السوفييتية أن هذا المسجد المشهور قد دمر مع المدينة بأكملها في آن واحد على أيدي الغزاة في أوائل القرن الثالث عشر .

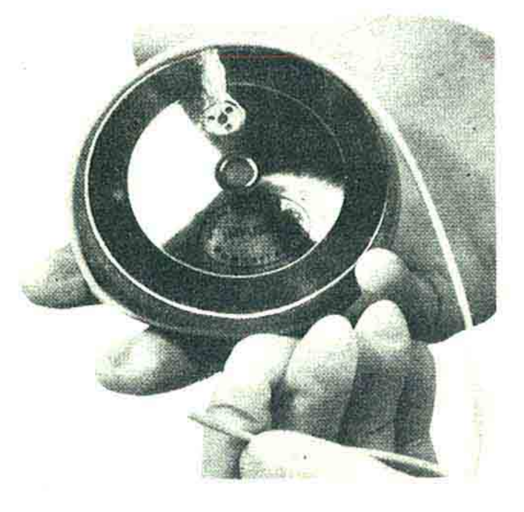
تم توليد البروتونات المضادة بقصف سـلك قصير من التنغستين بحزمة مـن الـبروتونات الطبيعية ، وعنـد كل اصطدام فـإن الـبروتون الواحد كان يولد ٣ بـروتونات أخـرى وبـروتون مضاد واحد . كان الاعتقاد السائد أن البروتون المضاد لا يعيش أكثر مـن جـزء صـغير مـن الثانية ، إلا أن علماء المركز نجحوا في « تخزين » البروتونات المضادة .

ستعاد التجربة عند سرعـات أكبر (وطاقة ٢٧٠ مليـار إلـكترون فـولت) في خـريـف ١٩٨١ م ، وسـوف تسـهم هـذه التجـارب في الإجابة على التساؤلات المغرقة في القدم : مـا اللبنات الأساسية للكون ؟ ومـا القـوى الـتي تربطها ؟ .



يحتاج **مريض السكر** يـومياً حقنـة مـن **الأنسولين** تساعد على الإبقاء على حياته ، إلا أن هذه الحقنة لا تساعد على إبقاء نسبة السكر في الدم ثابتة ، بل تـتغير على مـدى اليـوم ، إذ يزداد تركيز النلوكوز كلما مضى زمـن أطـول على استعمال الحقنـة . ويعتقـد بعض الأطبـاء أن تذبذب كمية النلوكوز هي المسؤولة عـن بعض الأعراض من الثانوية ، مثـل تضرر الـكلية أو الأوعية الدموية .

يمكن تثبيت تـركيز النلوكوز في الـدم عـن طريق تدفق ثـابت لـلأنسولين . وقـد اقـترح الباحثون في الفترة الأخيرة « **مضخة** » خـاصة لهذه الغاية . تزرع هذه المضـخة الصـغيرة الـتي لا يتجـاوز قـطرها (٨) سـنتمترات في كتف المريض اليسرى وتقدم بهـا تـدفقاً ثـابتاً مـن الأنسـولين . تـتكون المضـخة مـن حجـيرتين مفصولتين عن بعضهما بغشـاء مـرن يقـوم غـاز فـلـور الـكربون المضـغوط ـ في إحـدى الحجـيرتين ـ بـإرغام الأنسـولين الموجـود في الحجـيرة الثـانية على الحـركة ويتـدفق إلى دم المريض عبر أنبـوب دقيـق . تمـلأ حجـيرة الأنسولين مرة كل أسبوعين بواسطة حقنة .



كاليفورنيا في بركلي مادة جديدة قد تسـاعد في إنقاذ ضحايا التسمـم بـالبلوتونيوم . مهمـة هذه المادة هي امتصاص البلوتونيوم السـام مـن

الخلايا الحية ، وفي التجـارب الأخيرة قـامت هـذه المادة الـكيميائية الجـديدة **ليـكام ـ سي** Llcam-C بإزالة (٧٠) في المائة من البلوتونيوم الذي حقنت به بعض الفئران .

ونـظراً لأن التسمـم بـالبلوتونيوم نـادر الحدوث ، لذلك تـتجه النية إلى الاستفادة مـن هذا الاكتشاف في إنتاج مواد مشابهة ، بمقدورها فصل البلـوتونيوم عـن فضـلات المفـاعلات النووية ، مما يجعل عملية التخلص مـن هـذه الفضلات أسهل وأنجح .

قواعد البروتوكول

● الإسلام كعقيدة ومنهج متكامل في الحياة، كان سبّاقاً إلى وضع قواعد السلوك وآداب المعاملات قبل ما يسمى بقواعد البروتوكول في المجتمع الحديث.

كان الإسلام سبّاقاً في الاهتمام بآداب السلوك، وهي ما تعرف في المجتمع الحديث بقواعد البروتوكول، التي تشتمل على موضوعات التعارف والزيارة والأسبقية والملابس والمآدب.

قواعد التعارف

فبالنسبة للتعارف وضع الإسلام قواعد أهمها ما يلي:

● **ألا يتحدث المرء إلا فيما يعنيه أمره**، لذا قال الرسول **صلى الله عليه وسلم**: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». **وورد في الأثر الصمت حكمة وقليل فاعله.**

● **ألا يتضمن حديثه غيبة أو نميمة أو ايقاع بين الناس.** لذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

● **ألا يتضمن حديثه حسداً أو حقداً على أحد «ولا تحاسدوا ولا تباغضوا»، «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه».**

● **أن يكون كلام المسلم واضحاً وبيناً بحيث يفهمه المخاطب به بلا لبس، كما يستحب أن يكرر الكلمة ثلاث مرات إذا كان القصد منها توضيح موقف أو رأي أو للحديث مغزى معين، أما إذا كان المضمون واضحاً وسهلاً فلا داعي للتكرار.**

● **أن يكون المسلم هاشاً باشاً في وجه من يلقاه أو يتعرف عليه، سواء كان الطرف الآخر يستحق هذا أما كان شريراً.** فإذا كان الطرف الثاني شريراً فإن المسلم بالبشاشة يتقي شره، ويأمن مكره، وربما يجذب قلبه إليه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه البشوش، وحديثه العذب على أشرار القوم يتألفهم بذلك ليثبتهم على الإسلام وليتقي شرهم.

● ألا يواجه من يتعاملون معه بما يكرهون اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي لم يكن يواجه أحداً بشيء يكرهه، ولا بعبارات فظة أو فاحشة، فإنه ما كان فاحشاً ولامتفحشاً ولا صاخباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، وما خيّر من أمرين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون مأثماً. وكان صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس فظاً ولا غليظاً لذا وصفه ربه ﴿ **ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ وفي هذه الآية الكريمة خير وصف لطبيعة الرسول الكريم وأخلاقه، كما أنها تتضمن الدليل للمسلم للتعامل مع الناس.

● **عند التقاء الغرباء يدعو الإسلام لمقابلة الآخرين بالانبساط والسرور، وهذا يؤدي إلى تأليف القلوب.**

أما إذا واجه شخص ما المسلم بكلام أغضبه فإن الآداب الإسلامية تقضي بتجاهل الحديث، والتغافل عنه، أو بتصحيحه بأسلوب حسن وحكيم، فإذا لم يرتدع الطرف الآخر فيمكن للمسلم أن يترك المكان خاصة إذا كان هناك تطاول على الدين لذا قال الله تعالى ﴿ **وأعرض عن الجاهلين** ﴾.

● وعند مقابلة الناس يحث الإسلام المرء على أن يكون نظيفاً في ملابسه، وأن تكون رائحته زكية، وأن يمس طيباً، وقد كان الرسول الكريم يتعطر يوم الجمعة، وفي العيدين، وفي الإحرام، وعند حضور الجماعة، وفي المحافل، ولقراءة القرآن الكريم والعلم.. وكانت لديه صلى الله عليه وسلم مرآة ومشط من عاج ومكحلة ومقراض ومسواك.

● ويمكن للمسلم أن يمزح وينبسط مع الناس بالمداعبة، وإن كان الإسلام لا يحبذ كثرة المزاح لأنه يفقد المهابة والاحترام، ويلهي عن ذكر الله تعالى. فقليل من المزاح مطلوب، وكثيره مذموم فهو كالملح للطعام. **وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح إلا أنه لا يقول فاحشاً ولا كذباً.**

● **ومن الكياسة في التعامل مع الأقوام المختلفة إكرام كريم كل قوم أو زعيمهم، فإن ذلك أدنى إلى تأليف قلوب أتباعه.**

● ويدعو الإسلام للحذر من الناس، والاحتراس منهم من غير أن



بقلم : د . محمد نعمان جلال

يتضمن ذلك أي شر نحوهم .

● **وفي الجلوس ينبغي أن يجلس المرء حيث ينتهي به المجلس .**

● ولا ينبغي على المسلم أن يرفع صوته بالضجيج أو الصخب في المجلس .

قواعد التعامل

ومن آداب الإسلام في **التعامل** توقير الكبير واحترامه ، وإظهار الرحمة والشفقة على الصغير .

● ومن آداب الحديث في الإسلام أن يخاطب المتحدث الناس باللغة وعلى المستوى الذي يفهمونه وتدركه عقولهم ، لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **ما حدث أحد قوماً بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم** » ، كما ورد في الأثر : « **أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم** » .

● وعند دعوة الناس لوجهة نظر المسلم وشرح قضيته يجب أن يكون محاوراً جيداً ، قوي الحجة وصبور لذا يقول جل شأنه ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ (سورة النحل ، الآية ١٢٥) .

● كما يدعو الإسلام لزيارة الأفراد بعضهم البعض ، بل وتبادل الهدايا في المناسبات ، ويحض بوجه خاص على زيارة الأقارب ، ويجعل من صلة الرحم أفضل القربات إلى الله عز وجل ، **كما يدعو لزيارة المريض ويجعلها من أبرز الفضائل الإسلامية .**

● أما بالنسبة للهدية فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها ويثيب عليها ، أي أنه كان يتبادل الهدايا . **ولقبول الهدية شروط منها ألا تكون بها أية شبهة ، وأن يقدمها صاحبها عن طيب خاطر .**

● وقد أوضح **القرآن الكريم** الآداب الإسلامية الواجب اتباعها في الزيارة وذلك في سورة النور بقوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون . قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون** ﴾ (سورة النور ، الآيات ٢٧ ـ ٣٠) .

وتختلف معايير الأسبقية في الإسلام بحسب الأحوال والجنس والسن ، وإجمالا يمكن القول بأن القواعد التالية هي التي تحدد الأسبقية :

● **يقدم الرجال من كبار السن على الشباب وأخيراً الأولاد .**

● **يقدم الذكور على الإناث وبوجه خاص في ترتيب صفوف الصلاة .**

والأسبقية وفقاً للمعيارين المذكورين ليست أسبقية تفضيل ، وإنما هي أسبقية ترتيب ، وبعبارة أخرى قد يكون في صف الشباب من هو أفضل أو أتقى أو أكثر ورعاً ممن هو في صف كبار السن ، أو قد يكون من بين النساء من هي أكثر ورعاً من الرجال . والأسبقية بين الرجال والنساء ترتبط بمبدأ إسلامي آخر هو الفصل بين الجنسين ، ورفض الاختلاط الذي قد يثير الشهوات ، أو يؤدي إلى الفتنة إذا ظهرت مفاتن المرأة عند الصلاة . **فالفصل هنا مرده اختلاف نوعية وطبيعة الرجل عن الأنثى ، وليس أفضلية أحدهما على الآخر مع عدم إنكار وجود جانب من هذه الأفضلية .**

● **يفضل الإسلام دائماً الجماعة على الفرد ، وهذا نابع من دعوته للتعارف والتقارب ، لذا فإنه جعل صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبعة وعشرين درجة** . كما يفضل الصلاة بسواك على الصلاة بغير سواك ، فقال صلى الله عليه وسلم : « **صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك** » . ويقول صلى الله عليه وسلم : « لولا أشفق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » .

● إن الأفضلية في الإسلام لا تنصرف للبشر فحسب ، بل تمتد لتشمل الأوقات والأزمان والأماكن والأوضاع ، فورد في الحديث : « **من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة** » . ومن الأوضاع ذات الأفضلية وضع السجود فهو أكثر أوضاع الصلاة قرباً من الله لذا قال تعالى ﴿ **واسجد واقترب** ﴾ وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « **أقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد** » ، وبالنسبة لفضل الأزمان كفضل شهر شعبان ، وليلة ٢٧ من رجب ونحو ذلك . وفيما يتعلق بفضل الأماكن مثل فضل الصلاة في **المسجد الحرام** ، أو الصلاة في **المسجد الأقصى** ، أو الصلاة في

المسجد النبوي عن الصلاة في غيرها من المساجد.

وتأخذ الأسبقية في الصلاة شكلين رئيسيين:

★ **الأول**: التقدم للإمامة وفي هذه الحالة لا ينبغي أن يتقدم الإنسان للإمامة على قوم يكرهونه.. فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين، فإن كان الأقلون هم أهل الخير والدين فالنظر إليهم أولى.

وأوضح الإسلام ضرورة اتباع الإمام في كل حركاته، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**الإمام أمين فإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا**» وهذا المعنى الدقيق ليس قاصراً على الصلاة بل ينصرف للقيادة بصفة عامة.

★ **الثاني**: ترتيب الصفوف للصلاة، الرجال فالأولاد فالنساء.

قواعد اللباس

وقد ترك الإسلام **نوعية الملابس** التي يرتديها كل فرد بما يتناسب مع عادات الشعوب المختلفة وتقاليدها. فملابس البلاد الباردة تختلف عن ملابس أهالي البلاد الحارة، وملابس الصيف تختلف عن ملابس الشتاء. **ومع هذا فقد وضع الإسلام قواعد عامة لبروتوكول الملابس ثم ترك تفصيلاتها لظروف الزمان والمكان والمناسبة.**

● **أول هذه القواعد**: **ستر العورة**. وتختلف العورة بالنسبة للرجل عن المرأة. فعورة الرجل من السرة إلى الركبة، أما عورة المرأة فكل جسدها عدا قدميها وكفيها ووجهها.

فيقول الله تعالى ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً**﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٥٩).

ويقول جل شأنه ﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾ (سورة النور، الآية ٣١).

وفي هاتين الآيتين يوضح الإسلام العورة الواجب سترها، ويحدد نوع المسموح لهم برؤية زينة النساء وهم المحارم بوجه عام والذين ليس لهم إحساس جنسي، وينهى المرأة عن التبرج.

● **والقاعدة الثانية**: أن الإسلام دعا للزينة، لذا قال الله تعالى ﴿**يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين. قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون**﴾ (سورة الأعراف، الآيتان ٣١ ـ ٣٢).

فهاتان الآيتان تقرران حق الإنسان في الأكل والشرب واللباس والزينة والطيبات من الرزق على حسب الناموس الذي يستقيم عليه شأنه فرداً وجماعة.

● **القاعدة الثالثة**: الحض الدائم على النظافة، ولهذا السبب فرض الوضوء على المسلم في الصلاة، وفرض الغسل لإزالة النجاسة، كما حض الإسلام المرء أن يتطيب ويكتحل، وأن يرتدي الملابس الجميلة النظيفة. مع منع الرجال من لباس الحرير، والتحلي بالذهب، وترك ذلك للنساء لتحقيق مزيد من الأناقة والجاذبية، مع تقييد زينة النساء وقصرها على أزواجهن وليس لعامة الناس منعاً للفتنة.

والإسلام في هذه القواعد الثلاث كان حريصاً كل الحرص على التوازن والاعتدال في الأمور، فالعورة مطلوب سترها دون تزيد أو مبالغة، ودون تفريط أو تقصير، وكذلك الشيء بالنسبة للزينة وبالنسبة للنظافة.

ولو نظرنا لما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسبة للملابس والزينة لوجدنا أنه صلى الله عليه وسلم كان حريصاً كل الحرص على التزين والظهور في أبهى صورة، فقد كان يحتفظ لديه بمرآة ومشط من العاج ومكحلة ومقراض وسواك. وكان أحب الملابس إليه القميص، وخاصة عندما يكون عند نسائه، والحبرة عندما يكون بين أصحابه وكلاهما كان يناسب جسده الشريف. والحبرة رداء يصنع من قطن مزين وقد أحبها النبي صلى الله عليه وسلم للينها وحسن انسجام صنعتها.

كذلك الشأن بالنسبة للقميص أحبه النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه كان أستر للبدن، وأخف عليه، وهو من القطن أو الكتان، وليس من الصوف لأنه يؤذي البدن، ولا يدر العرق، ومن ثم يتأذى بريح عرقه المصاحب. كما أحب النبي صلى الله عليه وسلم من الألوان اللون الأبيض وإن كان مع هذا لبس من الألوان الأخرى كاللون الأخضر أو المخطط بأخضر، وكذلك المخطط بأحمر ومع حرص النبي صلى الله عليه وسلم على لبس الملابس اللينة والجميلة إلا أن أغلب وقته كان يميل لارتداء الملابس الخشنة إظهاراً للورع، ومجاملة للفقراء الذين لا يجدون الملابس الغالية.

وما يهمنا إبرازه بالنسبة لموقف الإسلام من اللباس أنه يحض على الملابس الجميلة، وجمال الهيئة محمود إذا كان القصد منه الاستعانة على طاعة الله، والتحدث بنعمة الله جل شأنه، ويكون مذموماً إذا كان القصد منه الاستعلاء والخيلاء.

وبالنسبة لبروتوكول لبس الحذاء فإن الإسلام يدعو للبدء بالرجل اليمنى عند اللبس، والرجل اليسرى عند الخلع.

ولا شك أن الإسلام كعقيدة ومنهج متكامل في الحياة كان سباقاً لوضع قواعد السلوك وآداب المعاملات قبل ما يسمى بقواعد البروتوكول في المجتمع الحديث.

مذاهب الأدب وروح العصر

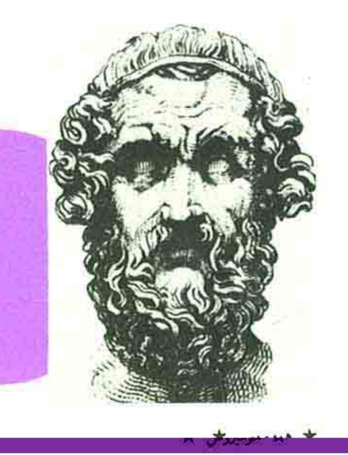
بقلم: د. نبيل راغب

إن دور الريادة الأدبية يحتم استيعاب أبعاد العصر واتجاهاته ، وبعد ذلك يأتي التأييد أو الرفض طبقاً لمفهوم الأديب لمناخ عصره ، ورغبته في تطوير الإنسان المعاصر .

من الواضح أن علاقة مذاهب الأدب بروح العصر تتشكل طبقاً للمناخ الحضاري والثقافي والفكري للمجتمع المعاصر بصفة خاصة والعالم كله بصفة عامة . وموقف الأديب من عصره يتراوح بين التأييد المطلق لإنجازات العصر والرفض الكامل لها لدرجة الرغبة في عدم الانتماء إلى المجتمع والعصر في آن واحد . وهو موقف مركب ومعقد ، ذلك لأن الأديب ابن عصره وفي الوقت نفسه يريد أن يقوم بدور الريادة فيه عن طريق الخروج عن حدوده التقليدية وإلقاء نظرة موضوعية وجديدة عليه . وهذا الموقف الأدبي لا يعتمد على **التأثر** وحده أو **التأثير** وحده ، إذ إنه مزيج عجيب من الاثنين بحيث يستحيل الفصل في بعض الأحيان بينهما ومعرفة حدود هذا من ذاك .

لكن من الملاحظ أنه لا يوجد الأديب الذي يمكنه تغيير عصره وحده ، بل غالباً ما يتركز دور ريادته في أن دوره التاريخي يأتي فوق قمة الموجة السائدة ، ولا يعني هذا أنه مجرد راكب للموجة ، فهو متفاعل معها يتأثر بها ويمنحها من قوة الدفع ما تتيحه له ثقافته وسعة أفقه وقدرته على الرؤية البعيدة والعميقة . وهذه الموجة الفكرية والأدبية نتيجة طبيعية لعوامل سبقت في الزمن لكنها ظلت تتجمع وتتقارب بحكم التجاوب والتجاذب بينها إلى أن تحولت إلى قوة دفع قادرة على حركة المد التي تصل إلى قمتها في الموجة . **وبحكم أن فكر الأديب نتاج عصره فإنه يستلهم جذوره من العوامل التي يميل إليها فكره ووجدانه ، وبذلك يتجاوب مع الموجة الجديدة . وكلما كانت ثقافته أ[illegible] التحكم في موقفه إزاء الموجة ، ومن ثم يتحول إلى رائد للحركة الأدبية كلها** . وهي حركة ساهم فيها وساعد على دفعها ، لكنه لم ينشئها من العدم لأنها النتيجة الطبيعية ، بل والحتمية لما سبقها من أفكار وتيارات واتجاهات ، وإذا لم يساهم هذا الأديب في الحركة أو قصرت ثقافته عن مدها بحركة الدفع اللازمة فسوف تتمكن الحركة من إنشاء أديب آخر يقوم بهذه المهمة .

إن دور الريادة الأدبية يحتم استيعاب أبعاد العصر واتجاهاته ، وبعد ذلك يأتي التأييد أو الرفض طبقاً لمفهوم الأديب لمناخ عصره ورغبته في تطوير الإنسان المعاصر . ولا شك فإن **النسبية** تلعب دوراً كبيراً في تشكيل نوعية العلاقة بين الأديب وعصره . ومختلف الحركات الأدبية التي قد تبدو على طرفي نقيض **كالواقعية والمثالية** مثلاً ، فهما في واقعهما نجد أن إحداها تشكل إرهاصاً للأخرى وهكذا . فالتناقض بينهما ظاهري فقط ، لكن الحركات الأدبية المتعاقبة امتداد طبيعي ضمن سلسلة طويلة



★ هوميروس



★ بودلير

تسير موازية للفكر الإنساني .

ونسبية النظرة إلى العصر والمجتمع والحضارة والثقافة هي التي قد توحي بوجود مثل هذا التناقض . والحركات أو الموجات أو المذاهب الأدبية على اختلاف أنواعها وأهدافها وعصورها عبارة عن بلورة للدور الذي يلعبه الأديب في مجتمعه وعصره .

المذهب الكلاسيكي

كان أول من استخدم مفهوم المذهب الكلاسيكي للأدب **الكاتب اللاتيني أولوس جيليوس** في القرن الثاني الميلادي كاصطلاح مضاد للموقف الشعبي للأديب : أي أنه كان يقصد به **الكاتب الأرستقراطي** الذي يكتب من أجل الصفوة المثقفة والمؤثرة . لكن المفهوم أصبح عاماً وغامضاً لمدة قرون عديدة تالية بحيث قصد به الموقف الإنساني الشامل للأديب الذي يستحق الدراسة العلمية الجادة في الكليات والأكاديميات ، ولا يتأثر موقفه الإنساني وقيمته الفنية بمرور الزمن .

وقد شاع هذا المفهوم في العصور الوسطى ومطالع عصر النهضة ، وأكد دارسو الإنسانيات في ذلك الوقت أن الأعمال الأدبية الكلاسيكية هي اليونانية واللاتينية فقط ، لأنها الوحيدة التي ترتفع إلى مستوى التراث الإنساني بحكم الأرستقراطية الفكرية الراقية التي نبعت منها . لكن هذا المفهوم الطبقي الضيق للتراث الأدبي لم يصمد لاختبار الزمن ، لأن **التراث الشعبي** والفولكلوري لم يلبث أن أنتج من الروائع الأدبية الجيدة ما جعله يدخل المدرسة الكلاسيكية من أوسع أبوابها . وتطور بذلك المفهوم الكلاسيكي لموقف الأديب من عصره بحيث أصبح ينطبق على كل أديب يبلور المثل الإنسانية الرائعة المتمثلة في الحق والخير والجمال ، وهي المثل التي لا تتغير باختلاف المكان أو الزمان أو الطبقة الاجتماعية .

ولقد حاول نقاد الحركة الكلاسيكية تأكيد الفكرة التي تقول إنه يجب ألا يخرج موقف الأديب عن نهج من سبقوه وأرسوا التقاليد الأدبية بحيث يتركز إنجازه الأدبي في الإضافة وليس في الهدم أو التغيير . ومعنى هذا أنهم يناقضون أنفسهم إذ أنهم ينادون بأن المصدر الرئيسي للكلاسيكية الأدبية هو الأدب الإغريقي القديم في حين نجد أن أدباء الإغريق لم يقلدوا أحداً لسبب بسيط هو أن أحداً لم يسبقهم في هذا المضمار . لذلك أرسوا تقاليدهم الخاصة بهم ، ومن ثم جاء أدبهم رائعاً قوياً ، لأنه ابتعد عن التقليد الأعمى للنماذج التي سبقتهم .

أما موقف الأدباء اللاتين فجاء ضعيفاً ، لأنهم وقعوا في محاذير التقليد الساذج للأدب الإغريقي ، وفي هذا يقول الناقد المعاصر **ت . س . إليوت** إن موقف الأديب الكلاسيكي الحديث يتمثل في إرساء التقاليد الأدبية التي تساعد الموهبة الأدبية الفردية على الانطلاق بأسلوب منظم ومنهج علمي ، بحيث يرتكز الأديب الناشئ على خلفية عريضة من التقاليد وبذلك يقيم عمله على أساس متين . فمهمة كل أديب هي الإضافة إلى هذه الخلفية وليس مجرد إخراج صور مكررة ونسخ باهتة للأعمال التي سبقته . فكما أن التاريخ لا يعيد نفسه كذلك الأدب يأبى أن يكرر نفسه .

إن العلاقة عضوية بين العمل الأدبي والعصر الذي كتب فيه ، وإذا كان الأدب في حاجة إلى هذه التقاليد الأدبية لشق مجراه الطبيعي ، فإنه لا يحتمل في الوقت نفسه أية محاولة للتقليد أو التكرار ، لأنه شتان بين التقاليد والتقليد . لذلك تُعارض الكلاسيكية الحديثة الكلاسيكية التقليدية القديمة التي دفعت الأدباء اللاتين إلى تقليد الإغريق بحيث نجد **فيرجيل** مقلداً **لهوميروس وثيوكريتاس** ، **وهوراس** مقلداً لشعراء الإغريق الغنائيين ، **وشيشيرون** مقلداً لخطباء الإغريق وفلاسفتهم ، **وتاكيتوس** مقلداً للمؤرخين ، **وكاتولوس وأوفيدوس** مقلدين لمدرسة الإسكندرية وهكذا .

الموقف الرومانسي

برغم أن موقف **المذهب الرومانسي** من العصر يكاد يكون ثورة ضد الموقف الكلاسيكي من المجتمع والحياة ، فإن هدف الاثنين يكاد يكون واحداً . فقد تطور الموقف الرومانسي من مجرد البحث عن أشكال جديدة في حدود تقاليد وأطر قديمة إلى انتفاضة عارمة على كل ما هو قديم ومكرر .

وهذا الموقف يمكن تحديده من خلال **الشكل والمضمون** والاتجاه الفكري للأديب . وعموماً ، فالأديب الرومانسي يضع فنه في خدمة التصوير العاشق لجمال المناظر الطبيعية ، والعودة إلى **عصور الفروسية** ، والتغني بالماضي المجيد للوطن ، وتقدير الفرد كإنسان له كيانه الذي يجب أن يحترم ، وتأييد الفرد في تحديثه للمجتمع ، ودراسة الفنون المحلية والشعبية ، وارتياد الأماكن الغريبة التي تثير في الإنسان أغرب الإحساسات مثل المقابر والخرائب في ضوء القمر ، أو



★ ت . س . إليوت ★



★ أفلاطون ★

الجبال والتلال في أثناء الأعاصير ، والاندماج مع عناصر الطبيعة الوحشية ، وإطلاق قوى العقل الباطن مهما بدت غير معقولة ، واستخراج الخصائص القومية والعناصر الوطنية من التراث الشعبي غير المكتوب .

لكن أهم خصائص الرومانسية يتمثل في **الذاتية أو الفردية** . فغالباً ما نجد الأديب الرومانسي ـ الذي يتقمص شخصية بطله ـ دائراً داخل حلقة ذاته المغلقة عليه ، سواء كان مطحوناً تحت وطأة الحزن والكآبة والملل أو ثائراً عنيفاً ضد ركود المجتمع ، وفي كلتا الحالتين فهو إنسان غامض لا يثق كثيراً في **المنهج العقلاني** . فهو يفضل الشعر على الفلسفة ، والعاطفة على المنطق ، والمثالي على الواقعي ، والأمل على التلاؤم مع الواقع .

ومن جهة التعبير الأدبي تنادي الرومانسية بتحطيم القواعد والتقاليد القديمة والتركيز على التلقائية والغنائية والتعبير عن الأحلام والكوابيس والغموض ، وتحويل الأدب إلى شعلة هادية للأجيال القادمة وليس مجرد تقليد للقوالب القديمة .

وبرغم أن التناقض كثيراً ما يطرأ على التيارات الداخلة في الرومانسية فإنه يساعد على حيوية الحركة الأدبية وإثرائها بالجديد من الأفكار والمضامين والأشكال التي نشرها الأدباء الرومانسيون في وجه الكلاسيكية التقليدية ، ذلك أن الرومانسية تحولت في منتصف القرن التاسع عشر إلى حرب شعواء على الكلاسيكية .

المفهوم الواقعي

ونفس التناقض الذي حدث بين الكلاسيكية والرومانسية في أواخر القرن الثامن عشر هو الذي وقع بين الرومانسية والواقعية . لكن هذا لا يعني أن الواقعية مرادف للكلاسيكية ، لأن الواقعية لم تبدأ بتقليد النماذج الأدبية القديمة ، بل بدأت بتقليد الواقع وتقديم صورة فوتوغرافية له . فالأديب الواقعي التقليدي لا بد أن يستقي مضمونه من الواقع المعاش بصرف النظر عن إحساساته الشخصية تجاه هذا المضمون ، لأن مهمته تتركز في تقديمه إلى عصره في موضوعية وحيدة كاملتين : أي أن قلم الأديب الواقعي لا يختلف عن عدسة المصور الذي لا يفعل شيئاً سوى اختيار المنظر ، فهو مجرد أداة توصيل بين المنظر أو المضمون وبين المشاهد أو القارئ .

كان هذا هو المعيار النقدي الذي اتبعه النقاد في أواخر القرن الثامن عشر وبامتداد القرن التاسع عشر في تقييمهم لأعمال الأدباء الواقعيين . وكان أي عمل يحكم عليه بالفشل إذا حاول الكاتب أن يدخل فيه اتجاهاته الشخصية . ولعل هذا المنهج الصارم الذي طبقه نقاد الواقعية هو السبب في اندلاع الثورة الرومانسية التي حطمت كل هذه القوالب : فلم يكن للأديب الواقعي أن يطلق العنان لخياله لأن عليه أن يصور ما يرى من مناظر وشخصيات حوله ، وعليه أيضاً أن يعالج الأحداث الجارية والمعاصرة والتقاليد والعادات التي تؤثر في سلوك الناس وتفكيرهم ، وأن يرصد التفاصيل الدقيقة للشخصيات والمواقف والأماكن مهما كانت تافهة أو ذات ارتباط واه بالخط الأساسي للعمل الأدبي ، وأن يقدم نسخة طبق الأصل للهجات المحلية ولغة العامة ، ولا مانع من أن يستخدم الاصطلاحات الفنية التي يتداولها الناس في المصالح والإدارات الحكومية والمحافل العلمية ، لأن هذه الاصطلاحات هي خلاصة تجربة المختصين في الواقع . كذلك فإنه متاح للأديب الواقعي أن يدخل في عمله نصوص المستندات الرسمية والخطابات الشخصية والمذكرات اليومية التي قرأها الناس من قبل خارج عمله الأدبي ، حتى يوحي للقراء بالارتباط الوثيق بين عمله وواقعهم المعاش ، وأن عمله لا يعتمد على الخيال في شيء بدليل أن التسجيل الحرفي للواقع يلعب دوراً مهماً في تكوين عمله وتشكيله .

ويقول **أرنست فيشر** في كتابه «**ضرورة الفن**» إن الواقعية النقدية في الأصل هي نتيجة للاحتجاج الرومانسي على **المجتمع الصناعي** الذي يطغى على حقوق الفرد ، وبذلك تكون الرومانسية مرحلة سابقة للواقعية النقدية ، فجوهر الأدب لا يتغير من أساسه لأن جوهره هو جوهر الإنسان ، لكن الذي يتغير هو أسلوب التناول والمعالجة عندما يصير أكثر موضوعية ، وأقل ذاتية ، وإن كانت الواقعية تخالف الرومانسية في أنها تستمد مادتها من الواقع الاجتماعي ، فإن الواقعية الأدبية فن أولا وأخيراً ، والفن بطبيعته اختيار ، ومجرد اختيار الأديب الواقعي لمضمون معين معناه إبراز وجهة نظره تجاه الحياة والمجتمع . وأيضاً فإن المضمون لا بد أن يمر بنفس الأديب قبل أن يتشكل ويبرز إلى الوجود ، وفي هذه الأثناء يتشكل طبقاً لمكونات الأديب ووجدانه وثقافته وكل ما يؤثر في معالجته للموضوع . لذلك حرص النقاد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على تحديد الموقف الواقعي بأن الموقف الذي يتحدد باختيار الأديب لمضامينه ، ثم بوجهة النظر التي ينظر بها إلى هذه المضامين ، وعلى هذا الأساس انقسمت الواقعية إلى واقعية نقدية وأخرى اشتراكية .

المدرسة الطبيعية

حدث ارتباط مصطنع بين **المدرسة الواقعية والمدرسة الطبيعية** لعدم وضوح الفواصل بين الموقفين الأدبيين لكل منهما وخاصة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين ، لأن المذهب الطبيعي ينهض على أساس من الواقع المعاصر ، لكن أسلوب معالجته وموقفه من عصره كانا على تناقض بيِّن مع المذهب الواقعي التقليدي الذي لم يحاول أن يقول شيئاً من خلال التصوير والوصف .

إن الأديب الطبيعي يهدف إلى بلورة روح الواقع حتى يراه الناس في ضوء جديد وليس كما هو في الواقع التقليدي المتعارف عليه . فإصرار الأديب الواقعي على وصف الواقع من الظاهر فقط أفقده القدرة على النظر إلى الأشياء نظرة متكاملة وشمولية ، وغالباً ما يكون الواقع الفعلي في الحياة أكثر بهاء من الواقع الموصوف في الرواية مثلاً . والناس تفضل

الأصل على الصورة دائماً .

هذا ما حاولت المدرسة الطبيعية أن تتجنبه . فلا يعقل أن يتناول الأديب مضموناً ما بالتشكيل وهو فاقد للاهتمام الشخصي به ؛ ذلك الاهتمام الذي يمكنه من رؤية العلاقة الجدلية بين الواقع والإنسان . إن الطبيعة عامة ليست بهذا الثبات أو الاستاتيكية التي يفترضها الأديب الواقعي التقليدي ، بل هي في حركة دائبة وتطور مستمر . ومجرد التصوير الفوتوغرافي تجميد للحركة الحية ، والفن بطبيعته لا يحتمل هذا التجميد .

ومع هذا لا توجد حدود فاصلة بين الطبيعية والواقعية وخاصة بعد أن تطورت الواقعية على أيدي كبار الروائيين من أمثال **جوستاف فلوبير وأرنولد بينيت والأخوين جونكور** ، وغيرهم من الذين نادوا بأن الموضوعية الحيادية في الأدب لا تكمن في مجرد تصوير الواقع تصويراً مجرداً من كل ميل شخصي للأديب ، لكنها توجد في الموضوعية التي ينشئ بها الأديب عمله بحيث يتخذ شكلاً محدداً خاصاً ومستقلاً عن المضمون الواقعي الذي صدر عنه ، وأن هناك فارقاً شاسعاً بين الواقع الحياتي والواقع الفني .

وعلى الأديب الواقعي أن ينشئ واقع عمله من داخله وألا يعتمد على أية مصادر خارجة عن شكله الفني بعد الانتهاء من تأليفه وإلا انتهى بانتهاء الواقع المعاش المتغير دوماً . وقد أطلق على هذا الاتجاه الواقعية الحديثة التي ثارت على كل تقاليد الواقعية القديمة لأنها نادت بموضوعية الشكل الفني وليس بموضوعية التصوير الفوتوغرافي والتقليد المجرد .

الاتجاه المثالي

وبرغم أن موقف الأديب المثالي من عصره كثيراً ما يتهم بالهروبية والسلبية التي تغمض أعينها عن حقائق الحياة ، فإن له من الجوانب الايجابية ما يؤكد فاعليته في تطوير الفكر الإنساني . من هذه الجوانب توجيه أنظار الناس إلى إمكانية التغيير إلى الأحسن والتطوير إلى الأمثل ، وأنه لا يعقل أن تظل الحياة ثابتة في مكانها ، ذلك أن الطموح إلى تحقيق المثل الأعلى هو الفارق الأساسي بين الإنسان وغيره من الكائنات الأخرى . وكثيراً ما تسيطر العادة والرتابة والتكرار على حياة الإنسان فيظن في فترة من الفترات أن الحياة لا تسير وأنه لا توجد سوى حدود الواقع الراهن للتحرك داخلها .

هنا يدق الأدب المثالي على باب الإنسان لإيقاظه من غفلته ، إذ إن سنة التطور ذاتها تدل على أنه لا يوجد ما يسمى بالواقع وما يسمى بالمثال ، لأن الواقع نفسه كان مثالا في حد ذاته إلى أن استطاع الإنسان تحقيقه فأصبح واقعاً ، وبذلك يكون المثال امتداداً طبيعياً للواقع وليس نقيضه .

وهناك فكرة تقول إن المثال ذاته واقع طالما أنه يقع في فكر الإنسان وخياله ، ولا يبقى سوى أن يطبق وينفذ بإخراجه إلى حيز الوجود المادي ، لأن المادة تبدأ دائماً بالفكر . لذلك لا يخلو الأدب المثالي من المنهج العلمي ، وحتى في أشد حالاته هروبية وسلبية فإنه على الأقل يلمح إلى القوى الدفينة والكامنة في الإنسان ولا يستطيع استغلالها لأنه نسيها بحكم الحياة الرتيبة التي كثيراً ما تحيله إلى كيان آلي .

والأديب المثالي يحاول الكشف دائماً عن الطبيعة الخيرة والجميلة للإنسان ووضعها أمامه حتى يرى السمو الذي خلق به . والشر بالنسبة للأديب المثالي شيء عارض وعابر في حياة الإنسان ، لأنه غالباً ما يكون نتيجة للضغوط الاجتماعية المؤقتة ، لكن الإنسان بطبيعته يطمح إلى الحق والخير والجمال ، ولو وضع في مجتمع مثالي لما حاول أن يمارس حيوانيته أو يدمر الآخرين . وغالباً ما تنتهي **الروايات المثالية** نهاية سعيدة معبِّرة عن الأمل والرخاء في المستقبل وانتصار الخير على قوى الشر .

هنا يبدو التناقض واضحاً بين تفاؤل المثالية وتشاؤم كل من الطبيعية والواقعية النقدية من المصير الإنساني . لكن أحياناً يكون تفاؤل المثالية مفتعلاً ، لأن الأديب يجد لزاماً عليه أن ينهي روايته نهاية سعيدة حتى لو لم تكن متمشية مع المجرى الطبيعي للأحداث والمواقف ، لمجرد أنه يريد إثبات أن الخير لا بد أن ينتصر في نهاية الأمر مما يضطره إلى التدخل بنفسه وتوجيه دفة الأحداث الوجهة التي يراها هو وليست الوجهة التي يراها العمل الأدبي .

ونظراً للتناقض الواضح بين المثالية وكل من الطبيعية والواقعية ، فقد اقتربت المثالية من **الرمزية** التي سادت القرن التاسع عشر وخاصة في شعر **بودلير** وتلاميذه . وقد كتبت **الناقدة الفرنسية دوروثي نوليز** في كتابها «**التأثير المثالي على المسرح بعد عام ١٨٩٠ م**» الذي صدر عام ١٩٣٤ م ، تقول إن الرمزية الفرنسية بالذات ليست سوى الامتداد الحديث للمثالية التي بدأت من **جمهورية أفلاطون** ، وهي صيغة جديدة لها تتناسب والروح المعقدة للعصر الحديث .

المنهج الرمزي

يعتمد الأديب الرمزي في منهجه على الأدوات الأدبية التي يعتمد عليها التشكيل الرمزي والتي تنحصر في التشبيه والاستعارة والصورة المجسدة والمحسنات البديعية القادرة على إيراد الرمز بطريقة أو بأخرى ، والرمز استحضار لتجربة شعرية عن طريق هذه الأدوات . ويقول **الناقد كينيث بيرك** إن الرمز هو البديل أو المقابل اللفظي للتجربة الإنسانية المعاشة ، لذلك فهو يتميز بالقوة والحيوية والتدفق والتعقيد . ولا يعني التعقيد هنا صعوبة إدراكه ، لكنه يعني تعدد الأبعاد والجوانب ، وهذا يمكن من أن يبرز الخط الرئيسي في العمل الأدبي ويزيد من اقتناعنا به .

وأحياناً يكون الرمز بمثابة تنفيس للعواطف والإحساسات التي أثارها العمل الأدبي داخل القارئ ، وأحياناً أخرى يقوم الرمز ذاته بإثارة العواطف والإحساسات الراكدة داخله ، وهكذا تتعدد وظائف الرمز بتعدد واختلاف النصوص الوارد بها ، وأي شيء في الحياة يمكن أن

يتحول إلى رمز أدبي ابتداء من الإنسان نفسه ومروراً بالمملكة الحيوانية والنباتية ثم عالم الجمادات : **أي أن الحياة في نظر المنهج الرمزي عبارة عن وحدة واحدة لا تقبل التقسيم أو الانفصال ، ولأي أديب الحق في استعمال أي رمز على شرط أن يقوم هذا الرمز بوظيفة عضوية في العمل الأدبي ، وإلا تحول الرمز إلى مجرد زخرف خارجي لا قيمة له** ، ومن ثم فإنه يتحول إلى نتوء يعتور البناء العام للعمل ويشوه جماله ، لأن الأديب يستعين بالرمز عندما تعجز اللغة التقريرية عن ايصال معناه إلى القارئ ، وعليه أن يتخلص منه في الحال إذا أحس أنه يقف عقبة في سبيل تطور عمله ونموه الإبداعي .

وهدف الفنان الرمزي هو تقديم نوع من التجربة الأدبية تستخدم فيها الكلمات لاستحضار حالات وجدانية سواء شعورية أو لا شعورية بصرف النظر عن الماديات الملموسة التي ترمز إليها هذه الكلمات ، وبصرف النظر عن المحتوى التمثيلي والعقلي الذي تتضمنه ، لأن التجربة الأدبية في نظره هي تجربة وجدانية في المقام الأول ، وفي الوقت نفسه تحاول إلباس الفكرة المجردة شكلاً حسياً ملموساً خاصاً بها . وهذا الشكل الحسي هو الهدف الأساسي من العمل الأدبي ، لأنه الأداة الوحيدة القادرة على تشكيل وجدان القارئ تجاه العمل نفسه ط وعلى هذا الأساس نستطيع القول بأن كل الظواهر المادية في الكون ليست إلا تعبيراً مجسداً لأفكار مجردة لم نصل إلى كنهها بعد ، وهذا بدوره يقودنا إلى التيار التجريدي في الأدب .

التيار التجريدي

لا يعني موقف الأديب التجريدي التعبير عن عصره بطريقة مجردة ومباشرة وتقريرية ، لكنه يعني تجريد أي عمل أدبي من كل الزوائد والنتوءات والأورام التي تشوه جماله ، أو الثغرات والفجوات التي تخلخل بناءه الدرامي وتقلل من حيويته : أي أن الشكل الفني لا يمكن أن يستقيم ويتطور إلا عن طريق الإحساس التجريدي للأديب الذي يقف بالمرصاد لكل ما يتسلل إلى داخل **البناء الدرامي** ، دون أن تكون له وظيفة درامية تساهم في إنتاج الأثر الكلي الذي يقصده الأديب من عمله الأدبي .

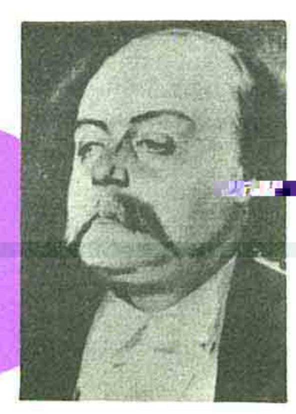
وعندما يستخدم الفنان التجريدي الرمز ، فإنه يجرده من الخصائص العملية التي تعارف الناس عليها في حياتهم اليومية ، فالصرصار في قصة **تشيكوف** القصيرة ليس الصرصار الذي نعرفه والذي يعيش في المناطق الرطبة ويقطن البالوعات . . . إلخ ، لكنه صرصار من اصطناع تشيكوف أوجده للقيام بوظيفة درامية تجسد الملامح المجردة لنفسية البطل التي يجتاحها الضياع والضيق والبؤس والوحدة والملل ، لذلك لم نعرف عن الصرصار إلا ما كان مرتبطاً بمحور البناء الدرامي للقصة ، لأن تشيكوف جرده من كل الصفات العامة لفصيلة الصراصير : أي أن تجسيد المجرد في الأدب يحتاج إلى تجريد المجسد في الوقت نفسه بحيث يبدو أن التجسيد والتجريد في الفن هما وجهان لعملة واحدة ، ولا يبدو أي تناقض بين الأدب التجريدي والأدب الرمزي لأنهما يجردان الحياة ويجسدانها في آن واحد .

الحركة التعبيرية

يقول الناقد **إيفان جول** إن موقف الأديب التعبيري يتشابه مع زميله الرمزي عندما يتركز في التجسيد الموضوعي الخارجي للتجربة النفسية المجردة عن طريق توسيع أبعادها وإلقاء أضواء جديدة عليها كي تنكشف الأشياء التي يخفيها الناس أو التي لا يستطيعون رؤيتها لقصر نظرهم .

ويضيف **الكاتب المسرحي جون جالزورثي** أن التعبيرية تجسد جوهر الأشياء دون إظهار خارجها ، لذلك لا تعترف أن هناك تشابهاً ضرورياً بين الداخل والخارج . وحتى إذا وجد هذا التشابه فإنه لا يهمها على الاطلاق ، وبحكم أن التعبيرية تعبِّر عن الإنسان في كليته فإن الشخصيات تتحول إلى مجرد أرقام أو مسميات عامة . فنجد شخصية الأستاذ صفر أو الرجل أو المرأة أو المدير أو الشاعر دون أسماء على الاطلاق .

وغالباً ما تكون اللغة سريعة وتلغرافية ولاهثة ومتقطعة ، تتراوح بين الغنائية الحالمة والنثر الخشن لكي تتمشى مع روح **المونولوج** الذي يعبِّر عما يجتاح الشخصية من صراعات متناقضة وعواطف متنافرة . والأحداث بدورها مفاجئة وفاقدة للترتيب المنطقي التقليدي ، وضاربة جذورها في الخيال والإغراب ، وذات مستويات متعددة تختلف نوعيتها باختلاف الحالة النفسية ، وتشارك الرموز في التعبير حتى تكتمل ظلال المعاني وتتنوع . ويرى الأديب التعبيري أن الحياة بكل تناقضاتها لا يمكن التعبير عنها إلا بهذا الأسلوب المتعدد



★ غوستاف فلوبير ★



★ أنطون تشيكوف ★

المستويات والمختلف الأبعاد .

الأسلوب الانطباعي

فشل الأديب الانطباعي في تشكيل مذهب أدبي متبلور يحدد روح العصر ومناخ المجتمع ، ذلك لأنه أسرف في الاهتمام بالانطباع الذي اعتبره الأساس الوحيد الذي ينهض عليه العمل الأدبي . فقد اهتم بالتسجيل الحرفي للانطباع وفي القيمة الجمالية والضرورة الدرامية اللتين تحتمان وجود الشكل الفني الذي يحول هذا الانطباع المجرد إلى جسم فني جميل . **فالانطباع عبارة عن مجرد عنصر أولي أو مادة خام لازمة لتشكيل العمل ، لكن الضرورة التشكيلية تحتم فناء المادة داخل الجسم الجديد .**

وقد أدى الأسلوب الانطباعي إلى ما عرف **بأدب الاعترافات والخطابات الأدبية** ، التي يعبِّر فيها الأديب عن مكنونات صدره وعن موقفه من الحياة بصرف النظر عن التشكيل الدرامي لهذه العناصر الأولية . وكانت تلك الظاهرة نتيجة حتمية لمدرسة التحليل النفسي التي أرسى قواعدها **سيجموند فرويد** والتي أخرجت جماعة من النقّاد مهمتهم الأولى والأخيرة البحث المتأني وراء العقد النفسية التي ترسبت في نفس الأديب وشكلت استيعابه لروح العصر : أي أن العمل الأدبي تحول إلى مجرد مرآة لحياة الأديب الداخلية وموقفه الإنساني المترتب عليها ، وبمجرد الإحاطة بهذا فإن العمل الأدبي يفقد قيمته ودلالته .

المدرسة السيريالية

أما استيعاب الأديب السيريالي لروح عصره وفهمه لمناخ مجتمعه وعالمه فينبعان من قدرته على تمزيق الحدود المألوفة للواقع المعروف والملموس عن طريق إدخال علاقات جديدة ومضامين غير مستقاة من الواقع التقليدي .

وهذه المضامين تستمد من **الأحلام** سواء في اليقظة أو في المنام ، ومن **تداعي الخواطر** الذي لا يخضع لمنطق السبب والنتيجة ، ومن هواجس **عالم الوعي واللاوعي** على السواء ، بحيث تتجسد هذه الأحلام والخواطر والهواجس المجردة في أعمال أدبية يرى فيها القارئ ما يدور داخل عالمه الخاص بحيث تتحول إلى تجربة جمالية ممتعة تعيد إلى نفسه المشوشة الإحساس بالتوافق مع العالم الخارجي عن طريق الفهم والوعي العميق ، وبذلك تنخفض عوامل الصراع النفسي داخله إلى أقل نسبة ممكنة ، مما يمكنه من مواجهة الحياة بإدراك وقوة لا تعرف الخوف أو التردد . . والمادة التي يستقي منها الأديب السيريالي مضمونه ليست المجتمع ، ولكنها الحياة الداخلية للفرد .

وهنا يكمن الفرق بين السيريالية والواقعية : الأولى تنظر إلى الفرد من خلال المجتمع ، أما الثانية فتحلل المجتمع من خلال الفرد .

الالتزام الوجودي

يفسر الأديب الوجودي أي فعل يقوم به الإنسان على أساس أنه التزام تجاه الذات وموقف محدد تجاه الذوات الأخرى ، ينهض على أساس الاختيار الحر والمسؤولية الملتزمة في الوقت نفسه . لكن المفهوم الوجودي للالتزام يختلف مع المفهوم الواقعي الاشتراكي الذي تحول بمرور الوقت إلى نوع من إلزام الأديب بالدفاع عن مبدأ معين سواء آمن به أو لم يؤمن به .

فالالتزام عند الوجوديين يقوم على إيمان الأديب نفسه والنابع من داخله على شرط ألا يقف موقفاً مضاداً للحق والخير والجمال . إن للأديب مطلق الحرية في اختيار موضوعاته التي يوجهها بدوره إلى قراء يتمتعون بنفس الحرية القائمة على الاختيار والمسؤولية . وهذه الحرية لا تتحقق إلا من خلال الحدث . وهذا الحدث هو التعبير الحي عن التزام الإنسان بالوجود الكلي للكون . وكل هذه الأبعاد تتكشف دراميا في انفعالات القلق والخوف والألم واللذة والأمل . . . . إلخ من التي يتخذ منها الأدب مضمونه ومادته الخام القابلة للتشكيل .

مفهوم الحياة في الأدب

وهناك اتجاهات أخرى تحدد موقف الأديب من عصره مثل **الاتجاه العدمي والعبثي** والغاضب والإنساني **واللامنتمي** والرافض والقومي والمستقبلي والصوفي . . . إلخ ، لكنها على اختلاف مشاربها تحاول إدراك الكون والحياة والإنسان بأسلوب أكثر وعياً وفهماً . ومع ذلك لا يعني هذا المفهوم أن هذه المذاهب الأدبية عبارة عن تقنيات مفروضة على القارئ حتى يتذوق الأعمال الأدبية في ضوء معين ، بل هي مجرد علامات على الطريق تزيد من استمتاعه وتعمق من بصيرته .

والأدب بطبيعته كائن لا يمكن أن يخضع لمقاييس ثابتة أو أن يصب في قوالب صماء ، لذلك فإنه من المعتاد أن نجد عملاً أدبياً واحداً يشتمل على عديد من المدارس والاتجاهات الأدبية التي قد تحمل فيما بينها الكثير من التناقض والتضاد : كالاتجاه المثالي والواقعي مثلاً عندما يجتمعان في عمل واحد .

ولا يعني هذا أن العمل الأدبي مفكك من الداخل لأنه يجمع هذه المتناقضات بل العكس هو الصحيح ، لأنه يدل على ثراء العمل الأدبي وخصوبته . **فالأديب عندما يبدأ في تأليف لا يحدد موقفه ولا يفكر في أنه سوف يطبق اتجاهات مدرسة معينة على عمله ، وإلا تحول إلى مجرد تطبيق ممسوخ وشائه لمبادئ هذه المدرسة . لكن روح العصر والتأثير والتأثر بالأعمال السابقة والمعاصرة ، والمجتمع الذي يعيش فيه الأديب : كل هذه العناصر تؤثر في الأديب ، سواء بطريقة واعية أو غير ذلك . ومن الواضح أن معظم المذاهب قد ارتبطت بعصور معينة لأنها عبارة عن بلورة أدبية لمناخ العصر نفسه .**

من ملامح الخصومة النقدية حول شعر المتنبي

★ المتنبي ★

بقلم: د. وليد قصاب

ظهر **أبو الطيب المتنبي** في القرن الرابع الهجري، فكان شخصية طاغية جبارة، فملأ الدنيا وشغل الناس، وما لبث أن أصبح موضع حركة نقدية، وخصومة أدبية تشبه تلك الحركة النقدية التي ثارت قبل ذلك حول أبي تمام الطائي.

على أن الذي لا شك فيه أن الحركة النقدية حول أبي تمام اختلفت كثيراً عن الحركة النقدية حول المتنبي، فقد كانت هذه الأولى أكثر غنىً فنياً، وأعظم فائدة، وأعود محصولاً على النقد الأدبي، وذلك أنها كانت في أغلب الأحيان حركة فنية محضة، عرضت **لمذهب الطائي** من جميع جوانبه بدقة وعمق، واستقصت كثيراً من عناصره ومقوماته، وبيَّنت ما في هذا المذهب الذي عُرف به أبو تمام من محاسن وسيئات، ومن فضائل وسقطات؛ فأرجعت هذا المذهب إلى أصوله وجذوره الأولى، ثم كان في الموازنة بينه وبين الطائي الآخر (**البحتري**) غنى كثير للأدب العربي ونقده؛ إذ وضعنا أيدينا من خلال هذه الموازنة على العديد من **خصائص الشعر العربي القديم** وسماته ومعالمه.

ثم عرضت هذه الحركة من خلال ذلك كله لكثير من القضايا النقدية الكبرى في أدبنا العربي. أما الحركة النقدية حول المتنبي فلم تكن بصورة عامة على مثل هذا الغنى؛ وذلك أن **الدافع إلى هذه الخصومة كان في أغلب الأحيان العداء الشديد لشخص الشاعر بالذات، ومحاولة إسقاطه بكل الوسائل**، أو كان التعصب له تعصباً مفرطاً، ومحاولة إبعاده عن المزالق والشبهات، وكلتا هاتين الوجهتين يمكن أن تبعد عن النقد الدقة والموضوعية، وروح العمق والاستقصاء والتحليل؛ فتجعله أحياناً كثيرة أشبه بعبارات الثناء والتقريظ، أو عبارات الذم والتثريب. أضف إلى ذلك أن الخصومة حول أبي تمام كانت خصومة حول شاعر صاحب مذهب واضح محدد، وقد أدرك النقاد طبيعة هذا المذهب وأبعاده وعناصره، ورأى فيه كثير منهم إفساداً للشعر، وخروجاً به عن طرائق الشعر العربي القديم.

أما المتنبي فإنه لم يسر على مذهب معيَّن، ولم يحاكِ أحداً من الشعراء أو يقلِّده تقليداً تاماً، وإنما اجتمعت في شعره كثير من خصائص الشعر العربي القديم، والشعر الحديث، وكان شعره في ذلك كله أصداء لحياته ونغمات نفسه.

ولم يستطع النقاد الذين تحدثوا عن المتنبي في غالب الأحيان أن يفهموا مذهبه ، أو يدركوا أبعاده الحقيقية ، فكان أنصاره يكتفون بتصوير [illegible] ، أو بتفسير معانيه الجيدة ، أو الدوران حول ما عرف به من حسن الابتداء أو حسن التخلص ، وما أشبه ذلك من الأمور الشكلية ، **وكان هجوم الخصوم على المتنبي الإنسان من خلال الشعر . وهكذا ظُلم شعر المتنبي : لأنه لم ينل حقه من الدراسة الواعية العميقة ، ولم يُوَفَّ ما هو جدير به من بحث ودراسة وتحليل** .

ولكن الذي لا شك فيه أن صنعة الشعر قد أصابها على يديْ أبي الطيب تطور بعيد ، أثار عليه الخصوم ، ولقي عند النقاد موجة من المعارضة الشديدة . وسنلم ببعض ما أثار النقاد القدماء على المتنبي ، وأحفظهم عليه ، حتى تتضح لنا بعض ملامح الخصومة النقدية حوله .

كان أبو الطيب شاعراً مثقفاً ، عميق الثقافة بكل ما عرفه عصره الزاخر من أنواع المعارف والعلوم ، وقد دخلت ثمرات هذه المعارف كلها إلى شعره . كان مطَّلعاً على **عقائد المتصوفية والشيعة** ، وملماً **بالفسلفة والمنطق** ، وقد أراد أن يجعل من الشعر معرضاً لذلك كله ، فدخلته عبارات المتصوفة المعقّدة ، ومصطلحاتهم المغلقة في التعبير والأداء ، وأسرف على نفسه في استخدام هذه الألوان حتى أوشك أن يتفوق على أهلها أنفسهم في بعض الأحيان . قال **الصاحب بن عبّاد** معلّقاً على بيت أبي الطيب :

نحن من ضايق الزمان له في
ك وخانته قربك الأيام

« لو وقع في عبارات **الجنيد والشبلي** لتنازعته المتصوفة دهراً طويلاً »[1]

كما دخلت الفلسفة شعره على نطاق واسع ، فاستخدم كثيراً من مصطلحات الفلاسفة وعباراتهم ومعانيهم ، كقوله :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم
إلا على شجب والخلف في الشجب
فقيل : تخلص نفس المرء سالمة
وقيل : تشرك جسم المرء في العطب

وقوله :

إلف هذا الهواء أوقع في الأن
فس أن الحمام مر المذاق[2]

حتى كاد الشعر يخرج عنده إلى طريق الفلسفة ، بل إن بعض النقاد لاحظ أن المتنبي ينقل أحياناً كثيراً من أقوال **أرسطو** وحكمه ، ويدخلها في شعره . وقد أخرج **الحاتمي** هذه الأقوال التي وافق فيها الشاعر كلام أرسطو في رسالة خاصة هي المعروفة **بالرسالة الحاتمية** ، ولكنه أقرَّ بتفوق المتنبي وبراعته في هذا المجال ؛ فقال : « وقد أتى في شعره بأغراض فلسفية ، ومعانٍ منطقية ، فإن كان ذلك منه عن محض ونظر وبحث فقد أغرق في درس العلوم ، وإن يك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة بالإيجاز والبلاغة والألفاظ الغريبة ، وهو في الحالين على غاية من الفضل . . »[3] .

اللغة الشعرية عند المتنبي

وتركت هذه المعارف بصماتها على اللغة الشعرية التي كان أبو الطيب يستخدمها ، فراحت تتعقد على يديه تعقداً شديداً ، لأنها لـمّا تألف بعدُ هذا اللون الجديد من المعاني والأفكار ، فراح يتصرف فيها تصرف المالك المستبد ، فاستكره كثيراً من الألفاظ ، وتصيَّد شواردها ، واستعمل الحوشيَّ الغريب منها ، كقوله مثلاً :

وما أرضى لمقلته بحلم
إذا انتبهت توهمه ابتشاكا

الذي علّق **الثعالبي** عليه قائلاً : « والابتشاك ، الكذب . ولم أسمع فيه شعراً قديماً ولا محدثاً سوى هذا البيت . . »[4] **وقد عرف المتنبي باطلاعه على اللغة اطلاعاً لا نظير له** ، كان من العارفين بأسرارها ودقائقها معرفة لا تكاد توجد عند أحد ، وقد شهد له بذلك علماء اللغة أنفسهم . قال **العباسي** في معاهد التنصيص : « كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة ، والمطلعين على غريبها وحوشيها ، ولا يُسأل عن شيء إلا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر » . حتى إن **الشيخ أبا علي الفارسي** قال له يوماً : كم لنا من الجموع على وزن (فِعْلَى) ؟ فقال المتنبي في الحال : (حِجْلَى وظِرْبَى) قال الشيخ أبو علي : فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد . .[5] وكان مزهواً بهذه المعرفة العميقة بشؤون اللغة ومسائلها ، وهو يأبى إلا أن يُدِلَّ بها ، ويدخلها في شعره متعمداً ، حتى يلفت النظر إلى مبلغ علمه وسعة اطلاعه . قال **ابن رشيق** : « كان يأتي بالمستغرب ليدل على معرفته »[6] وأضاف إلى ذلك ما يمكن أن يسعفه على هذا التوسع اللغوي ، ويفتح أمامه آفاقاً أوسع في التعامل مع اللغة ؛ فبدا وكأنه يؤثر **المذهب الكوفي** ، وينحو منحى أصحابه ، ويأخذ بطرائقهم في **النحو واللغة والصرف** ، فقد أقبل على شواذ اللغة التي يجيزها المذهب الكوفي الذي كان — في الواقع — أرحب صدراً ، وأكثر اتساعاً لقبول هذه الشواذ

والتساهل فيما خالف القياس منها ، فلاحظ العلماء أنه قد وقع في كلامه كثير مما يجيزه الكوفيون ، ولا يأخذ به البصريون ، ولا يدور إلا على ألسنة العلماء .

وهكذا كانت الظاهرة اللغوية في شعر المتنبي أمراً ملفتاً للنظر حقاً ، وكانت إحدى القضايا المهمة التي التفت إليها نقاد شعره وخصومه ، وتوقفوا عندها طويلاً .

كما توقفوا عند أسلوبه في **استخدام الاستعارة بشكل خاص ،** [redacted] الاستعارة عنده أحياناً عن حدها الذي ألفه القدماء . كان مقياس الجودة في التصوير عند القدماء القصد والإعتدال ، وعدم الإغراق والغلو ، فإذا شبه الشاعر اختار من الأشياء ما وضحت فيه الصلة بين المشبه والمشبه به ، وظهرت العلاقة بينهما ظهوراً واضحاً جلياً ، فتبدو الصورة عندئذ قريبة ، سهلة المأخذ ، ولكن المتنبي — ومن قبله أبو تمام — يُبْعِدُ في الاستعارة أحياناً ، ويُفْرِق في الصورة ، فتنبهم العلاقة بين طرفيْ التشبيه ، ويجافيها الوضوح . وقد عُدَّ ذلك من العيوب التي أخذت على أبي الطيب كما أخذت من قبل على الطائي . قال الثعالبي : « من عيوب المتنبي إبعاد الاستعارة ، والخروج بها عن حدها ، كقوله :

تجمعت في فؤاده همم
مل فؤاد الزمان إحداها

وقوله :

لم يحك نائلك السحاب وإنما
حمت به فصبيها الرحضاء

وقوله :

[redacted] فلقد شابت لـه كبـد
شيباً إذا خضبته سلوة نصلا

وقوله :

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا
فلا تحسبيني قلت ما قلت عن جهل

فجعل للزمان فؤاداً ، وللسحاب حُمَّى ، وللكبد شيباً . . . وهذه استعارات لم تجر على شبه قريب ولا بعيد ، وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من الوجوه المناسبة ، وطرف من الشبه والمقاربة »[٧] .

ولقد كانت هذه المآخذ بطبيعة الحال أموراً يسيرة هيّنة لا تنتقص من مكانة شاعر كبير كأبي الطيب ، ولكنها كانت ترد في شعره كالبقع السوداء في الثوب الأبيض ، كانت نتوءات خشنة قلقة تتلامح على صفحة شعره البراقة الممتعة ، فتفسد صفاء الصورة ، وتسيء إلى تناسقها والتئامها ، ويكون من ذلك ما ينغص على النفس ما تلقاه في هذا الشعر من روعة وجمال . ومن هنا كان من جملة مآخذ النقاد على أبي الطيب أن شعره متفاوت ، متباين في بعض الأحيان ، وأنه — على حد تعبير الثعالبي — يُتْبع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء ، فيفصح شعره بذلك عن كثرة التفاوت ، وقلة التناسب ، وتنافر الأضداد وتخالف الأبيات ، ويجمع بين البديع النادر ، والضعيف الساقط . يقول الثعالبي : إن أبا الطيب بينما « **يصوغ أفخر حلي ، وينظم أحسن عقد ، وينسج أنفس وشْي ، ويختال في حديقة ورد : إذا به رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة ، أو تغويص اللفظ ، أو تعقيد المعنى ، إلى المبالغة في التكلّف ، والزيادة في التعمّق ، والخروج إلى الإفراط والإحالة والسفسفة والركاكة والتبرُّد والتوحُّش باستعمال الكلمات الشاذة ، فمحا تلك المحاسن ، وكدر صفاءها . .** »[٨] .

ولقد كان باستطاعة أبي الطيب أن يصفي شعره من هذه الأدران التي تفسده حتى يعود مستوياً ، صحيح النسج ، ملتئم الأجزاء ، ولكنه كان كالطائي من قبل ضنيناً بمعانيه ، معتداً بكل ما يسوقه الخاطر ، ومن ثم لم يكن يردُّ شيئاً مما يقع له ولو كان تافهاً لا قيمة له . قال **أبو القاسم الأصفهاني** عنه : « وما كان يراد طبعه في شيء مما يسمح به . يقبل


★ أرسطو ★

الساقط الردّ، كما يقبل النادر البدع..»[٩].

.. والمعاني

والمتنبي بعد ذلك من أصحاب المعاني، والمهتمين بأمرها، وهو غواص عليها، مبحر في طلب النادر منها، حتى وقع له ــ كما لاحظ النقاد ــ كثير من الاختراعات والإبداعات الجيدة. قال أبو القاسم: «وأما الحكم عليه وعلى شعره، فهو سريع الهجوم على المعاني، ونعت الخيل والحرب من خصائصه..»[١٠].

وقد كانت هذه المعاني أول ما يقلق بال أبي الطيب، ويشغل اهتمامه، وهي إذا ما تهيأت له أفصح عنها في قوة واقتدار، وهجم عليها هجوماً بارعاً سريعاً، لا يعبأ أن تنبو اللغة أحياناً بين يديه، أو تنفر بعض الألفاظ، فهو بذلك من فصيلة أبي تمام الطائي، فصيلة المهتمين بالمعاني، المعنيين بأمرها، ولعلهما معاً كانا يشكلان ثورة عنيفة على تلك الفكرة الخطيرة التي استولت على أذهان الناس، فكرة أن القدماء قد استنفدوا المعاني، وسبقوا إلى كل مبتدع جيد فيها، وقد تمثلت هذه الفكرة في قولهم: «ما ترك الأول للآخر شيئاً» فكان **حبيب بن أوس** ومن بعده أبو الطيب نقضاً لها، ودعوة إلى هدمها، لما فيها من الخطورة والزيف.

أبو الطيب إذن يولي المعاني قدراً كبيراً من العناية والالتفات، وهو شديد الحرص على الوقوع منها على ما لم يقع للأوائل، أو يتفق لهم. قال ابن رشيق: ومن الشعراء «من يؤثر المعنى على اللفظ، فيطلب صحته، ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته، كابن الرومي، وأبي الطيب، ومن شاكلهما..»[١١].

ولكن هذه المعاني لم تكن تخلو في كثير من الأحيان من تعقيد وغموض، وهي تحتاج إلى غير قليل من التأمل، وإدامة النظر؛ فقد امتزجت ــ كما سبق أن أشرنا ــ بألوان متعددة من المعارف والثقافات داخلت الفلسفة نسيجها، ولوّنها المنطق ببعض قضاياه ومسائله الدقيقة البعيدة، وتفرعت إلى ذكر بعض من أمور العقائد والملل والنحل، واستخدمت مصطلحات أصحابها وتعبيراتهم الغامضة المغلقة في بعض الأحيان، كل ذلك أضفى على المعاني لوناً من الغموض والغرابة والعمق يجعلها تستعصي على النظرة العابرة، والتأمل السريع. وكم اختلف النقاد في فهم بعض قصائد المتنبي وأفكاره! ويبدو أنه كان على وعي كامل بما يثيره شعره من مناقشات، وما يستدعيه من خلاف وخصومة. أليس القائل:

أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم؟

بين المتنبي وأبي تمام

مما لا شك فيه أن تأثر المتنبي بأبي تمام كان كبيراً، فقد كان هو والبحتري من أحب الشعراء إليه. كان يحفظ ديوانيهما، ويعود إليهما في الحين بعد الحين. قال أبو القاسم الأصفهاني: «**وكان المتنبي يحفظ ديواني الطائيين، ويستصحبهما في أسفاره ويجحدهما، فلما قُتل توزعت دفاتره، فوقع ديوان البحتري إلى بعض من درس عليّ، وذكر أنه رأى خط المتنبي وتصحيحه فيه..**»[١٢] وقد تأثر بمعاني أبي تمام، وأخذ عنه كثيراً من هذه المعاني والأفكار[١٣]، كما تأثر بمذهبه في البديع الذي عد أبو تمام زعيماً فيه غير مُدافَع ولا مُنازَع،

وبلغ فيه مكانة لم يرقَ إليها شاعر آخر، وفي هذا المذهب بصورة خاصة تركزت الخصومة النقدية حول أبي تمام. وقد لفت الطائي الأنظار إليه بقوة، وكان محور اهتمام الشعراء والنقاد على حد سواء. تأثر به أبو الطيب تأثراً بعيداً، ولكن الحق أن ذلك إنما كان في صدر حياته، وفاتحة أشعاره الأولى. أما بعد ذلك فقد استوت الأداة الشعرية لدى المتنبي ناضجة قوية، وتميزت شخصيته الشعرية تميزاً واضحاً غدا معه علماً وحده، حتى صعب على النقاد أن ينسبوه إلى مذهب بعينه، وبدا وكأنه يشكل أمام النقاد مشكلة عويصة؛ فهم محتارون في أي مذهب في يسلكونه؟ مال به بعضهم إلى صنعة **مسلم بن الوليد** وأبي تمام وكأنه رآه من أصحاب **مذهب الصنعة**، وعدل به آخرون إلى طبع البحتري، ورأى **الجرجاني** في الوساطة أنه وسط بين المذهبين، فقال عنه: «فإنك لا تدّعي لأبي الطيب طريقة **بشّار وأبي نواس**، ولا منهاج **أشجع السلمي والخريمي**، ولو ادّعيته فإنما كنت تخادع نفسك، وتباهت عقلك، وإنما أنت أحد رجلين: إما أن تدعي له الصنعة المحضة فتلحقه بأبي تمام، وتجعله من حزبه، أو تدعي له فيه شركاً، وفي الطبع حظاً، فإن ملت به نحو الصنعة فضل ميل صيرته في جنبة مسلم، وإن وفرت قسطه من الطبع عدلت به قليلاً نحو البحتري. وأنا أرى لك إذا كنت متوخياً للعدل، مؤثراً للإنصاف أن تقسم شعره، فتجعله في الصدر الأول تابعاً لأبي تمام، وفيما بعده واسطة بينه وبين مسلم..»[١٤].

فمن الواضح إذن أن أبا الطيب لم يلتزم **مذهب البديع** كما التزمه أبو تمام، ولم يسرف فيه إسرافه، أو يغلو فيه غلوه، وقد يكون فعل ذلك في أول حياته وفاتحة شعره متأثراً بالطائي الذي ذاع صيته، وانتشر أمره، وكثر الحديث عنه وعن مذهبه في الشعر حتى حاول أن يقلّده كثير من الشعراء، ولكنه فيما بعد ذلك عدل عن هذا المذهب عدولا واضحاً، فكان في خير شعره بعيداً عن البديع وزخارفه.

وهكذا جمع المتنبي في شعره بين القديم والحديث، واستطاع أن



★ أبو نؤاس ★

يمزج ذلك كله مزجاً رائعاً قوياً ليخرج شعراً فيه الكثير من الفتنة والجمال . فهو في **باب المعاني** كأبي تمام ، غواص عليها ، مَعْنِيٌّ بأمرها ، يجهد أن يأتي منها كل جديد مبتدع ، وقد أدخل إلى هذه المعاني ـ كما فعل الطائي قبله ـ كثيراً من ثمرات معرفته وثقافته العميقة المتنوعة ، فيمزجها بالفلسفة والمنطق ، وبما أتيح له أن يطلع عليه من معارف المتصوفة والشيعة ، ولكنه في صياغته لهذه المعاني كان أقرب إلى أساليب القدماء ، وطرائقهم في التعبير التي اتهم أبو تمام مثلاً بالخروج عليها ، ومخالفته لسننها ؛ فهو لم يلتزم **مذهب البديع** ، ولم يسرف فيه ، وإن كان أثر أبي تمام قد بلغه في أول حياته وهو بعدُ شاب يخطو في طريق الشعر ؛ فإنه ما لبث أن طرح عنه هذا الأثر ، واستقلت له شخصيته المتميزة الواضحة التي لا تخطئها العين ، شخصية أبي الطيب الذي ملأ الدنيا وشغل الناس .

ومهما يكن من أمر فإن شعر المتنبي ـ كما عرضنا لأبرز ملامحه فيما تقدم ـ كان موطن خصومة نقدية شديدة ؛ فقد صدم هذا الشعر بعض الأذواق ، وآخذ النقادُ الشاعرَ لجرأته على اللغة ، واعتسافه لطرقها ، وتصرفه فيها تصرف سيطرة واستبداد ، وساءتهم مبالغاته التي تصل أحياناً إلى حد الإحالة ، وركوبه الصعب من المعاني والأفكار التي تحيل الشعر مادة جافة تحتاج إلى غوص واستنباط حتى يُفهم المراد منها . . ولو وقف الأمر عند هذا الحد لهان الخطب ، ولما كانت الخصومة فيه على مثل هذه الضراوة والعنف ، ولكن المتنبي يصدم الأذواق أيضاً بشخصه . فهو إنسان متعاظم متشامخ ، على حد كبير من الغرور والصلف والكبرياء ، يستهين بكثير من الناس ، ولا يقيم لهم وزناً ، وهو معتد بشعره ، يكاد يجعله كالسحر تأثيراً ونفوذاً .

ومن هنا كانت الخصومة حول المتنبي ـ كما ذكرنا في أول المقال ـ ذات وجهين : خصومة حول شعره تركزت في تلك المآخذ التي عرضنا لأبرزها ، **وخصومة حول شخصه** ، وقد رافقته حيثما اتجه . بدأت في **حلب** وهو في بلاط **سيف الدولة** ، ثم انتقلت معه إلى بلاط **كافور الإخشيدي** في **مصر** ، وعادت معه إلى **بغداد** ، ثم رافقته كذلك إلى **أرَّجان** حيث نزل **بابن العميد** .

وقد سبق أن أشرنا في أول الكلام إلى أن هذه الحركة النقدية التي ثارت حول شعر أبي الطيب لم تستطع أن توفي هذا الشعر حقه ؛ فلا الخصوم ولا الأنصار استطاعوا أن يفهموا مذهب الشاعر فهماً عميقاً واعياً ، أو يعطوه ما يستحق من البحث والدرس والتحليل الذي يقفنا على الخصائص الفنية الجوهرية التي يتسم بها هذا الشعر العظيم ، بل توقف الطرفان كلاهما : من كان متحمساً له ، ومن كان متعصباً عليه ، عند أمور شكلية ثانوية لا تدخل في لب الشعر ، ولا تنفذ إلى روحه وجوهره .

ولعله تتاح لنا فرصة أخرى نستعرض فيها هذه الحركة ، ونتوقف عندها بشيء من العمق والاستقصاء . .

الهوامش

١ ـ يتيمة الدهر ، للثعالبي : ١/ ١٤٥ .
٢ ـ المصدر السابق وصفحته .
٣ ـ الرسالة الحاتمية : ٢٣ .
٤ ـ يتيمة الدهر : ١/ ١٣٣ .
٥ ـ معاهد التنصيص : ١/ ١١ .
٦ ـ العمدة لابن رشيق : ٢/ ٢٠٥ .
٧ ـ يتيمة الدهر : ١/ ١٣٧ .
٨ ـ المصدر السابق : ١/ ١٢٥ .
٩ ـ الواضح في مشكلات شعر المتنبي : ٣٨ .
١٠ ـ المصدر السابق وصفحته .
١١ ـ العمدة : ١/ ٢٦ .
١٢ ـ الواضح في مشكلات شعر المتنبي : ١٠ .
١٣ ـ أورد الجرجاني في كتابه الوساطة بعض هذه المعاني ، انظر : ٢١٦ ـ ٢٢٦ .
١٤ ـ الوساطة : ٥ .

الرد على الهاتف

(١) مخطوطة شهيد علي

حصلت على صورة من هذا المخطوط عن فيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .. وأصل المخطوط بمكتبة شهيد علي بالأستانة برقم (٢٧٠٤) .

وقد وصف **الدكتور إحسان عباس** هذا المخطوط بقوله :

« يرجع تاريخ نسخه إلى القرن العاشر الهجري مكتوب بخط نسخ جميل ، ولكن ما يكاد القارئ يمضي في سطوره متأملاً حتى يحكم بأن جمال خطه يحجب وراءه كثيراً من الخطأ والتحريف » .

ويحتوي المخطوط على ٢٦٥ ورقة .. وفي كل ورقة ٢٣ سطراً .. وفي كل سطر عدد من الكلمات يتراوح بين ١٠ و ١١ كلمة[١] .

قال أبو عبد الرحمن :

الناسخ هو فيما يترجح لي : **محمد بن علي بن عطية بن علوان الصوفي شمس الدين الحموي الشافعي ، توفي سنة ٩٥٤ هـ**[٢] .

قال :

« الحمد لله ، وبعد فقد قرأ كاتبه محمد بن علي الحموي ... (؟) الشافعي الواعظ : هذه الرسالة في علم الكلام المسماة بالدرة من تأليف **ابن حزم** قراءة بحث وتحقيق على **الشيخ العلامة شهاب الدين أحمد الميلي المالكي** . وقرأت عليه قراءة بحث كتباً كثيرة ، وسألته فسح الله من أجله أن يجيزني بإقرائها وبإقراء غيرها من كتب الأصول ، والفروع ، والعربية ، والسير والحديث فأجازني بجميع ذلك ، وبكل ما يجوز له وعنه روايته . والله أعلم »[٣] .

وقال في موضع آخر :

« الحمد لله الموفق للصواب ، وبعد :

فقد قرأ كاتبه العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي ... (؟) الحموي الشافعي هذا الكتاب ، وهو **كتاب « المحلى » لابن حزم** من أوله إلى آخره قراءة **بحث وتحقيق** على الشيخ العلامة شهاب الدين أحمد الميلي المالكي .

وقرأت عليه كتاب الدرة لابن حزم في علم الكلام ، وهو يتلو هذا الكتاب في هذا المجموع من أوله إلى آخره قراءة بحث وتحقيق .

وقرأت عليه أيضاً **كتاب الجامع لابن حزم** من أوله إلى آخره قراءة بحث وتحقيق وقرأت عليه أيضاً **كتاب العظائم لابن حزم** من أوله إلى آخره قراءة بحث وتحقيق .

وقرأت عليه ـ أيضاً ـ كتاب « **الليث العابس في صدمات المجالس** » من أوله إلى آخره قراءة بحث وتحقيق وكنت قرأت عليه قبل هذه الكتب كتباً كثيرة ، وأجازني بها وبغيرها .

وسألته ـ فسح الله من أجله ـ : أن يجيزني بإقراء هذه الكتب لمن أشاء في أي مكان شئت ، وبإقراء غيرها من كتب الكلام ، وأصول الفقه ، والفلسفة ، والتصوف ، وغيرها فأجازني بذلك ، وبكل ما يجوز له وعنه روايته والله أعلم . أهـ » .

وأسفل هذا الكلام :

« الحمد لله رب العالمين . صحيح ذلك . كتبه الفقير أحمد الميلي المالكي »[٤] .

قال أبو عبد الرحمن :

ولم أهتد إلى معرفة أحمد الميلي المالكي .. وربما قابل الحموي نسخته على نسخة شيخه أحمد الميلي ..[٥] وعلى النسخة التملكات التالية :

١ ـ تملك يحيى بن عبد الرحيم بن محمد العلوي[٦] .

٢ ـ تملك أسير سجن الهجر : محمد بن الفخر في محرم سنة ٩٦٩ هـ[٧] . ولم أهتد إلى معرفة ابن الفخر الذي عاش إلى هذا التاريخ .

وهناك **محمد بن الفخر توفي سنة ٨٦٧ هـ**[٨] .

٣ ـ **تملك إبراهيم المشتهر بالحجاري**[٩] ولعله المتوفي سنة ١٣٢٣ هـ[١٠] .

وفي إحدى الصفحات :

نظر هذا الكتاب محمد بن ... (؟) بن العجب[١١] ولقد طبع الدكتور إحسان عباس بعض محتويات هذا المخطوط في مجموعتين الأولى بعنوان : **رسائل ابن حزم الأندلسي** ، ط م دار الهنا بشارع الصحافة ببولاق مصر عام ١٩٥٦ م ، والناشر **مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد .**

والثانية بعنوان : الرد على ابن النغريلة اليهودي ، ورسائل أخرى لابن حزم الأندلسي ، ط م المدني ـ **المؤسسة السعودية بمصر** عام ١٣٨٠ هـ ، **والناشر مكتبة دار العروبة ٢٢** شارع الجمهورية القاهرة وأشار **فؤاد البستاني** إلى أن **ريتير**[١٢] هو الذي اكتشف هذه المخطوطة باستانبول[١٣] وقد نشر **آسين بلاثيوس**[١٤] دراسة عن ابن حزم بمجلة الأندلس المجلد الثاني عام ١٩٣٤ م ، وضمنها شواهد من هذا المخطوط[١٥] .

وعلمت أن كتاب الأصول والفروع طبع محققاً بالقاهرة هذا العام ..

ويقوم شيخنا **إسماعيل الأنصاري** بتحقيق رسالة ابن حزم عن الإمامة ، ومجموعة من فتاواه وردت في مخطوط شهيد علي بعنوان « **رسالة في أرواح الأشقياء** » بالإضافة إلى رسالة لابن حزم عن البيوع المنهي عنها



بقلم: أبو عبد الرحمن بن عقيل

اجتلبتها من **مكتبة چستربتي بدبلن عاصمة إيرلندا .**

قال أبو عبد الرحمن : وأقوم الآن بتحقيق رسالته « الدرة » كما سبق لي تحقيق رسالته عن نجاسة الكلب . . وعما قريب ـ إن شاء الله ـ تكون مخطوطة شهيد علي بكاملها في متناول القراء .

(٢) فذلكـة

هذه الرسالة ضمن مخطوط شهيد علي المارة الذكر ، تبدأ بورقة ١٦٣/ ب ، وتنتهي بنهاية الورقة ١٦٧/ ب .

مقاس الصفحة ١٣/ ٧,٥ سم . (٢٣ سطراً) .

وهي ضمن الرسائل التي طبعها أستاذنا الدكتور إحسان عباس في المجموعة الأولى . . وليس في تحقيق الدكتور نقص يحوج إلى إعادة تحقيق هذه الرسالة . . وإنما مست الحاجة لطبعه ، لأن طبعته نفدت من الأسواق ، ولأن موضوعه من النوادر التي يتطلبها هذا السفر .

ويذكر أبو محمد : أن رسالته هذه رد على أحد كتابين وردا عليه لم يكتب كاتبها اسمه فيها . . ولم يصرح أبو محمد باسم المردود عليه في عنوان الرسالة بل وصفه بالهاتف من بعد ، لأن الهاتف استتر باسمه استتار الهرة بما يخرج منها !

وفي أثناء الرسالة وصفه بكاتب الصحيفة الخاسئة ووصفه بأنه مالكي ، لأنه سلك تقليد مالك . . ثم صرح بآخر اسمه إذ قال :

وقد استتبنا اللعين المريد المرتد المتوجه إليكم بهذه الأكذوبات المفتراة والفضائح المفتعلة وهو ابن البارية[١٦] .

فابن حزم يعرف صاحب الصحيفة الخاسئة ، ولكنه تجاهل اسمه في العنوان وفي كثير من أثناء الرسالة احتقاراً له ، ولأنه هو استتر باسمه استتار الهرة بما يخرج منها .

إلا أن كلمة البارية بالراء وردت في الأصل هكذا : البادية بالدال .

قال أبو عبد الرحمن :

الراجح عندي أنه تحريف من الناسخ ، وأن الصواب البارية بالراء .

وهو أبو الوليد بن البارية الميورقي

قال عنه **القاضي عياض :** من فقهاء ميورقة . . له مع أبي محمد ابن حزم الظاهري مناظرة في اتباع مالك . تعصب فيها عليه ابن حزم حتى حمل الوالي على سجنه واستهانته . وقد ذكر خبره **القاضي أبو الوليد الباجي** في كتاب الفرق . أهـ .[١٧]

قال أبو عبد الرحمن :

ويرجح ذلك أمور :

●● أولها : أنني لم أجد علماً معاصراً لابن حزم يعرف بابن البادية بالدال .

●● وثانيها : أن احتمال التحريف قوي بين بادية ، وبارية .

●● وثالثها : أن لابن البارية علاقة بابن حزم .

●● ورابعها : أن الرسالة مناظرة في ضرورة التقليد . . وهذا ما عبر عنه القاضي عياض : بأن بينهما مناظرة في اتباع مالك .

●● وخامسها : أن ابن حزم حمل الوالي على سجن ابن البارية كما قال عياض .

فهذا الحديث له قرينة من كلام ابن حزم إذ صرح في الرد على أنه استتاب ابن البارية فلعل هذه الاستتابة نتيجة السجن .

ولم أجد لابن البارية ذكراً في كتب المغاربة وطبقات المالكية غير إفادة القاضي عياض . . وهذا يدل على أن ابن البارية من العامة الذين لا خطر لهم في العلم ، وذلك واضح من صحيفته الخاسئة . . ويبدو أن رسالة ابن البارية وصلت إلى أبي محمد بواسطة أحد تلاميذه ، لأنه يقول : وقد استتبنا اللعين المرتد المتوجه إليكم بهذه الأكذوبات ، ويذكر أبو محمد أن هذه الرسالة هي الرد الثاني ، لأنه أجاب عن الأول بما يقتضيه سفه كاتبه .

(٣) تاريخ تأليفه

بناء على ما سبق فإن أبا محمد ألف رسالته هذه في حدود سنة ٤٤٠ هـ ، لأن استتابته لفقيه مالكي : تدل على أن له سلطة سياسية .

ولم تكن لأبي محمد مثل هذه السلطة منذ تخليه عن الوزارة ، واتجاهه للعلم إلا في ذلك العام ، حيث كان في تأييد وحماية **ابن رشيق والي ميورقة .**



وفي الرسالة إشارة إلى أتباع ابن حزم وأصحابه ، وإنما شهر أبو محمد بالأتباع والأصحاب في ميورقة وفي الرسالة أنه لا يحفل بتهديد المالكية وهذا يعني أنه يتكلم من منطق القوة في حماية ابن رشيق ووجه أبو محمد رده على ابن البارية إلى تلاميذه بميورقة ، لأنه يشير إلى ابن البارية بضمير الغائب ، ويخاطب قارئاً آخر .

وهذا الرد قبل إحراق **ابن عباد** لكتب أبي محمد ، لأنه يقول :

« وكتبنا حاضرة مشهورة ظاهرة منشورة » .

وفي الرسالة تهديد له بأنه إن لم ينتبه من رقدته ، ويستيقظ من غفلته ويبادر بالتوبة من عظيم ما اقترف : فسيرد فيه وفيمن يقصده ويترك أن يقيم فيه حق الله من أجوبة أهل العلم في أقطار الأرض ما سيعلمه . . إلخ .

فلعلهم يعنون بذلك ما أشار إليه أبو محمد في رسالته الثانية . . ولعلهم يهددون بمكاتبة علماء آخرين من المشرق ، ويكون هذا إنذاراً بقدوم أبي الوليد الباجي الذي ناظر أبا محمد في ميورقة . . وقد يكونون يعنون هذا وذاك .

ومما يدل على أن ابن حزم في عز من أصحابه في ظلال ابن رشيق وقت تأليف الرسالة قوله :

« العلماء والله قسمان لا ثالث لهما :

إما عالم موافق ، وإما عالم أداه اجتهاده إلى مخالفتي ، فهو : إما سالك طرق أهل العلم في حسن المعارضة والمخاطبة بالحجة لا بالخبط والتخليط والحماقة . وإما ممسك ساكت » .

فهو هنا عالم مجتهد كل الفقهاء ما بين موافق له أو مخالف . وهو يلوح إلى متقحم للمناظرة بغير علم وهم عامة فقهاء عصره من المقلدين .

كما يلوح إلى مناظرة بحجة ، ولا نعلم مناظراً له بحجة غير أبي الوليد الباجي .

فلعله ألف هذه الرسالة في آخر عهده بميورقة أثناء مناظرة الباجي له وبعد خروج ابن البارية من السجن لأنه نص على أنه استتابه ، والاستتابة تكون عند الإفراج عنه .



(٤) قيمة هذه الرسالة ومنهجه فيها

هذه الرسالة لا تنطوي على قيمة علمية ، بل هي شبيهة بمهاترات الصحافة اليوم ، وإنما تستمد قيمتها من أمور خمسة :

★ أولها : أن مؤلفها أبو محمد .

★ وثانيها : دلالتها على أن أبا محمد قد يعذر في عنف عبارته ، لأنه بلي بعوام لا يحسنون الحوار إلا بمثل هذا السفه الذي كتبه ابن البارية .

★ وثالثها : دلالتها على أسباب العداء الشديدة من قبل عوام الفقهاء من المالكين ضد أبي محمد .

★ ورابعها : دلالتها على أن أبا محمد متين الدين متورع صدوق ، لأنهم وصفوه بقلة الدين وعللوا ذلك بأصول مذهبية أداه إليها اجتهاده ، ولو كانوا يعلمون فيه شيئاً يزن به لما أحجموا ، لأنهم لم يبخلوا بكل ما لديهم من سفه .

★ وخامسها : دلالتها على منهج ابن حزم في الجدل رغم صغر حجمها ، فقد اتبع فيها معظم طرق الجدل على هذا النحو :

١ ـ البراءة من الدعوى الشنيعة بتكذيبها .

وقد تنصل من جميع اتهاماتهم له حاشا قوله ببطلان تقليد الصحابة ، وعدم إنكاره اطلاعه على كتب الأوائل .

٢ ـ عكس دعواهم الكاذبة عليه بدعوى صحيحة عليهم دون إثبات لدعواه كدعواهم عليه قلة التمييز بما يراه باطلاً ودعواه قلة تمييزهم هم بما يراه صحيحاً . . وهذا هو اغتصاب الدعوى من الخصم .

٣ ـ عكس دعواهم عليه بدعوى له معللة . . فهم يتهمونه بخبث السريرة فينفي ذلك ويدعي حسن السريرة معللاً ذلك باتباعه للشرع .

٤ ـ اتخاذ مبدأ المباهلة في عكس الدعوى عليهم ورفعها عنه أو إثباتها ورفعها عنهم ، ذلك أنهم اتهموه بخبث السريرة فدعا إلى لعن خبيث السريرة .

٥ ـ اتخاذ مبدأ القسمة العقلية الحاصرة في الإلزام : إما بفساد الدعوى أو جورها ، ذلك أنهم عللوا بطلان مذهبه بتعويله على كتب الأوائل فألزمهم بالقسمة الحاصرة .

فإن كانوا قرؤها فما هو الإلحاد فيها ؟ .

فإن لم يبينوا ذلك فدعواهم فاسدة !

وإن كانوا لم يقرؤها فكيف أنكروها ؟

وهذه دعوى جائرة !

٦ ـ المطالبة بإقامة الدعوى ، وذلك أنه سأل عن الإلحاد في كتب الأوائل .

٧ ـ إحالة الدعوى ، وذلك أنهم اتهموه بدعوى أنه صح له من الحق ما لم يصح للصحابة .

وهذه دعوى محالة فكيف يدعي هذا وهو لا يقول بغير السنن التي نقلوها إليه .

٨ ـ إبعاد الدعوى عن محل النزاع . . قالوا : إنه نبغ في آخر

الزمان . . ولا ينكر أبو محمد هذا ، وإنما ينكر تأثيرها في الاعتداد باجتهاده ، لأنه وفق لاتباع الشرع ، ولأن المحقين في آخر الزمان هم الغرباء بصريح النص الصحيح . . ودعوا عليه بأن يريح الله منه العباد فقال : محل هذا الدعاء على الكافر لا على المؤمن .

٩ ــ الإلزام بأصل المذهب ، فقد عابوا عليه إنكاره تقليد الصحابة مع أنهم يقلدون مالكاً ومالك لا يرى تقليد الصحابة .

١٠ ــ الإلزام بلازم المذهب :

فقد الزمهم بأنهم لا يحتفون بكلام الصحابة ، لأن ذلك لازم لهم من تقليدهم لمالك .

١١ ــ عكس الدعوى غير المبرهن عليها بدعوى غير مبرهن عليها . فقد اتهموه بأنه يفتي في كتبه بما ليس في القرآن والسنة . فعكس دعواهم بأن هذه صفتهم .

١٢ ــ رفع الجدوى من كلام الخصم على الحقيقة :

دعوا عليه بالموت ، وهو يرى أن هذا دعاء لا يحقق لهم جدوى ، لأنه لو مات ما سد قبورهم ولما وفر عليهم رزقاً ، ولأنه إن مات عاجلاً أو آجلاً فسيان فقد خلف لهم مؤلفات تغيظهم في حياته وبعد مماته .

١٣ ــ رفع الجدوى من كلام الخصم على التأويل :

قالوا له : أنت نائم !

فقال : نحن نيام إذا نمنا أيقاظ إذا استيقظنا . . فصرف كلامهم إلى عادة الناس غير المؤثرة . . وإنما أرادوا غفلته المؤثرة حال يقظته .

وقالوا : إنه جاهل .

فقال : إنه يجهل كثيراً مما علمه غيره .

فصرف كلامهم إلى الجهل المراد في العالم المتناهي المعاكس للعلم اللامتناهي . . وإنما أرادوا جهله بما يدعي أنه يعلمه ، ولا يريدون جهله بكل ما علمه غيره .

فهذه الرسالة الصغيرة صورة لجدل ابن حزم في كثير من وجوهه .

(٥) موجز باتهامات ابن البارية لابن حزم

١ ــ أن ابن حزم يطعن في سادات المسلمين وأعلام المؤمنين ويقذفهم بالجهل والقول في دين الله تعالى بما لم يأذن الله به .

٢ ــ أنه اتهم الصحابة بابتداع الرأي مما لم يأذن به الله تعالى وأنهم أحدثوا بعد موت نبيهم ما لا يجوز .

٣ ــ أنه انطوى على خبث سريرة وأبدى بلفظه ما يجنه ويستره .

٤ ــ أنه قليل الدين والتمييز ضعيف العقل .

٥ ــ أنه ادعى حقاً صح له ولم يصح للصحابة وهذا غير مقبول منه لأنه في ذنب الدنيا .

٦ ــ أنه متناقض ينهي أصحابه عن تقليد الصحابة ويأمرهم بتقليده هو .

٧ ــ أنه يقصد التمويه والتطرق إلى أسباب يريدها ولعلهم يريدون بذلك حب الرئاسة .

قال أبو عبد الرحمن : وقد كذب ابن البارية في كل ذلك .

٨ ــ أنه ينكر تقليد الصحابة .

٩ ــ أن اطلاعه على كتب الأوائل أفسد اجتهاده .

وأبو محمد لا ينكر القول ببطلان تقليد الصحابة ولا ينكر اطلاعه على كتب الأوائل . أما إفسادها لاجتهاده فلم يتطرق للمحاجة في ذلك وقد بين في مواضع أخرى من كتبه أن كتب الأوائل عظيمة النفع وبرهن على ذلك ، فرحمة الله عليه ما أرحب أفقه !

(٦) حديث أبي محمد عن نفسه

قال رحمه الله :

وأما نحن فلا نفني ليلنا ونهارنا ، ولا نقطع أعمارنا ولله الحمد كثيراً إلا بتقييد أحكام القرآن ، وضبط آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة أقوال الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والفقهاء من بعدهم رحمة الله على جميعهم .

لا تقدر على إنكار ذلك وإن رغم أنفك ، ونضحت كبدك غيظاً . أ هـ .

وفي موضع آخر من هذه الرسالة :

يحمد الله الذي علمه من فضله كثيراً ، ويشكره على ما وهب من قوة الحس وتمام التمييز .

وفخر في هذه الرسالة بمؤلفاته التي كانت حزناً لأعدائه ، وذكر في موضع آخر أن مؤلفاته حاضرة مشهورة ظاهرة منشورة .

(٧) كلامه عن أهل عصره

رد أبي محمد على ابن البارية رد على عموم المالكية في الأندلس في عصره ، ويكاد يكون رداً على عصابة من عوامهم تحزبوا ضده ، لأنه كثيراً ما يلتفت بالخطاب من المفرد إلى الجماعة ، فهو يعرض بجيل معرضين عن القرآن والسنن متدينين بالرأي والتقليد لا يعرفون غيره مخالفين لكل إمام سلف أو خلف .

ويشنع عليهم بأن تقليدهم لمالك يلزم منه أن أقوال الصحابة لا ينبغي أن تكتب وفتاواهم لا يجب أن تطلب وأنهم كلهم أخطأوا إلا فيما وافق تقليدهم فقط .

فهذا هو الذي لا يقدر أحد على إنكاره من فعلهم لشده اشتهاره .

ويرى أنهم استغنوا بالرأي عن القرآن واكتفوا بالتقليد عن سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فما يتعنون في نقل سنة ولا يشتغلون بحكم آية . . وهذا أمر لا يقدرون على جحوده .

ويرى أنهم أحدثوا سبيل الرأي والتقليد وأضربوا عن القرآن والسنة ، وأنهم أعرضوا عن القرآن والسنن وعادوا أهلها واتكلوا على التقليد .

ويعلل سفه ابن البارية بقلة اشتغاله بالقرآن وعهوده تعالى فيه .

ويرى أن ذمهم زين لمن ذموه ومدحهم غضاضة على من مدحوه ،

لأنهم لا ينطقون عن حقيقة وإنما هم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً .

ويندد بهم إذ أقبلوا على ما نهاهم الله عنه من التقليد وإعراضهم عما أمرهم الله به من اتباع ما جاء به **الرسول صلى الله عليه وسلم** وابن البارية كأنموذج لأولئك العامة تقحم في الفتيا قبل أن يستفتى وتهالك في السخف .

ويعتجب أبو محمد من مطالبتهم له بالرجوع إلى رأي مخلوق لا يغني عنا من الله شيئاً بحيث نقلده أمر ديننا ويرى أن المقلد خالف كتاب الله واطرحه وراءه ظهرياً وأطاع غيره . . وهم بتقليدهم يظنون أنهم وقعوا من التقليد على علم غاب عن جميع الأمة .

(٨) كلامه عن مذهب مالك

ينقل لنا أبو محمد قول **مالك بن أنس** رحمه الله : « لا يقلد صاحب ولا من دونه » .

ويقول أبو محمد : « لا يختلف اثنان أنه لم يكن قط في أصحابه رضي الله عنهم مقلد لأحد ولا موافق لجميع أقوال مالك .

(٩) مذهب ابن حزم

يرى أبو محمد أن سنة الصحابة ترك التقليد ، ورفض القياس ، واتباع القرآن والسنن ، ويقول : نقبل ديننا عن الصحابة رضي الله عنهم وهم حجتنا فيما نقلوه إلينا وفيما أجمعوا عليه وإن لم ينقلوه مسنداً ، ثم عن التابعين الثقاة ، وأفاضل الرواة وهكذا عمن بعدهم من المحدثين .

ويقول : لا نقول بغير السنن التي نقلوها إلينا ، وعرفونا بها ، ولا نتعداها ، وليس عندنا شيء من الدين إلا من قبلهم ونقلهم .

وأبو محمد ينكر القول بتقليد الصحابة فمن دونهم وهو بذلك موافق لجميعهم في نهيهم عن ذلك بلا خلاف . . وهذا أمر صح به إجماع الأمة كلها .

ويقول : « لا نتعصب لواحد من الفقهاء على آخر ، ولا نحتج بأحد دون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا نتخذ دون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وليجة .

وكيف لا نقطع بذلك وقد وفقنا الله تعالى لملة الإسلام ثم لنحلة أهل السنة أصحاب الحديث ثم يسرنا لاتباع القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين .

وهذه هي الحقائق التي يقطع كل مسلم على أنها الحق عند الله عز وجل وأبو محمد إنما يعلن باتباع كلام الله عز وجل والسنن المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين .

وقد يسر الله لأبي محمد سلوك طريق الصحابة والتابعين وأهل القرون الممدوحة ثم من بعدهم أئمة المسلمين وأعلام المحدثين . . وفقه الله لاتباعهم والتمسك بطريقتهم .

وقال أبو محمد :

« وما نحض أصحابنا وغيرهم ولا تملأ كتبنا إلا بالأمر باتباع القرآن وسنن النبي صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة ومطالعة أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء وعرضها على كلام الله عز وجل وكلام نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلأيهما شهدا قلناه .

وأبو محمد لا يفتي في كتبه بما ليس في القرآن والسنة . . ويقول :

عماذا نتوب ؟ .

عن اتباع القرآن ، وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة واتباع جميع الصحابة رضي الله عنهم ، وسلوك سبيل كل عالم في الأرض من المؤمنين ؟!



الهوامش

(١) مقدمة المجموعة الأولى ، ص ، أ ، من رسائل ابن حزم .
(٢) هدية العارفين ٢ /٢٤١ .
(٣) مخطوطة شهيد علي ، ورقة ١٤٤ / أ .
(٤) ورقة ٩٣ / أ .
(٥) انظر ورقة ٢٧٠ / أ .
(٦) ورقة ٤ / ب .
(٧) ورقة ٢٧٠ / أ .
(٨) انظر « هدية العارفين » ٢ / ٢٠٣ .
(٩) ورقة ٣ / ب .
(١٠) انظر « معجم المؤلفين » ١ / ١٩ .
(١١) ورقة ٢٧٠ / أ .
(١٢) انظر عنه « المستشرقون » ٢ / ٧٩٦ _ ٧٩٧ .
(١٣) ابن حزم _ الأخلاق والسير ، ص ١٤٥ : من سلسلة « الروائع » .
(١٤) انظر عنه « المستشرقون » ٢ / ٥٩٥ _ ٥٩٧ .
(١٥) انظر دول الطوائف ، ص ٤٠٤ ، وص ٤٠٥ _ ٤٠٦ ، ومجموعة إحسان عباس الثانية ، ص ١٧٦ حاشية .
(١٦) وردت في الأصل ، وفي طبعة الدكتور إحسان هكذا « البادية » بالدال .
(١٧) ترتيب المدارك ٤ / ٨٢٦ .

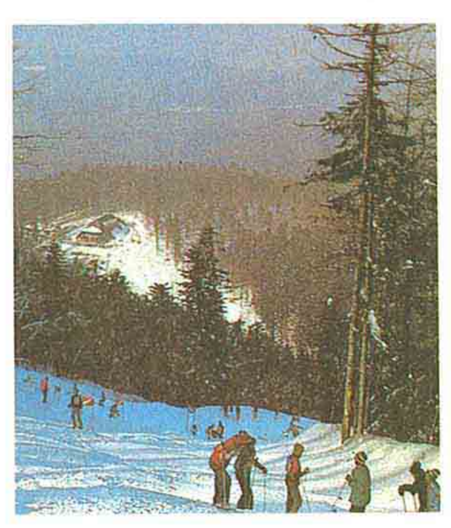


مغارات الصواعد والنوازل في بوستونيا

بقلم: أنور حموي كديمي

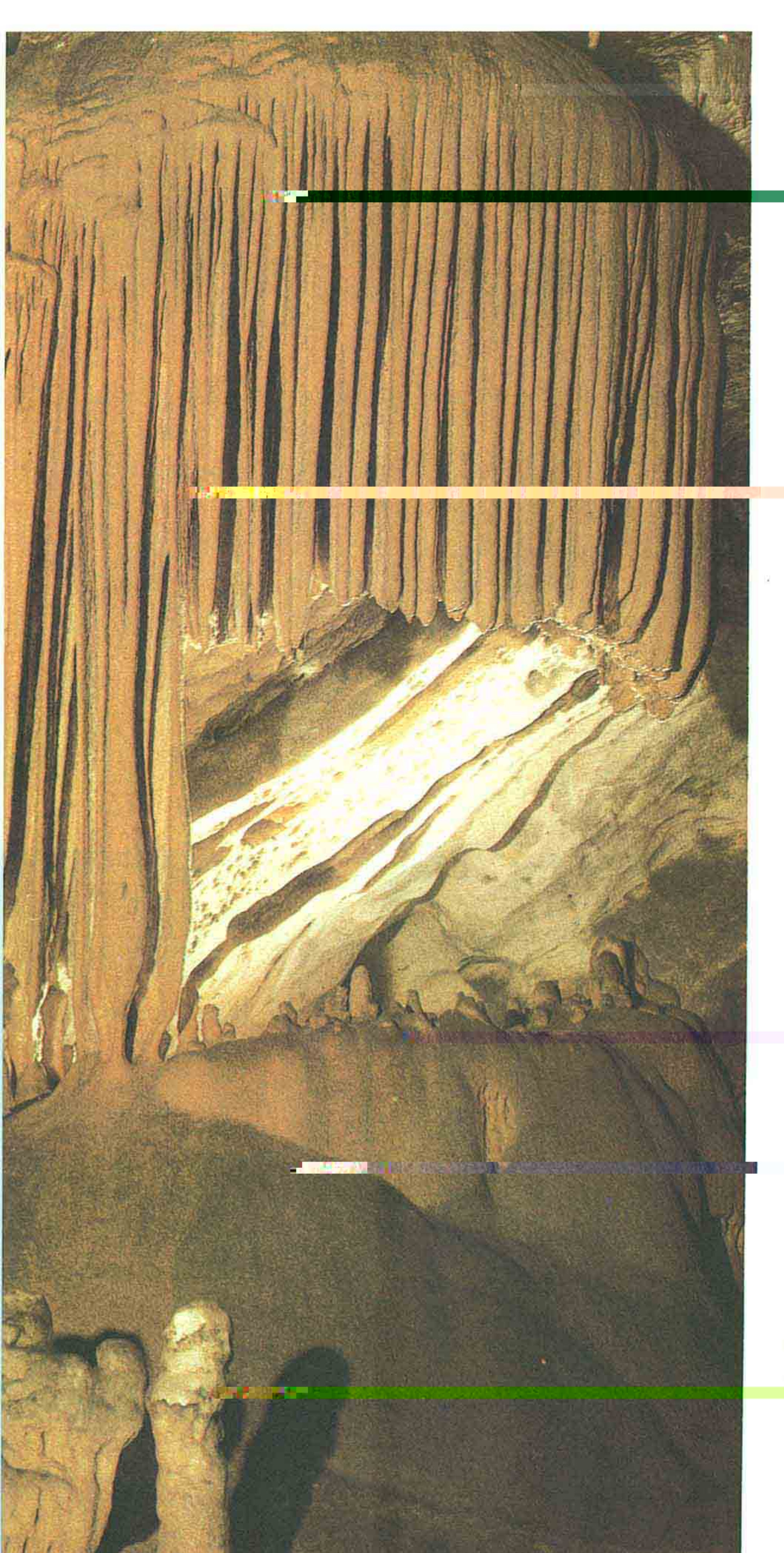
في صيف عام ١٩٥٥ م، نظم **مركز سرس الليان الدولي للتربية الأساسية في المنوفية بمصر العربية** لخريجيه من الدفعة الثانية رحلة إلى أوروبا وكنت أحد هؤلاء الخريجين وكان عددنا (٤٥) مبعوثاً ومبعوثة من تسع دول عربية. وقد مررنا بمصيف (**لوبليانا**) وزرنا مغارة (**بوستونيا**) وتمتعنا بمشاهدها الغريبة الخلابة.

والآن بعد مضي ما يقرب من ربع قرن على تلك الزيارة، اطلعت على عدد **مجلة Revue اليوغوسلافية** العدد ١ ـ ٢ لعام ١٩٧٩ م، الصادرة في **بلغراد** حيث نشرت مقالا مصوراً بقلم (**سريكو ساجان**) عن تلك **المغاور الشهيرة التي اكتشفت منذ ستين عاماً، وأصبحت الآن من أكثر الأماكن الأثرية شهرة في يوغوسلافيا**.



★ مركز رياضة الشتاء في «كالبيك» يقع على بعد ٦كم من بوستونيا ★

★ قطار المغامرات الذي ينقل الزوار ★



في الجزء الشمالي الغربي من يوغوسلافيا في جمهورية سلوفيني، في منتصف الطريق بين مدينة (لوبليانا) اليوغوسلافية ومدينة (**تريستا**) الإيطالية، وفي أرض كارستية تمتد مغاور بوستونيا مع (٢١) كيلومتراً من المعابر والصالات المكتشفة حتى هذا اليوم.

كان ذلك في نيسان (أبريل) عام ١٨١٨ م، حين قام **الإمبراطور فرانسوا الأول** مع زوجته **الإمبراطورة «كارولين أوغوستا»**، برحلة وسط (**دلماسيا**) وزارا

مغارة (**بوستونيا**)، وقد كتب يعقوب فيدمار [illegible]ياني حول **اكتشاف مغاور بوستونيا** ــ وكان فيدمار مراقباً للطرقات في بوستونيا ــ :

كان العامل لوكاسيه يجهز الصقالة بعلم حين قدمت الإمبراطورة نحوه، كان قد اكتشف لتوه مغارة جديدة، وعند خروجه منها، صرح بأنه عالم جديد، وكان ذلك في ١٤ نيسان (أبريل) عام ١٨٨٨ م.

تكون في هذه المغاور منذ آلاف السنين تخثرات مذهلة كلسية، ما يتحجر من الماء في أعلى المغاور وفي أسفلها (**صواعد ونوازل**)،

وهي مضاءة ويسير فيها قطار كهربائي صغير، وتعيش في الكهف ذات الفقريات الشهيرة البرمائية.

وتشير التواقيع والرسوم المصورة على جدار مغارة (بوستونيا) إلى أن مدخلها كان معروفاً ومزاراً منذ القرن الثالث عشر. وأكثر من فحص في وصفه الكهف هو **الفرنسي (هاكجيه)** وكان طبيب المناجم وأستاذ

التشريح في (لوبليانا). حيث طاف جزءً من (سلوفينيا) ودون ملاحظاته على مغارة (بوستونيا) ذكرت في الكتاب (اوريفتوغرافيا ــ كارينوليكا) (١٧٨٩ ــ ١٧٧٨ م) حيث يقول فيه :

« الوصول إلى نهايتها صعب جداً ، يتوصل المرء إلى مختلف المعابد التي أنشأتها الطبيعة ،

والأخير الذي لا نتمكن منه الذهاب أبداً لأبعد ، هو الأكبر ، كل الطريق الذي اجتزته تجاوز أكثر من ٢٠٠ خطوة » .

ويرجع المخطط الأول لمغارة (بوستونيا) إلى منتصف القرن الثامن عشر ، وقد رسم من قبل **الرياضي (ج . ن . ناجل)** عام ١٧٤٨ م بأمر الإمبراطور النمساوي فرانسوا الأول .

يتبين من هذا المخطط بأنه لم يعرف عندئذ من المغارة سوى خندق الامضاءات والصالة الكبيرة .

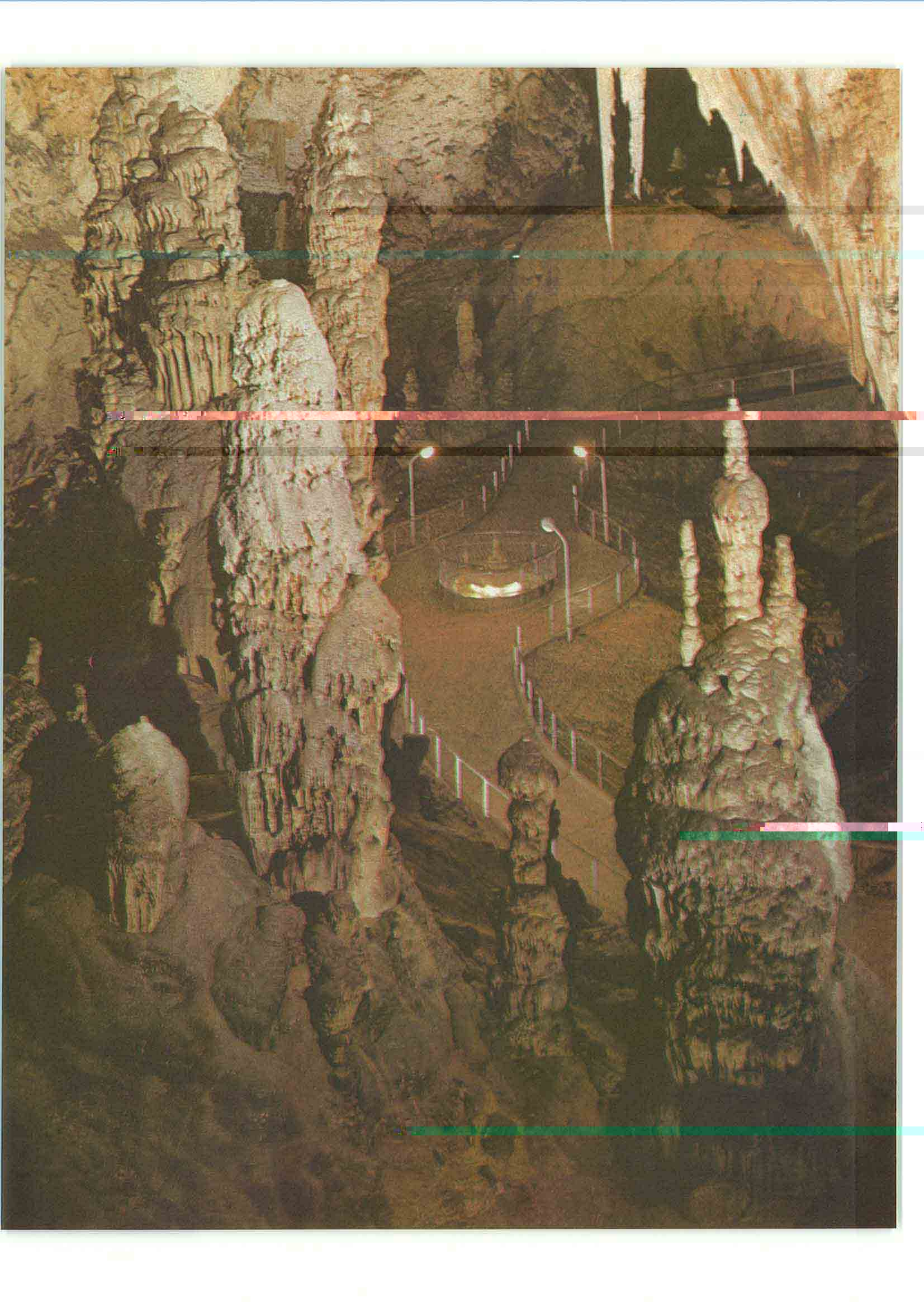
إن كل الإجراءات التي اتخذت حتى أوائل القرن التاسع عشر تعلمنا أن المغارة كانت مفتوحة وغير محمية ، ولا مضاءة ، وبدون أدلاء عاديين . وبعد الاكتشافات الجارية عام

▲ ★ التزلج على بحيرة كيركنيسكو ★



▲ ★ فندق جاما ★

◄ ★ المغارة من الداخل ★



١٨٨٨ م تصبح مغارات (بوستونيا) شهيرة بسرعة فيما وراء حدود **دولة هابسبورج** ، مع شهرتها يساهم قبل كل شيء الجمال العجيب

لأشكال التحجرات الكلسية وألوانها ، وهي أفقية في جزء كبير منها ، وليس من الصعب اجتيازها وزيارتها . وعدا ذلك فهي محددة في

مكان من أفضل الأمكنة في منفذ أوروبا الوسطى على **بحر الأدرياتيك** عندما فتحت للجمهور عام ١٨١٩ م .

وفي عام ١٨٥٧ م ، عندما شرع **الخط الحديدي (ليوبليانا ـ تريستا)** في المرور عبر (بوستونيا) ، نظمت قطارات خاصة لزيارة المغائر مما زاد جداً في الازدحام . وفي عام

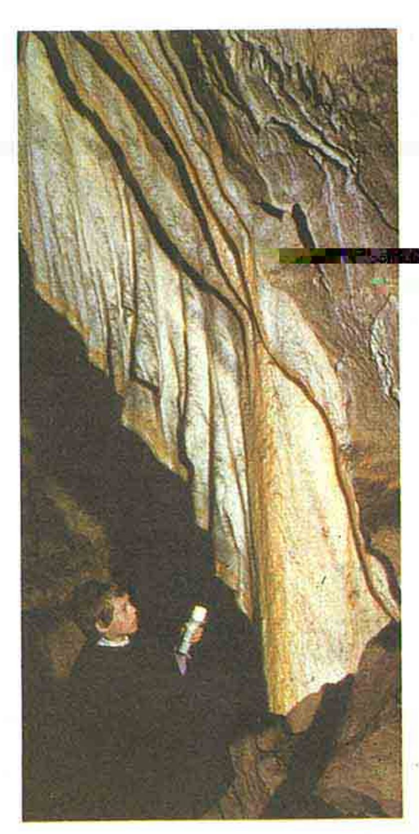
١٨٧٣ م ، مثلت (بوستونيا) في المعرض العالمي في باريس ، كما حقق الرسام النمساوي من فيينا **(كارل هاش)** في عام ١٨٧٢ م ، صورة زيتية كبيرة لصالح متحف العلوم الطبيعية في فيينا ، حول موضوع مغارات (بوستونيا) ، وهي اللوحة التي سوف تستعمل كثيراً فيما بعد في كل كتب الجغرافية الصغيرة .

فقد قام الصناعي السويسري **(فرانز بروجليد)** في عام ١٨٧٤ م ، ببناء فندق عظيم أمام مدخل المغارات وأحاطه بحديقة على الطراز الإنكليزي ويغشاه الأوروبيون الأثرياء ، ويستمر كشف مغارات (بوستونيا) ، **ففي دراسة**

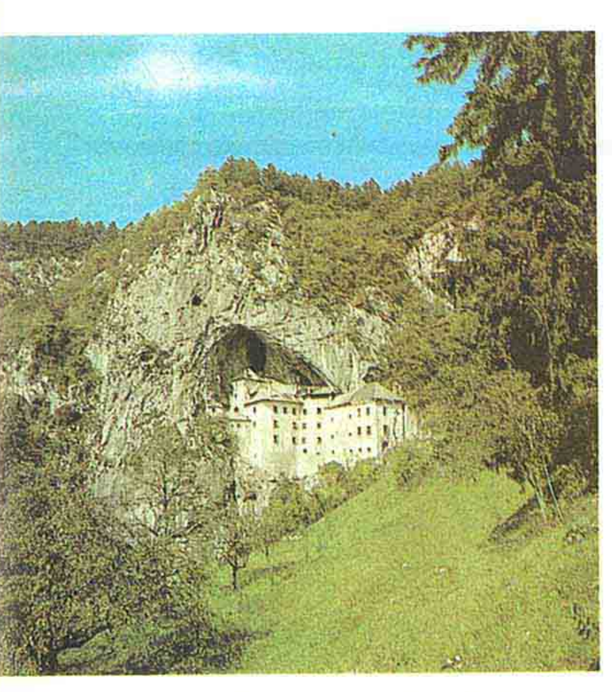
مجرى بيفكا ، وهو نهر واقع تحت الأرض ، قدمت مساهمة كبيرة من قبل خبير الكهوف الفرنسي (ي . أ . مارتل) الذي نشر حصيلة أبحاثه في الكتاب المسمى (اللجات) .

ولما جاءت **الحرب العالمية الأولى** قطعت الزيارات ، واستعيدت بعدها أعمال التنظيم ، فشيد أمام المدخل بناء لايواء متحف **الأشياء المارستيكية** ومكاتب ومطعم . ثم قلت الزيارة بغتة خلال **الحرب العالمية الثانية** ،

▶ ★ مغارة تمتد من الكارست إلى ٦كم ★



▲ ★ جانب داخلي من المغارة ★



▲ ★ مثل عش النسر في كنف صخرة محفورة على ارتفاع ١٢٣م يقع قصر (بريدجاسكي جراد) ★

ومن أجل جعل هذا المكان الطبيعي الجميل مرغوباً لدى أكبر عدد من الناس وتنمية قدرته على الاستقبال ، شرع في عام ١٩٦٤ م ، بالتزلج على الامتداد الواسع الجليدي **لبحيرة (سيركينسكو جيزيرو)** على بعد بضعة كيلومترات فقط من الأوتوستراد .

وتمسك مغارات (بوستونيا) بإحصائية المداخل منذ افتتاحها ، فقد سجل بأنه في عام ١٩٦٢ م ، رؤي دخول المليون الخامس من الزوار ، وعام ١٩٧١ م ، المليون العاشر ، وفي ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٧٨ م ، كان المليون الخامس عشر من الزوار .

وفي عام ١٩٥٥ م ، زار مغارات (بوستونيا) **النحات الإنكليزي (هنري مور)** الذي كتب في السجل الذهبي : « إنه أجمل معرض للنحت الطبيعي رأيته في حياتي » . وبيستنا (بوستنوليا) [illegible] ويستطيع فيها هواة التنقيب لباطن الأرض زيارة سرير نهر

(بيفكا) وكرنا جاما (المغارة السوداء) المدفونة تحت غابة قديمة العهد وتقدم غنى كبيراً من التحجر الكلسي ، والجاذبية الرئيسية لهذه المنطقة من الكارست هي بحيرة (سيركينسكو جيزيرو) التي تفور وتجف في الربيع لتستعيد الحياة في الخريف .

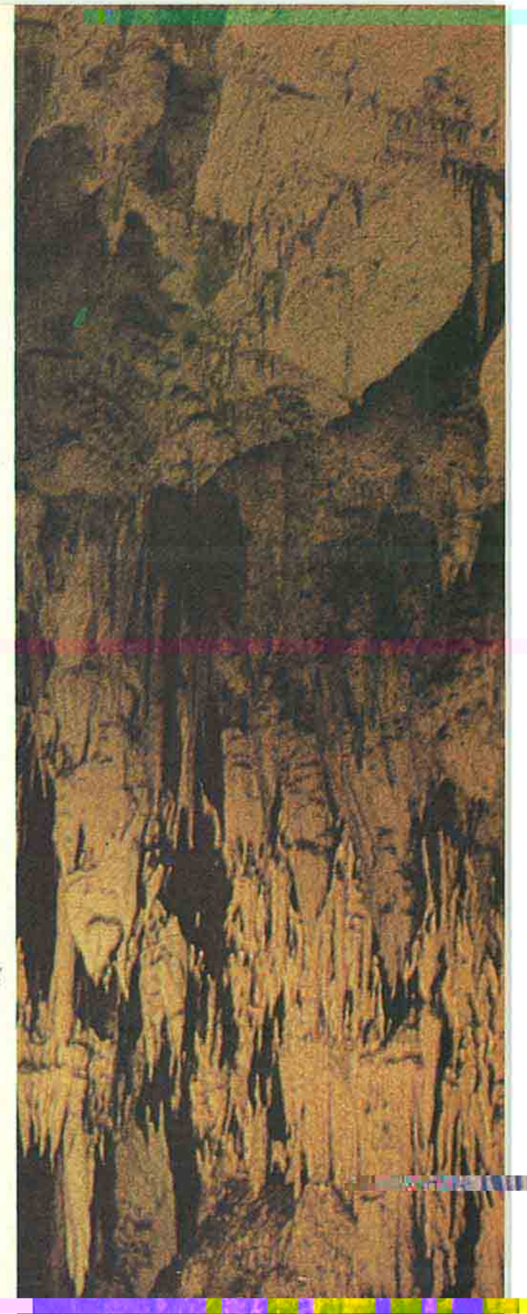
★ صالة الموسيق بالمغارة ★ ◄

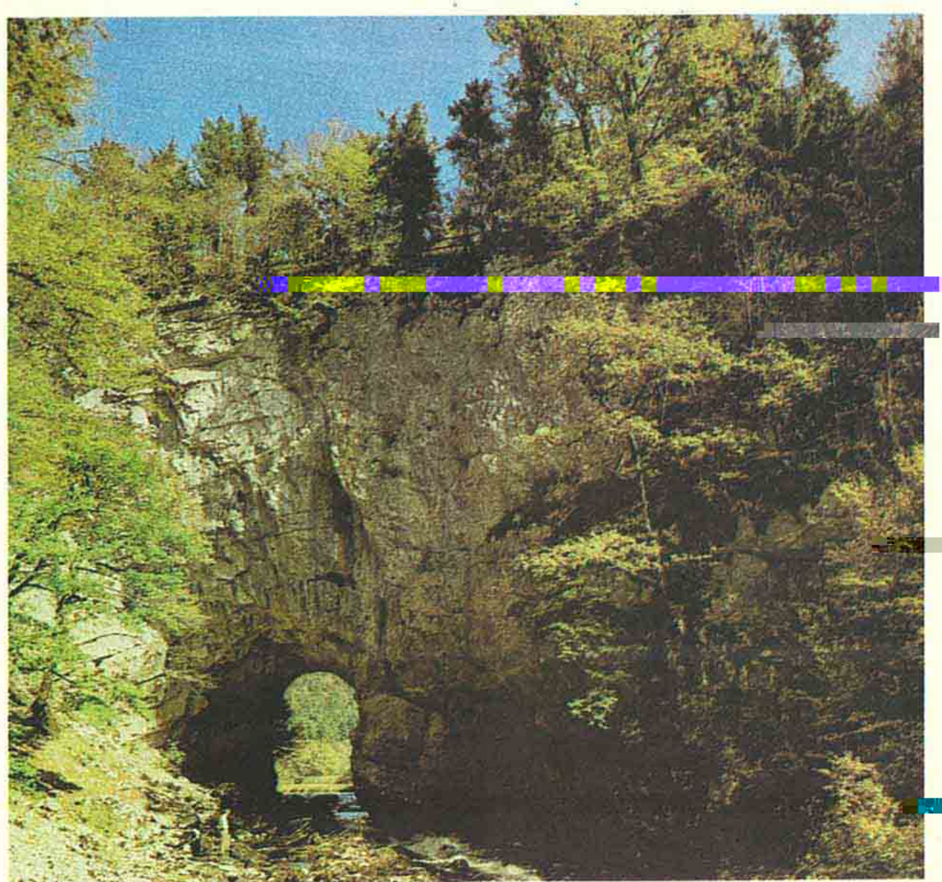


★ سمكة برمائية (من ذوات الفقريات) تعيش في كهف المغارة ★

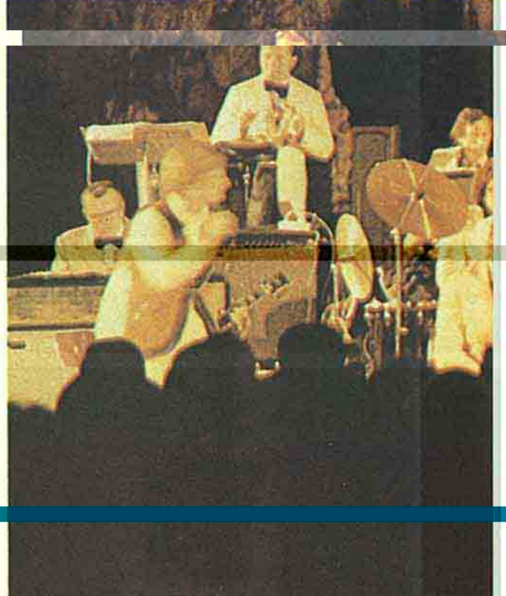


▲ ★ المغارة من الخارج ★

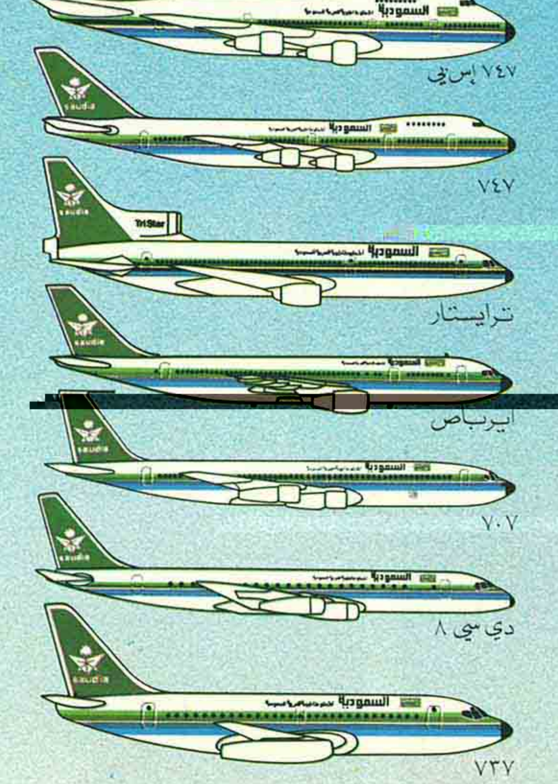




▲ ★ جسر من الصخر الطبيعي ★







إن مشاريع "السعودية" للتوسع في السنوات القادمة تعني أن خدمتنا للركاب ستكون أفضل فأفضل.

إن إضافة ست طائرات "٧٤٧" وخمس طائرات "ترايستار" واحدى عشرة طائرة "ايرباص" على أسطولنا الحالي تعني أيضاً أن باستطاعتنا الآن أن ننقل ركابنا إلى أماكن أكثر ونؤمن لهم عدداً أكبر من الرحلات ونوفر لهم مزيداً من الراحة.

وعند افتتاح المطار الجديد في جدة، سيكون للسعودية نقطة وصول خاصة بها تتيح للمسافرين القادمين من الخارج فرصة الانتقال إلى قسمنا الخاص للرحلات الداخلية دون الاضطرار الى الانتقال من مبنى إلى مبنى آخر.

والدليل الأكبر على هذا التطور المستمر في خدمتنا للركاب هو أن السعودية هي الخطوط الوحيدة التي تؤمن المواصلات بين إثنين وعشرين مطاراً في المملكة.



للحجز والاستعلام: جدة ٦٤٣٣٣٣٣ الرياض ٤٧٧٢٢٢٢/٤٧٧٣٣٣٣ الظهران ٨٦٤٢٠٠٠

المتحف العراقي



★ محراب من الحجر عليه زخارف نباتية في غاية الدقة والمهارة (القرن السادس الهجري) ★

● حضارات بلاد ما بين النهرين ●

تعتبر بلاد ما بين النهرين **(دجلة والفرات)** مهد الحضارات الأولى. فقد ثبت للمؤرخين وعلماء الآثار أن بلاد العراق كانت معمورة وآهلة في **العصور الحجرية** وفي مرحلة ما قبل **الطوفان**. وقد وجدت آثار الإنسان الأول في الكهوف وفي الجبال الشمالية والشمالية الشرقية. وعثر على آثار من العصر الحجري القديم **(الباليوليتي)** يعود تاريخها إلى ما قبل مائة ألف سنة. كما عثر **في منطقة (كريم شاهر)** في محافظة **كركوك**، و (ملفعات) على **نهر الخازر في محافظة نينوى، و (كردجاي)** على الزاب الأعلى على آثار تعود إلى العصر الحجري المتوسط **(الميسوليتي)** ويقدر زمنها بما يزيد على عشرة آلاف سنة. كما عثر على آثار من العصر الحجري الحديث **(النيوليتي)** الذي يبدأ قبل نحو عشرة آلاف سنة. وفي ذلك العصر تعلم الإنسان فلاحة الأرض وزراعتها ثم سكن في بيوت من الطين ودجّن الحيوانات وأصبحت له حياة اجتماعية ومعتقدات دينية. وعثر أيضاً على



★ منظر عام لقاعة المنحوتات الآشورية ★

آثار من العصر الحجري ـ المعدني يعود تاريخها إلى الألف الخامس قبل الميلاد. وفي ذلك العصر اكتشف الإنسان المعادن وصنع منها أدواته إلى جانب الأدوات المصنوعة من الحجر.

وهكذا تتعاقب أدوار الحضارات الأولى في بلاد النهرين، وتتصل كل سلسلة منها بالتي تليها حتى الوصول إلى عصر بداية **الكتابة والآداب** (البرتوليتريت) حيث بدأ الإنسان ـ بعد أن استنبط الكتابة ـ بتدوين تاريخه وترك آثاراً مكتوبة. وإذا تتبعنا الحضارات التي قامت في بلاد ما بين النهرين نجد أن تلك البلاد هي من أغنى بقاع العالم في آثارها القديمة وتنوع الحضارات التي نشأت فيها بدءاً من حضارات **السلالات السومرية** الأولى في بداية الألف الثالث قبل الميلاد، ثم **الحضارة الأكادية** (٢٣٥٠ ـ ٢١٥٩) ق.م.

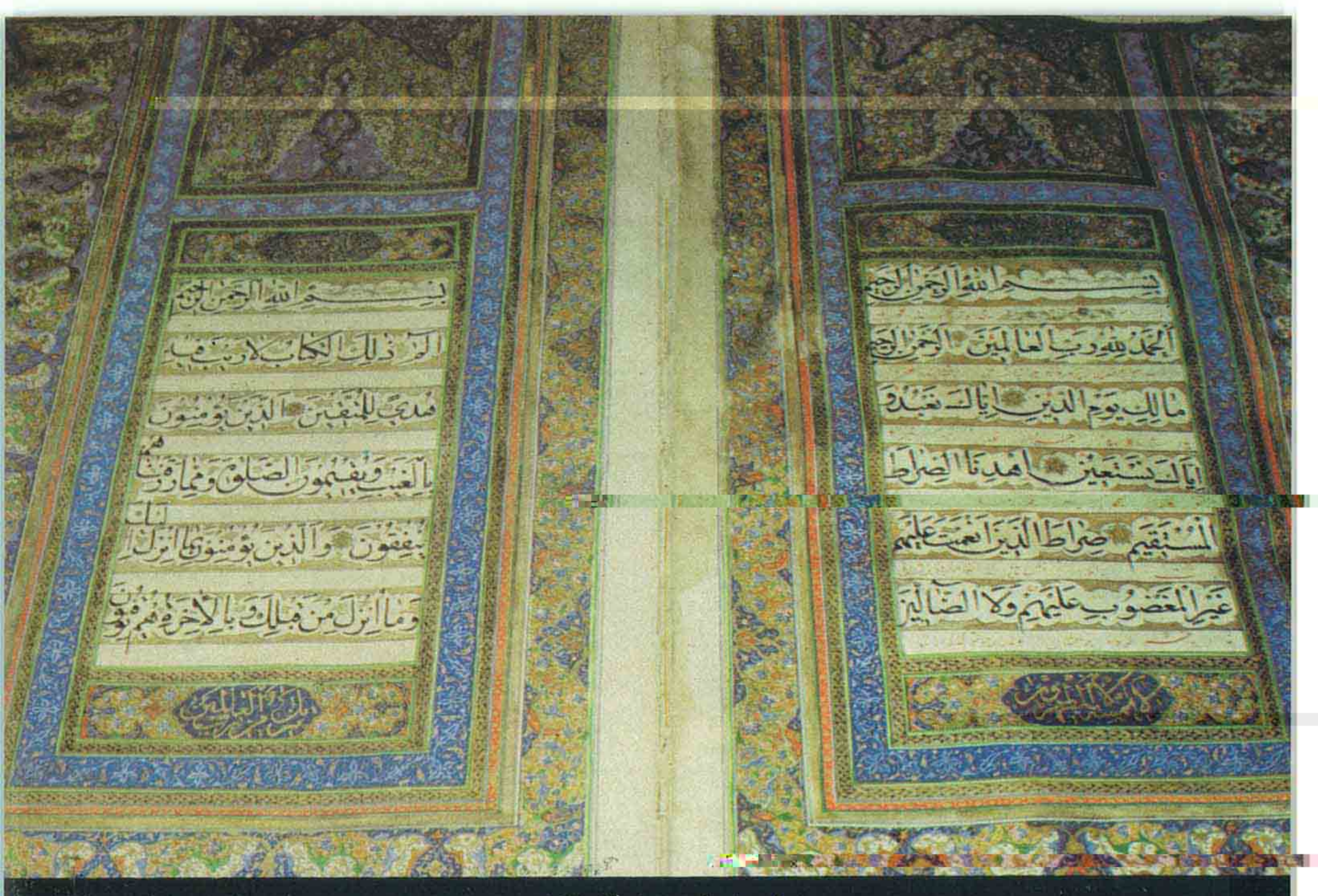
والحضارة الكوتية (٢٢١٠ ـ ٢١١٦) ق.م، ثم **الحضارة السومرية** في عهدها الأخير، ثم **الحضارة البابلية** القديمة وسلالة بابل الأولى (١٨٩٤ ـ ١٥٩٤) ق.م، ثم بعد ذلك قامت **مملكة الكشيون** (١٦٨٠ ـ ١١٥٧) ق.م، ثم جاءت **الحضارة الآشورية**، وتلتها **الحضارة الكلدانية** (٦٢٦ ـ ٥٣٩) ق.م، ثم **الحضارة الفارسية الأخمينية** (٥٥٠ ـ ٣٣١) ق.م. ثم **الحضارة السلوقية** (٣١٢ ـ ١٣٩) ق.م، ثم **الفرثيون الآريون** (١٣٩ق.م ـ

٢٢٦ب.م)، ثم **الساسانيون** (٢٢٦ ـ ٦٣٧م)، ثم **الحضارة العربية الإسلامية** والتي بدأت في العراق عندما توجه الصحابي **خالد بن الوليد** (رضي الله عنه) ففتح الحيرة سنة (١٢هـ/٦٣٣م)، وأعطت تلك الحضارة للعراق وجهه العربي المسلم من ذلك الحين.

● المتحف العراقي ●

إن أرضاً كأرض العراق قامت عليها كل تلك الحضارات القديمة لا بد أن تكون من أغنى بقاع العالم بالآثار التي تركتها الحضارات على سطحها أو دفنها الزمن وتحتاج إلى الكشف عنها من جديد. ولذلك كان المتحف العراقي من أكثر المتاحف في العالم غنى بآثار أقدم الحضارات وما زال الكشف العلمي يزيد إلى ذخائر المتحف في كل يوم.

أنشئ أول متحف للآثار



★ مصحف مذهب ومزخرف بألوان رائعة ★

في العراق سنة ١٩٢٣م . ونما على مر السنين بما أحرزه من آثار هامة كانت تكتشف باستمرار نتيجة لعمليات التنقيب من قبل البعثات العلمية العراقية والأجنبية حتى ضاق المبنى القديم بتلك التحف والكنوز . ولقد تضافرت الجهود لتشييد بناء واسع جديد يستطيع أن يستوعب تلك التحف التي لا تقدر بثمن

فشيدت الحكومة العراقية المتحف العراقي في الجانب الغربي من بغداد . وقام بوضع التصاميم وعلى أحدث طراز أحد كبار المهندسين الألمان وأنجزت العمل شركة لبنانية وبإشراف مهندسين عراقيين . وقد بدأ البناء سنة ١٩٥٧م ، وأنجز سنة ١٩٦٣م ،

حيث بدأت في تلك السنة المديرية العامة للآثار بالانتقال إلى البناء الجديد والبدء في عرض الآثار . **وقد افتتح المتحف رسمياً وباحتفال على مستوى عالمي في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦م .**

• أسلوب العرض •

توخت اللجنة العليا لعرض الآثار في المتحف أن يكون ذلك العرض سهلاً ممتعاً وفق الأساليب الفنية الحديثة ، وخزائن العرض مصنوعة من زجاج مركب على قواعد من معدن . واتخذت في ترتيب الآثار في القاعات أساس **التسلسل الزمني** (الكرونولوجي) متوخة بذلك جمع التحف المتشابهة ، كل

حسب نوعه ، فجاء ترتيب الخزائن والمعروضات منسقاً بحيث يتمكن معه الزائر من أن يمر بسهولة تساير اهتمامه من كل الوجوه . كما حاولت اللجنة أن تكون الإنارة متماشية مع الألوان التي اختيرت عند عرض الآثار .

وقد صنفت المعروضات في عشرين قاعة إلى مجاميع حسب أطوارها الحضارية الأساسية ، أي الأدوار التاريخية الرئيسية . ويبدأ ذلك منذ أقدم العصور في القاعة الأولى من الطابق الأعلى ،

ويستمر السير من قاعة إلى أخرى بموجب التأشيرات وأرقام القاعات التي تساعد الزائر في سيره حتى ينتهي به المطاف إلى آخر الأدوار التاريخية الإسلامية في القاعة العشرين من الطابق الأرضي .

ونستعرض هنا أهم المعروضات حسب العصر والحضارة باختصار مع بعض التوسع في معروضات الحضارة الإسلامية .

● حضارة العصور الحجرية وما قبل التاريخ ●

تضم هذه القاعات آثار الإنسان الذي استوطن المناطق الشمالية من وادي الرافدين، واتخذ من الكهوف والهضاب مستقراً له، حيث وجدت أدواته الحجرية والعظمية في مواطن هذه الكهوف. وقد عرضت الآثار في القاعات رقم (١) والممر رقم (٢).

● الحضارة السومرية ●

تحتوي القاعة رقم (٣) على معروضات وآثار الحضارة السومرية. فعندما انتقلت حركة الحضارة من الشمال إلى الجنوب بعد انحسار المياه وجفاف الأهوار، شُيدت المدن العامرة وأقيمت المعابد الفخمة وعني بتزيينها وتجميل واجهاتها بالفسيفساء أو برسوم جميلة ونقوش كثيرة، وملئت مخازنها بالهدايا والنذور من تماثيل وألواح منقوشة وأختام أسطوانية ومنبسطة وآنية مزخرفة من الحجر، وآنية مصنوعة من النحاس أو الذهب أو الفضة، ودفنت مع الملوك والأمراء عند وفاتهم حاجياتهم الثمينة الضرورية للحياة الثانية — على حد اعتقاداتهم — لا سيما

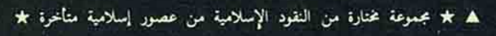
الحلي والمصوغات. ويشاهد الزائر في هذه القاعة نماذج مختارة من هذه الآثار التي وجدتها وكشفت عنها بعثات التنقيب وقد سمى المؤرخون فترة الحضارة السومرية الأولى بعصر **دويلات المدن أو فجر السلالات**.

● الحضارة البابلية ●

تحتوي القاعة رقم (٥) والممر رقم (٦) حضارة العصور الأكادية والبابلية والكشية. فنجد في القاعة آثار الأكاديين ويرقى زمنها إلى نحو (٢٣٥٠ — ٢١٥٩ ق. م) وآثار البابليين من نحو (٢٠٠٠ — ١٥٠٠ ق. م)؛ وآثار الكشيين والحوريين من نحو (١٥٠٠ — ١٠٠٠ ق. م).

والأكاديون أقدم الأقوام السامية المعروفة من سكان وادي الرافدين عاشوا جنباً إلى جنب مع السومريين وأهم ملوك الأكاديين **سرجون الأكادي الذي كون أول إمبراطورية بين البحر المتوسط والخليج العربي** (٢٣٤٠ ق. م)، عرفت بالدولة الأكادية. وقد حكموا أكثر من مئة وخمسين سنة ثم غزاهم **الكوتيون**





▲ ★ مجموعة مختارة من النقود الإسلامية من عصور إسلامية متأخرة ★



▼ ★ المدخل الرئيسي للمتحف العراقي ★



★ كتابة على الآجر المزخرف من المدرسة المرجانية في بغداد (القرن الثامن الهجري) ★

واسترجعت بعض المدن السومرية سلطتها وتأسست مجدداً دويلات المدن وهذا ما يعرف **بالعهد السومري الأخير**.

وقد وصلت الغزوات السامية وازدادت من الغرب (بادية الشام) وتأسست دولة البابليين العظمى التي كانت عاصمتها (**بابل**) ووصلت إلى أوج عظمتها في عهد الملك **حمورابي** (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق.م)، وهو صاحب الشرائع المشهورة باسمه. ثم بعد ذلك في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد زحف (الكشيون) إلى بلاد بابل واستطاعوا أن يحكموا بلاد الرافدين أكثر من أربعة قرون وقد استمرت في ذلك العهد الحضارة البابلية لغة وديانة وفناً ومعرفة.

● الحضارة الآشورية ●

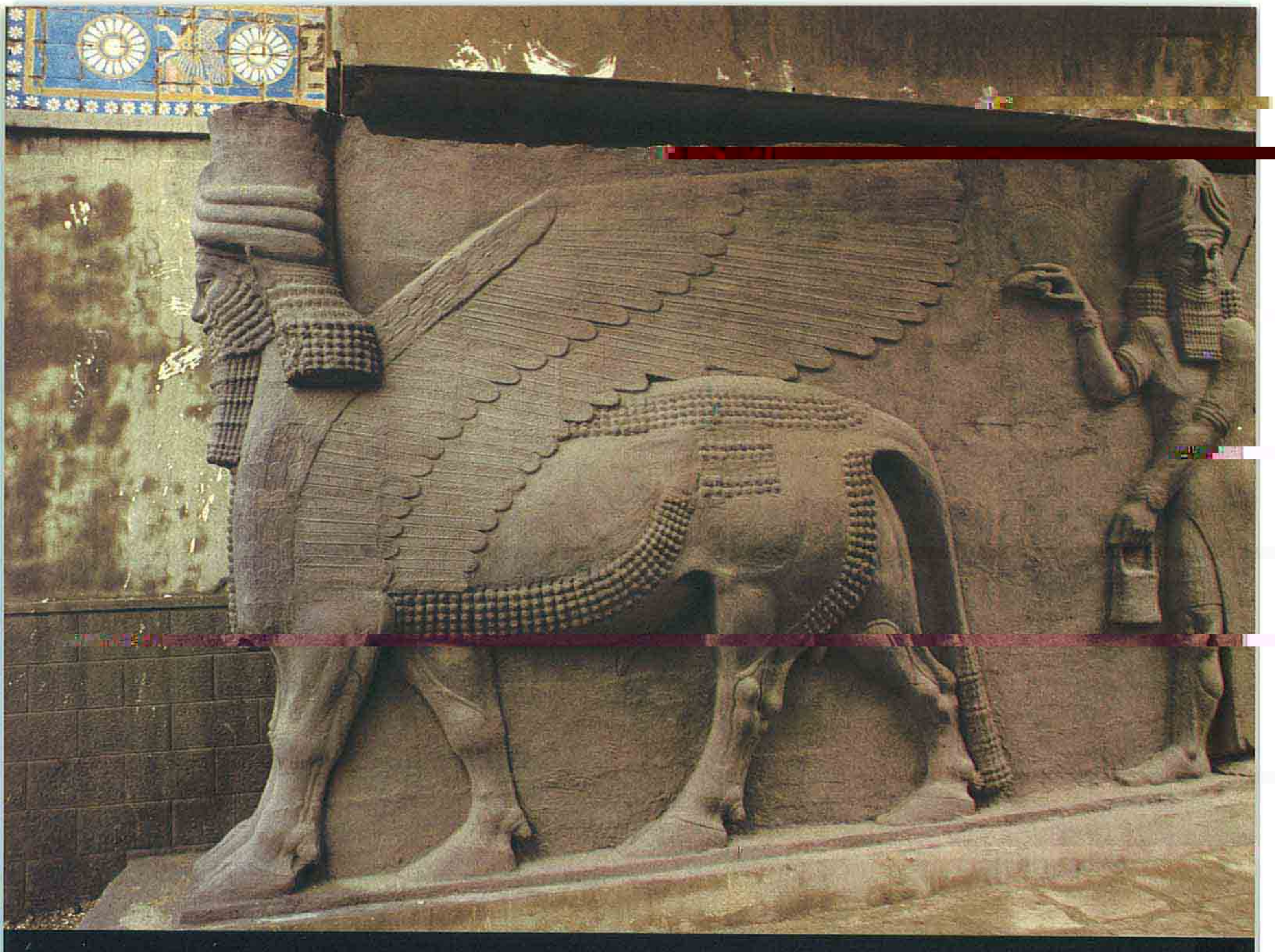
وتحتل المعروضات أربع قاعات (١٠، ١٢، ١٣، ١٤). والآشوريون هم من الأقوام السامية التي هاجرت في الأصل من الجزيرة العربية وسكنت شمالي بلاد ما بين النهرين في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وقد خضع الآشوريون في بادئ الأمر إلى ملوك السلالة الأكادية وسلالة (أور) الثالثة. وقد تسنى لهم تأسيس دولة قوية في فترات متفرقة في القرن الثامن عشر،

وفي القرن الرابع عشر، وفي القرن التاسع، وأخيراً في القرن السابع قبل الميلاد.

وقد وصلت الحضارة في زمنهم إلى أوج عظمتها في مختلف النواحي الفنية والاقتصادية والاجتماعية، وشملت فتوحاتهم **الشرق الأوسط وإيران ومصر**، وتركوا وراءهم نماذج كثيرة جداً من آثارهم لا سيما ما اكتشف منها في عواصمهم الأربع: **آشور** (واسمها الحالي **قلعة الشرقاط**)، **ونمرود** (واسمها القديم **كالح**)، **وخرسباد** (اسمها القديم **دور شاروكين**)، **ونينوى**.

● الحضارة الكلدانية ●

وقد رتبت آثارها في القاعة رقم (١٤). وتحتوي القاعة على الآثار التي ترجع بعهدها إلى الألف الأول قبل الميلاد. بينها آثار من النحاس ومصنوعات وحلي آشورية من الذهب،



★ تمثال من الرخام كبير جداً يمثل ثوراً مجنحاً ذا رأس بشري وجد في مدخل قصر سرجون في خرسباد ★

والفضة وأختام مختلفة . أشهر ملوك الدولة الكلدانية **نبوخذ نصر** (٦٠٥ — ٥٦٢ ق . م) . وقد دام مجد هذه الدولة أكثر من قرنين من الزمان .

● الحضارة الفرثية / الحضرية ●

تضم القاعة السادسة عشرة مخلفات وآثار الحضارات التي تلت سقوط بابل بيد **الإسكندر المقدوني** سنة (٣٣١ق . م) ، ثم قيام **السلوقيون** بتولي السلطة . ونجد هنا بين المعروضات آثاراً سلوقية — هلنستية .

● الحضارة العربية — الإسلامية ●

فتح العرب المسلمون « **المدائن** » عاصمة الفرس الساسانيين « طيسفون » سنة (١٦هـ/ ٦٣٧م) ، فكانت بداية الحكم الإسلامي في بلاد العراق ، **وشيد العرب البصرة والكوفة** واتخذوهما قاعدتين عسكريتين وسرعان ما نمت مدن العراق وأصبحت مراكز للحضارة الإسلامية وامتدت بنفوذها إلى الأطراف المجاورة . وقد **شيد المنصور بغداد** سنة (١٤٥هـ/ ٧٦٢م) ، وصارت مركز العالم الإسلامي وخاصة في عهدي **الرشيد والمأمون** ، ولم يعرف تاريخ العمارة الإسلامية مدينة مثلها قط بما فيها من مساجد وعمارات . ثم تركها **المعتصم** وأسس سنة (٢٢١هـ/ ٨٣٦م) ، **مدينة (سر من رأى) أو سامراء** . ثم عادت بغداد عاصمة في حدود سنة (٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) . عندما عاد إليها **الخليفة المعتمد على الله** .

وقد قامت العديد من الدويلات لفترات مختلفة إلا أنها كانت كلها ذات طابع إسلامي وقد تركت كلا منها آثارها الحضارية والمعمارية والزخرفية . . وهكذا حتى فتح **السلطان مراد الرابع** شمال العراق ثم بغداد في عام (١٠٤٩هـ/ ١٦٤٠م) ، فأصبح العراق جزءً من **الدولة العثمانية** واستمر كذلك حتى نهاية **الحرب**

العالمية الأولى حيث احتلت **الجيوش البريطانية** العراق عام ١٩١٧م . وقد نال العراق استقلاله سنة ١٩٢١م .

وقد اتسمت حضارة وادي الرافدين في الفترة الواقعة بين سقوط المدائن بيد العرب المسلمين (٦٣٧م) ، وسقوط بغداد بيد **هولاكو** (١٢٥٨م) بالرقي والتقدم والتجديد وشمل ذلك مختلف مناحي الحياة العمرانية والاقتصادية والاجتماعية بالإضافة إلى الوضع السياسي حيث كان العراق في العصر العباسي مركز العالم الإسلامي ومصدر علومه وفنونه .

والحق أن الفن الإسلامي منذ نشأته في القرن السابع الميلادي إلى احتكاكه بالأساليب الصناعية الأوروبية في القرن الثامن عشر كان وحدة متماسكة الأسس متشعبة الفروع . وقوام هذا الفن الزخرفة والعمارة والصناعة المختلفة والعلوم والآداب والفنون هي تطور للحضارات التي سبقتها ،

كالهلنستية والبيزنطية في بلاد الشام والساسانية في بلاد الشرق ، وهي كلها نتاج الحضارات القديمة في وادي الرافدين كالآشورية والبابلية .

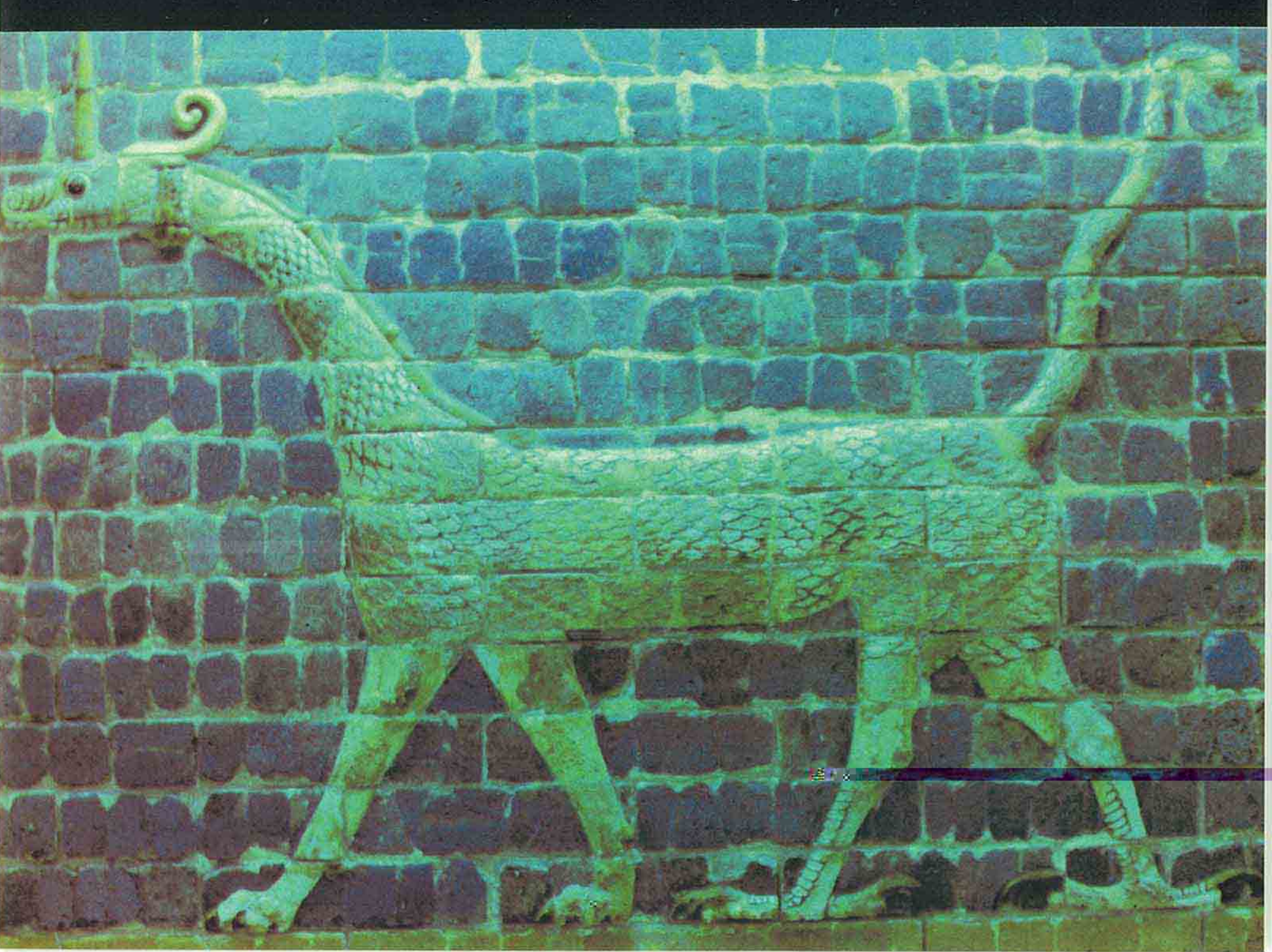
فاندمجت كلها في بوتقة الإسلام التي أكسبتها مميزات خاصة سمت بها إلى العصر الذهبي .

إن الفنون الإسلامية والصناعات التي انتشرت انتشاراً واسعاً في جميع الأقطار وكان لها طابع الإبداع والذوق الرفيع كثيرة جداً ومتنوعة كل التنوع وقد ألفت عنها الكتب الموسعة .

والمتحف العراقي متحف غني جداً بالتحف العربية ـ الإسلامية بكافة أزمنة تلك الحضارة . وقد عرضت تلك الآثار في القاعات (١٨) و (١٩) و (٢٠) ونجد بينها المنسوجات المطرزة القديمة ، والصناعات الخشبية ، وصناعات الحفر وقطع الأثاث الملون المذهب ، كما نجد فنوناً مختلفة للكتابة والخطوط العربية والمخطوطات ، وصناعات الخزف والأواني والزجاج والمعادن والأسلحة والنقود الذهبية والفضية .

وخلاصة القول إن المتحف العراقي يعطي لزائره فكرة واضحة عن تاريخ العراق القديم والحديث ويزيده معرفة واطلاعاً .

★ لوح مركب من آجر مزجج وعليه نقش بارز لحيوان خرافي (بابل ـ زمن نبوخذ نصر ٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق.م.) ★



لقاء مع:

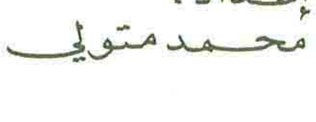
● إن نسبة كل من العباقرة والمتخلفين ٥٪ من البشر في العالم..

د. عادل صادق



كل إنسان معاق بنوع ما من أنواع الإعاقة.. ولا يوجد إنسان كامل، فالكمال «لله» وحده..

وطبقاً للشعار الذي وضعته الأمم المتحدة للعام الدولي للمعاقين الذي يعني أن يضع الإنسان القادر يده في يد الإنسان العاجز لكي تستمر رحلة الحياة بشكل طبيعي.. لذلك وجب علينا أن نمهد السبيل ونزيل العوائق والإحباطات من أمام الإنسان المعاق بشتى أنواع الإعاقة.. وهذا واجب المجتمعات كلها..





كيف يمكن معالجة المعاقين نفسياً؟

والإنسان المعاق تختلف درجة إعاقته من ناحية، وتختلف نوعية إعاقته من ناحية أخرى.. فهناك المعاق جسمياً وأيضاً المعاق نفسياً، وربما يكون العلم قد نجح في إيجاد وسائل علاجية وبدائل صناعية للمعاقين جسمياً، **إلا أنه ما زال يكافح ويجاهد من أجل معالجة حالة هؤلاء النفسية، بالإضافة إلى معالجة المعاقين نفسياً وعقلياً، وهم الفئة التي تعاني من الأمراض النفسية والعقلية.. ونخلص من ذلك بأن كل أصحاب الإعاقة على اختلافها يعانون من الإعاقة النفسية.**

من هنا نلمح أهمية **العلاج النفسي** كخطوة نحو العلاج بالنسبة للمعاقين عضوياً (**فسيولوجياً**) وكخطوة أساسية بالنسبة للمعاقين نفسياً (**سيكولوجياً**).

ونود أن نقدم من خلال حوارنا مع **الدكتور عادل صادق عامر** بعض وسائل العلاج النفسي لكل المعاقين في عامهم الدولي.

التخلف.. والعبقرية

●● ما التفسير العلمي للإنسان المتخلف عقلياً، وفي المقابل للإنسان العبقري، وما نسبة كل منهما في العالم؟

● التعريف العلمي للتخلف العقلي هو انخفاض كبير في درجة الذكاء، أما العبقرية فهي ارتفاع كبير في درجة الذكاء.. وهذا معناه أن للذكاء درجات.. ويوجد منحنى توزع عليه هذه الدرجات، ويقسم البشر إلى مجموعات.. فالذين يوزعون إلى أقصى طرفي المنحنى يطلق عليهم في جهة **مجموعة العباقرة**، وفي الجهة الأخرى **مجموعة المتخلفين** عقلياً.. ويحتل منطقة الوسط مجموعة متوسطي الذكاء..

وإذا اتجهنا إلى اليمين فهذا معناه ارتفاع درجة الذكاء حتى نصل إلى درجة العبقرية، وإذا اتجهنا نحو اليسار فهذا معناه انخفاض درجة الذكاء حتى نصل إلى درجة التخلف.

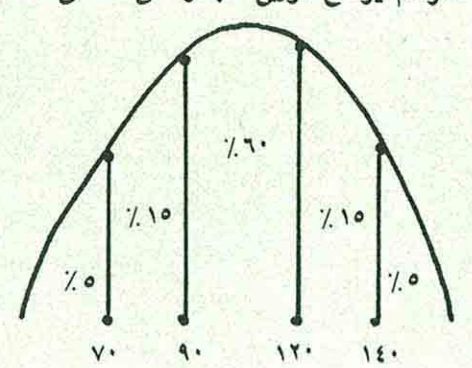
وإذا اتجهنا إلى يمين المنحنى فسوف نجد أن ٥٪ من البشر يرتفع ذكاؤهم أكثر من ١٤٠ وهم العباقرة.

وإذا اتجهنا إلى يسار المنحنى فسوف نجد أن ٥٪ من البشر ينخفض ذكاؤهم إلى أقل من ٧٠ وهم المتخلفون عقلياً.



أعظم وسيلة لدفع الكآبة والقلق

وهذا الرسم يوضح توزيع البشر على منحنى الذكاء .



ماهية الذكاء

●● ماذا عن ماهية الذكاء وما المعايير التي يقاس بها ؟

● الذكاء هو القدرة على التصرف في المواقف الجديدة . . والقدرة على التمييز بين ما هو هام وغير هام . . والاستفادة من الخبرات السابقة في موقف غامض . . وأيضاً قدرة على التفكير التجريدي ، بمعنى فهم ما وراء الكلمات ، وإيجاد علاقات جديدة بين الأشياء ، وأخيراً القدرة على الاستنباط والرمز .

●● وما علاقة الذكاء بكل من الموهبة والمعجزة ؟

● من الصعب تحديد العلاقة بين الموهبة والذكاء من ناحية وبين المعجزة والذكاء من ناحية أخرى . . فالذكاء هو التفوق بمستوى واحد في قدرات متنوعة . . لكن الموهبة هي تفوق في اتجاه معين كالموسيقى أو الشعر أو الرياضيات .

وقد يكون الإنسان موهوباً في الموسيقى ، ويكون في نفس الوقت ضعيفاً أو بليداً جداً في الرياضيات .

وإلى الآن لم يكشف العلم عن أسرار المواهب التي يختص بها الله بعض الناس . . **أما المعجزة فهي شيء خارق عن العادة . .**





د . عادل صادق عامر في سطور

● ولد في القاهرة ـ ١٩٤٣/١٠/٩م .

● دكتوراه في الطب النفسي .

● دبلوم الطب النفسي من الكلية الملكية بلندن .

● دبلوم الأمراض العصبية والنفسية .

● دبلوم الأمراض الباطنية .

● يعمل أستاذاً للطب النفسي والأعصاب المساعد بطب عين شمس ومستشار الطب النفسي [illegible]

● المؤتمرات التي شارك فيها :

ـ مؤتمر الجنس الدولي في روما .

ـ المؤتمر العالمي للطب النفسي في هاواي .

ـ مؤتمر بيولوجيا النفسي ببرشلونة

مؤلفاته :

ـ أسرار في حياتك .

ـ مباريات سيكولوجية .

ـ الطب النفسي .



عن الإنسان في كتاب الله «القرآن الكريم»

وهناك تشابه وتقارب بين أصحاب الموهبة الواحدة لكن المعجزة هي شذوذ كامل عن كل ما هو مألوف.. كأن يبرع إنسان في التأليف الموسيقي وهو في السابعة من عمره، ويؤلف السيمفونيات الخالدة وهو في التاسعة من عمره.. وكأن يتكلم الطفل وهو في الشهر الثالث من عمره، ويمشي في الشهر السادس، ويصبح قادراً على التعلم في الشهر العاشر.

التربية والتخلف العقلي

●● هناك العديد من أنواع الإعاقة، لكن مما يلفت النظر أن نسبة المتخلفين عقلياً مرتفعة، لذلك نسأل عن أهم أسباب الإصابة بهذا النوع من الإعاقة، وهل توجد علاقة ما بين البيئة أو التربية أو التعليم بالتخلف العقلي..؟

● معظم أسباب التخلف العقلي عضوية، أي نتيجة لإصابة مخية كالتهابات المخ والصرع والخبطات أو الضربات المخية أو لاضطرابات الغدد.. وقد يحدث لأسباب وراثية.

ولكن هناك تخلف عقلي بيئي.. بمعنى أن البيئة والتربية يلعبان دوراً في تدهور القدرات العقلية للطفل وإعاقة نمو ذكائه.. فالطفل الذي ينمو في بيئة متخلفة لا يوجد فيها ما يثير تفكيره ويساعده على التصور والتخيل والإدراك السليم الذكي فإنه سيتوقف عن النمو في ذكائه.. عكس ذلك الطفل الذي ينمو في بيئة متحضرة تحيطه المؤثرات التي تثير تفكيره فإنه سوف ينمو في ذكائه بمعدل أسرع.

لهذا نجد أن طفل المدينة يختلف عن طفل القرية.. وكذلك الطفل الذي يولد لأبوين متعلمين أو مثقفين يختلف في ذكائه عن الطفل الذي يولد لأبوين جاهلين.

وعليه فالتربية أو البيئة تسهم في تكوين ذكاء الطفل بالسلب أو بالايجاب.. ومثل هذه الحالات من التخلف العقلي يطلق عليها «**التخلف العقلي البيئي**».

شيطان الشعر وهوس العباقرة

●● ما تفسيركم لما يطلقون عليه.. الإلهام.. شيطان الشعر.. شذوذ العبقرية وما أهم مظاهرها؟

● ما زال هذا من الأسرار المغلقة بالنسبة للعلم والعلماء، وأعتقد أنه سيظل هكذا حتى نهاية الحياة.. وتلك حكمة الخالق، فقانون الحياة يفرض وجود قادة ورواد وأعلام يأخذون بيد الجماعة، وبتشريح أمخاخ هؤلاء وجد أنها لا تختلف عن أي أمخاخ للموهوبين أو حتى لمتوسطي الذكاء.. **ولكن علم النفس حاول أن يربط ما بين العبقرية وبين طبيعة شخصية صاحبها وحالته النفسية والمزاجية..** ووجد أن العباقرة يتمتعون بما يسمى (**الشخصية الدورية**) وهي الشخصية التي تتناوبها فترات من الكآبة مع فترات من المرح والانطلاق.. كما وجد أن العباقرة أكثر عرضة من غيرهم «**للاكتئاب والهوس الدوري**» فتمر عليهم فترات مرضية كئيبة، وهنا يتوقفون عن الإنتاج وتمر عليهم فترات أخرى تسمى فترات المرح أو الهوس، وفيها ينشطون وينتجون ويهبط عليهم شيطان الشعر والموسيقى.

وقال لي أحد أفذاذ الشعر.. إنه تمر به فترات لا ينام فيها وتكثر حركته وتزداد طاقته ويتزاحم في عقله مئات من أبيات الشعر في وقت واحد.. كما وصف لي فترات أخرى تمر به لم يستطع فيها أن يؤلف بيتاً شعرياً واحداً.. ويصبح متبلد الذهن وبارد الحس.

الدين.. والأمراض النفسية

●● إلى أي مدى تنجح الموسيقى في علاج المعاقين نفسياً أو عقلياً.. وكيف..؟

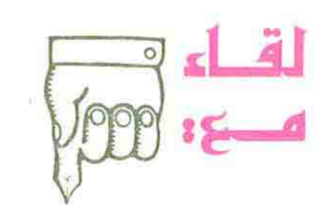
● للإجابة على هذا السؤال يجب التفرقة بين ثلاثة أحوال:

١ ــ هناك فترات تمر بكل البشر.. فترات قلق واكتئاب.. فترات خوف ووهم.. فترات يأس وقنوط.. ويكون ذلك نتيجة استجابة لمؤثرات خارجية نتفاعل معها.

٢ ــ هناك ما يسمى بالأمراض النفسية أو العصاب.. منها **القلق النفسي والاكتئاب التفاعلي والوسواس القهري والمخاوف** وهي أحوال غير طبيعية (مرضية)، ويدرك الإنسان في مثل هذه الحالات أنه مريض.. أي أنه مستبصر بحالته ويعاني من أعراضه ويلجأ إلى الطبيب لكي يساعده.. ولم يصل الطب النفسي إلى قرار بعد بشأن هذه الأمراض.. **هل هي وراثية أم بيئية؟ هل هناك أسباب فسيولوجية مثلاً..؟ لا أحد يعرف حتى الآن.**

٣ ــ هناك أيضاً الأمراض العقلية أو الذهان.. ومنها الفصام.. «**الشيزوفرينيا**» والاكتئاب العقلي والهوس.. وفيها المريض لا يدرك أنه مريض وبالتالي لا يذهب إلى طبيب ويرفض العلاج.. وإلى حد كبير استطاع العلماء أن يعثروا على السبب الكيميائي لهذه الأمراض، لهذا فهي تعالج بالعقاقير.

في الحالات الأولى التي تصيب كل البشر فهي في حاجة لمساندة..



القلق حالة شلل، والاكتئاب عزلة تامة، والوساوس حالة انشغال عن الواقع..



في حاجة لصديق .. لكلمة .. لرأي .. لمشورة .. لنصيحة مخلصة .. بمعنى آخر هي في حاجة لتدعيم.

والدين أقوى سند للإنسان القلق المحزون المهموم اليائس لشعوره بأن هناك قوة عظمى (الله) قوة عادلة تنصفه وتأخذ له حقه وهذا هو المعنى العظيم لكلمات (الله) سبحانه وتعالى **﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ .. لذلك في رأيي أن أعظم وسيلة لتجديد نشاط النفس البشرية ودرء الكآبة والقلق عنها هي كتاب الله (القرآن الكريم).**

حجم الإعاقة النفسية

●● ما حجم الإعاقة التي تسببها الأمراض النفسية والعقلية؟

● إذا كانت الأمراض العضوية تتسبب في إحداث درجة من الإعاقة والعجز قد تصل نسبتها إلى ٩٠٪، فإنني أستطيع أن أقول إن الأمراض النفسية والعقلية تتسبب في إحداث إعاقة كاملة وعجز شامل .. فالمريض يتوقف نهائياً عن الإنتاج إذ تضطرب علاقاته بكل الناس ويصعب عليه التكيف.

فالقلق حالة من الشلل والاكتئاب عزلة تامة .. والفصام انفصال تام عن الواقع .. والوساوس والمخاوف حالة انشغال دائم بهذه المخاوف عن الواقع المحيط بالمريض .. فالإعاقة النفسية أكبر وأخطر من الإعاقة الجسدية.

●● وما حجم العلاج لمثل هذه الأنواع من الإعاقة؟

● العلاج يهدف إلى تخفيف آلام المريض، وأيضاً إلى إعادة تأهيله لكي يعود إنساناً متكيفاً ومنتجاً .. لهذا فالعلاج لا يكون مقصوراً على العقاقير، ولكن يمتد إلى أبعد من ذلك .. فيمتد إلى أسرة المريض وإلى عمله وأصدقائه .. بل وإلى المجتمع بأسره .. **هذا المجتمع الذي يجب عليه التعاون مع المريض والتكيف معه ومساعدته على التكيف أيضاً وعلى العمل والإنتاج.**

إبداع المعاق

●● كيف يمكن تنمية روح الإبداع في ذات الشخص المعاق؟

● هذا يستلزم تعاون بين فريق يتكون من أخصائي نفسي وأخصائي اجتماعي وأخصائي مهني لتحديد نوعية شخصية المعاق وظروفه الاجتماعية، وتحديد قدراته الكامنة والظاهرة .. **ومبدأ التعويض هو الأساس في** مثل هذه الحالات .. بأن يتناسى عجزه وقصوره ويستغل قدرات أخرى لديه، فإذا برع فيها فإنه سوف يستعيد توازنه النفسي، ويستطيع أن يكون مبدعاً في مجالات جديدة، فالقعيد الذي لا يمكن أن يتحرك نستطيع أن ندفعه لاستغلال قدراته اليدوية، والذي لا يملك تحريك يديه نستطيع أن نستغل قدراته العقلية ... وهكذا .. **المهم هو أن نعده نفسياً لتقبل عجزه ونشجعه على استغلال إمكاناته وقدراته المتبقية. والمهم أيضاً هو افساح المجال لاستغلال هذه القدرات واستخراجها ودفعها إلى الأمام عن طريق التدريب .. وهذا ممكن ويحدث في كل دول العالم المتحضر التي تحرص على الإنسان.**

ويعود التوازن النفسي للمعاق إذا شعر بقيمته ونفعه للآخرين، وأيضاً إذا شعر بأنه مطلوب ومرغوب وهنا سوف تخرج قدراته الكامنة التي ربما لم يكن يعرف عنها أي شيء قبل عجزه .. **وهذا معروف على المستوى الفسيولوجي، ويحدث بشكل تلقائي بفعل تدخل القدرة الإلهية في تكوين جسد الإنسان ..** فمثلاً السمع يصبح أكثر حدة، وأكثر إفادة لصاحبه إذا كف البصر وهذا يعرف بالتعويض الفسيولوجي التلقائي.

المعاق والمجتمع

●● أخيراً كيف ترى دور المجتمع في تهيئة المناخ الصحي والطبيعي للمعاقين كي تستمر رحلة حياتهم في طريقها السوي؟

● إن الشعور بالعجز يتفاقم ويتضاعف لدى المعاقين .. فهم يشعرون بالنقص والقصور .. يشعرون بأنهم أقل من غيرهم ويشعرون بالإحباط .. وفي الأحوال الشديدة التي تنعكس بشكل سلبي ومرضي على النفس يشعر المعاق بالحقد والعدوانية على الآخرين .. وهذا وليد إحساسه باليأس والقنوط .. إذن أول ما يحتاج إليه المعاق هو المساعدة النفسية لكي يتخلص من المشاعر السلبية التي تترسب في داخله .. أي أن رؤيته لعجزه لا بد أن تتغيّر .. وهي لن تتغيّر إلا إذا تغيرت رؤية الناس من حوله له، فالمعاق يستمد رؤيته لذاته من خلال رؤية الآخرين له، فالبداية تكون من عند من يحيطون به .. معاملتهم له .. نظرتهم إليه .. تقديرهم له .. **وبذلك نضع المعاق في أول الطريق السليم.**

عام المعوق

شعر: أحمد عبد الهادي



عام المعُوقِ ولا تقُلْ (عام المعاقْ)
ولكل عام (بالمناسبة) اشتقاقْ
عام الطفولة قبله يرنو إلى
أمل يداعبه به عام الوفاقْ
أو عام إعلان الحقوق ونُصرةٍ
للراضخين لجور حكم لا يطاقْ

★ ★ ★

مهما ارتقينا وارتقت أفكارنا
ما استطاعت الأفكار حقن دم يراقْ
فلم اتجاهٌ للكواكب راصدين
ن لها (البلايين) المعدَّة كالصداقْ
ونرى بهذا الكوكب الأرضيِّ مَن
قد أترعوا ما بيننا الكأس الدهاقْ
أوليس أحرى أن نكون لضعفهم
عوناً وإن لم يدركونا باللحاقْ
إن التعاون في الحياة يزينها
والعيش دون عداوة حلو المذاقْ

★ ★ ★

ما عاقنا يا قوم غير حروبنا
ما عاقنا غير التطاحن والشقاقْ
ما عاقت الإنسانَ غير كآبةٍ
جرَّاء إخفاق له عند السباقْ
قد شلَّت الأعصاب فيه حضارةٌ
بالجسم لا بالروح تُعنى يا رفاقْ
أو (جلطةٌ) في المخِّ أرقفت الحرا
ك وأوصلت عمر المعوق إلى المحاقْ
أو عطَّلت فيه النشاط همومُه
في هذه الدنيا وإنَّ الهمَّ شاقْ

★ ★ ★

كلُّ المعوقين الألى قد عُوِّقوا
يرجون من يسعى على قدم وساقْ
أن يرأفوا بهمو كرأفة والد
جمّ الحنان على ذوي الأيدي الرقاقْ
فالمال لا يبقى ولا أجسامنا
لكنما ما يُستودع الديانُ باقْ

شغلتني حياة أدباء وشعراء المهجر منذ الخمسينات الميلادية ، وولعت بقصصهم وحياة اغترابهم منذ تلك الفترة البعيدة ، ولا بد من الاعتراف في بداية هذا الكلام بأن مبعث هذا الولع كان أحد أولئك المغتربين الذين يحق للمرء أن يفخر بهم ويعتز الأدب العربي بحماسهم وذلك لعطائه الكبير بما أضافه وسطّره ، ألا وهو نظير زيتون الذي جمعتني به الصدف ، وصار صديقاً أعتز بصداقته إلى أن توفاه الله .

نفس حائرة بين

فعرّفني **نظير زيتون** ـ عن قرب ـ على الأدب المهجري ، وعلى فرسانه من الشعراء والكتّاب ، حتى صارت تربطني بهم صلات المودة والألفة .

ووجدت في هؤلاء عصامية نادرة قلما وجدنا مثيلاً لها في أدبنا العربي ، **فأغلبهم تتلمذ على الكتاب ولم يتخرج من معهد أو جامعة ، وجلّهم اشتغل بالتجارة في الأرض الجديدة** ، ولما لم يفلح فيها انصرف عنها إلى **الصحافة والأدب** فتبوأ المكانة المرموقة واعتلى سلّم الشهرة ودخل في سجل الأعلام عن جدارة وأصالة وموهبة .

وكان من جملة من حدثني عنهم **نظير زيتون** أحد أولئك المهجريين الذي طبقت شهرته دنيا الأدب فلمع فيها كالشهاب وهو **نسيب عريضة** .

وحياة نسيب عريضة شبيهة إلى حد ما بحياة غيره من الأدباء والشعراء الذين غادروا الوطن وفي قلبهم الحنين ، وهم في مقتبل العمر . وراحوا يضربون في أميركا الشمالية أو الجنوبية بحثاً عن الرزق والعيش الشريف ، وهم يتمثلون قول شاعرهم « إيليا أبو ماضي » :

أرض آبائنا عليك سلام
وسقى الله أنفس الآباء
ما هجرناك إذ هجرناك طوعاً
لا تظني العقوق في الأبناء



★ نظير زيتون ★

الهجرة

فقد هاجر « نسيب عريضة » من مدينته (**حمص**) وهو ابن السابعة عشرة من عمره ، فقيراً محتاجاً ، جاء إلى العالم الجديد ليهيئ لنفسه حياة ناجحة ، في تلك المدينة الصاخبة المزدحمة (**نيويورك**) .

فتى غضاً طري العود ، كان ـ كما عرفه صديقه **ميخائيل نعيمة** ـ : « لطيفاً خجولا ، حساساً للغاية ، وكان يعاني من الشعور بالحيرة في أعماق الروح » . ولأنه كان شغوفاً بالقراءة محباً للشعر ، فقد بدأ كتابة الشعر وهو في الخامسة عشرة ، وهذا ما جعله : « يلجأ إلى الطبيعة ويتجول ما بين **المزرعة الجديدة ، والميماس ، والدوير** ، وهي متنزهات معروفة في حمص .. ولكن مشاعره الحزينة كانت تقوده أحياناً

بقلم: عدنان الداعوق

حمص ونيويورك

إلى التوغل نحو الأطلال القديمة والخرائب المنتشرة خارج المدينة »[1] .

وكما فعل الغالبية العظمى من الذين سبقوا نسيب عريضة ، فقد راح يعمل بكدٍ وتعب ، في المصانع وبين الآلات وصخبها وضجيجها نهاراً ، ليجلس في الليل يقضي الساعات بين الكتب في القراءة والدرس : « إذ لم يعرف القسم العربي في مكتبة نيويورك العمومية زائراً أكثر تردداً عليه من نسيب »[2] .

الموسوعة العربية المهجرية

وأتيح لنسيب عريضة أن يتعمق في الدراسة ويتأمل في **الآثار والمخطوطات** قديمها وحديثها ، بجانب وجده وحبه لنظم الشعر ، إذ أنه بدأ في **نظم الشعر** من خلال التأمل لما توحي به خيالاته في موضوعي الحياة والزمن .

وليس غريباً أن يقول عنه صديقه ميخائيل نعيمة : « هذا شاعر له شخصية لا تندغم في شخصية أحد من الشعراء . وشعره ذو مدى شاسع ، ولشاعريته وجه يميزها عن كل شاعرية ما عداها ، ولألحانه رنة تعرف بها بين سائر الألحان ، وفي كل ما ينظمه نكهة تختلف عن كل نكهة »[3] .

إن قراءة (نسيب عريضة) وتعطشه للمعرفة والعلم وكتاباته الشعرية والنثرية **وترجماته إلى اللغة العربية من الروسية والإنكليزية** ، كل هذا ما جعل له شخصية فذة متميزة بين زملائه وأصدقائه حتى أطلقوا عليه فيما بعد « **الموسوعة العربية في المهاجر الأميريكية** »[4] .

بعيد وصول نسيب عريضة إلى نيويورك أنشأ ــ بعد جهد طويل ــ **مطبعة أسماها (الأتلنتيك)** وذلك في عام ١٩١٢ م ، وفي شهر أبريل (نيسان) من عام ١٩١٣ م ، أصدر العدد الأول من مجلته (**الفنون**) ، هذه المجلة التي كانت صرخة مدوّية في دنيا الأدب والفكر والفن ليس في المهجر فحسب وإنما في الوطن أيضاً .

ولقد شغلت هذه المجلة صاحبها كثيراً ، فقد أرادها أن تكون مجلة متفردة في شكلها ومضمونها . . ففي الشكل كان يختار لها أحسن الورق والرسوم والطباعة ، وفي المضمون أفسح المجال لأبرز الكتّاب للمساهمة فيها ، وكان على رأس هؤلاء الكتّاب : **أمين الريحاني ، وميخائيل نعيمة ، وجبران خليل جبران** .

ولم يكن « جبران » أحد كتّاب المجلة فحسب ، وإنما كان رسامها أيضاً وقد ساهم في هذا المجال مساهمة كبيرة .

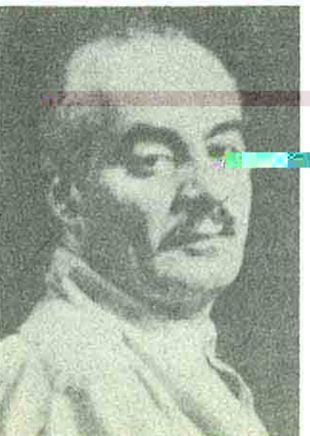
وإذا عرفنا أن معظم حياة أدباء وشعراء المهجر ، كانت قلقاً مستبداً وحيرة كبرى ، فإن حياة نسيب عريضة لم تكن بأفضل من حياة أقرانه وأصدقائه ، فما كادت أعداد مجلة « الفنون » تلقى الترحاب والتأييد في الوطن أو المهجر ، حتى بدأت الكوارث المادية تتوالى على صاحبها ، فقد انفق عليها كل ما كان يملك ، وجلّ ما وصل إليه من مال من والده في حمص .

فقد كانت المجلة تكلّفه المال الكثير ، ولم يكن يملك من مردود الاشتراكات أو المبيعات ما يسدد جزء يسيراً من هذه التكاليف ، لذا

★ ميخائيل نعيمة ★

★ جبران ★





اضطر لأن يوقف المجلة بعد عام من صدورها ، وقد كان أهون على صاحبها لو تتوقف حياته بدلا من المجلة التي لقيت الترحاب من القراء والهوى منه .

فكتب إلى صديقه ميخائيل نعيمة يبلغه بالنبأ الحزين قائلاً :

« لقد خسرت معركتي وسقطت آمالي حولي قتلى ، والآن وقد فرغ مالي وبخل عليّ المشتركون بما عليهم فليس لي إلا أن أقف ، وقد وقفت ، ولا أدري أنتحرك رجلاي فيما بعد أم تيبسان إلى الأبد . . » .

وامتد الوقت بتوقف (الفنون) وكان صاحبها يعاني المرارة والحزن واليأس ، وخلال توقف المجلة كتب نسيب عريضة أهم قصائده العاطفية مكرّساً جلّها لمعاني الحيرة والوحدة والغربة والاغتراب .. مطلقاً سؤاله الأليم بجدوى الحياة ... صانعاً من كلمة (لماذا) أجمل الألحان الحزينة .

لماذا نحسّ . . لماذا نحب
لماذا نعيش بلا طائله ؟
لماذا يفوت الأديب الغنى
وتحظى به فئة جاهله ؟

العودة إلى الصحافة والشعر

وتعود مجلة (الفنون) مرة أخرى إلى الظهور ، وبين انقطاعها وعودتها تتكسر حياة الشاعر على صخور اليأس والأسى ، ويلجأ إلى صديقه الآخر **عبد المسيح حداد** الذي كان يملك **جريدة (السائح)** ، فيجد فيها نسيب عريضة متنفساً له ، فراح يكتب فيها المقالات والترجمات والقصائد الشعرية الرائعة .

حتى إذا توقفت مجلة (الفنون) نهائياً ، أصاب اليأس صاحبها ، وقرر أن يترك العمل الصحفي وكل ما يمتّ إليه بصلة ، لكن روحه التي كانت متعلقة به أجبرته بعد أن انصرف إلى العمل التجاري وأخفق فيه ، أن يعود مرة ثانية إلى عالم الصحافة من جديد ، فعمل محرراً في **صحيفة (مرآة الغرب)** لصاحبها **نجيب دياب** ، ثم ترك عمله فيها إلى **صحيفة (الهدى)** التي كان صاحبها **نعوم مكرزل** .

بعدئذ ، وخلال الحرب العالمية الثانية عمل نسيب عريضة محرراً في القسم العربي **بمكتب الاستعلامات الحربي الأميريكي** . واستقال في نهاية العامين من عمله فيه .

كانت تشغل أفكار نسيب عريضة فكرة إنشاء جمعية أو رابطة أدبية في **المهجر الشمالي** ، وكانت أفكار صديقه « ميخائيل نعيمة » تلتقي معه في هذا المشروع الكبير .

وبالفعل عملا معاً وتم لهما ما أرادا ، فتم الاجتماع التذكاري بين فئة من الشبان الأدباء في ٢٠ أبريل (نيسان) من عام ١٩٢٠ م ، وبحث في هذا الاجتماع أمر الرابطة الأدبية التي أصبحت حقيقة واقعة بعدما لقيت قبول المجتمعين ، وبعدما وضع ميخائيل نعيمة أسس بنودها وشروطها ، ورسم جبران خليل جبران شعارها الذي كان عبارة عن كتاب مفتوح تنيره شمس مشرقة ومصباح وزجاجة حبر .

الحنين إلى الأوطان

لم يكن نسيب عريضة وحده الذي بهرته ثم صدمته الحياة الصاخبة العنيفة في المهجر . . فكل أولئك الشعراء والأدباء الذين هاجروا كانوا يملكون رهافة الحس ورقة العاطفة وبساطة الحياة وسذاجتها التي تعوّدوا عليها في مختلف أوطانهم . . وإذا هم فجأة في مجتمع صناعي صاخب مليء بالحركة والضجيج الذي لم يكونوا قد ألفوه أو تعوّدوا عليه ، فحصلت في حياتهم الجديدة تلك الهزة العنيفة التي أصابت عمق شعورهم ، ومن هنا وجدنا الحيرة تملأ شعر المهجر ، ووجدنا الانكماش والوحدة تشغلهم ، وألفنا نوحهم الباكي وحنينهم المتوجع . . وإذا هم في بلاد الغربة يتذكرون وطنهم . . بلدتهم النائية البعيدة ، حجارتها . . طرقاتها . . ذكرياتهم فيها ، تلك الذكريات المغروسة في نفوسهم منذ الطفولة . .

وها هو ذا « نسيب » يعبِّر عن كل ذلك بقوله :

أنا المهاجر ذو نفسين ، واحدة
تسير سيري ، وأخرى رهن أوطاني
ابن العروبة ـ لا أسلو الربوع ولو
كانت مثيرة أوصابي وأشجاني
ما إن أبالي مقامي في مغاربها
وفي مشارقها حبي وإيماني

وكلما مضت الأيام وتعاقبت ، زاد التوهج وكبر الحب وتأجج الوجد للأمس والوطن :

مرت ثلاثون لم أنس العهود ـ وهل
تنسى مواثيق أرحام وإيمان .!

أما المدينة ، فهي « حمص » الوديعة البعيدة ، المتكئة على نهر العاصي بوداعة وحب أزليين ، إليها تهفو نفس الشاعر ، فيتذكرها بأحجارها البركانية ويسميها بكل الفخر والحب « **أم الحجار السود** » ، ويعرِّف

الشاعر الناس على مدينته التي يعشقها ويقول :

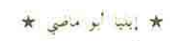
أعرفتها : تلك الربوع العاليه
ما بين لبنان وبين الباديه .؟
الذكريات وقد برزن علانيه
نادين عنك بحسرة المطرود
يا حمص ، يا بلدي وأرض جدودي

وبين لحظات الألم والتذكر ، والوجد والحسرات والتنهدات ، من لنفس الشاعر غير مدينته النائية .. بينه وبينها مسافات بعيدة وآمال يرجوها لو تتحقق حتى ولو في الممات :

يا دهر قد طال البعاد عن الوطن
هل عودة ترجى وقد فات الظعن
عد بي لحمص ولو حشو الكفن
واهتف أتيت بعاثر مردود
واجعل ضريحي من حجار سود

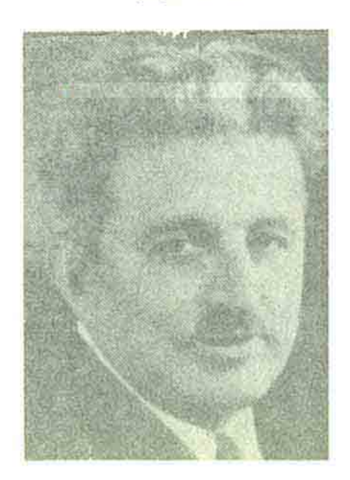
عصرت الغربة قلب الشاعر نسيب عريضة حتى بدت لنا نفسه كأنها مريضة عليلة ، ولعل ذلك مرده إلى الوحدة التي عاشها ، أو كأنه شرنقة راح يبني حول نفسه خيوط الحرير ويغلق هذا البناء حول نفسه ليعيش في انفصال تام عن كل ما حوله ، ذلك لأنه لم يجد في كل المدينة الكبيرة الصاخبة قلباً ينبض بصدق حوله .. يناجيه حديث النفس والقلب والروح .. ولعل هذه الوحدة ما أوحت إليه بالكثير من الرؤى الصادقة التي أحسها وحده :

أعطني من الرخاء خلاً يقضي
زمن اللهو والمسرات عندي
وإذا ما مضى الرخاء فدعني
لقراع الخطوب في العيش وحدي


★ إيليا أبو ماضي ★



★ أمين الريحاني ★



رح صاحبي ، رح أخي ، هيهات تفهمني
دعني وشأني ، فما أدراك ما شأني !

وإذا ما أشتد عليه الحزن أكثر ، يحس أنه يضرب في مجهول البحث في الوصول إلى بداية الخلاص من ربقة هذا الألم الدفين ، فيصرخ :

أنا في الحضيض
وأنا مريض
أفلا يد تمتد نحوي بالدوا
وتبث في جسمي ملامسها القوى
وتقلني من هوّتي نحو الذرى
فأسير مستنداً إليها في الورى ؟ .

وبعد الشكوى والحسرة والأنين ، من يسمع صراخ النفس وبكاءها ، فالناس .. كل الناس لا تبالي به ولا تلتفت إليه :

ما من مجيب
ما من حبيب
سر يا شقي كفاك تشكو ، ما دهاك ؟
ألعل لا شاك من البلوى سواك .؟
كم ذا تفتش عن مواسٍ أو معين .؟
هيهات ، إن الناس مثلك أجمعين .؟

وإذا ما تعمقنا أكثر في نفس الشاعر عرفنا بوضوح أنه إنسان قنوع ، لم يلتفت إلى بريق المال ، ولا ذهبت به خطاه إلى الطرق المؤدية إلى الثراء .. فهو القانع أبداً بما قسمته له الحياة .. لأنه يعرف دائماً وأبداً النهاية :

لما رأيت العيش لا يشـ
فى ولا يروي أوامي
والناس يزحم بعضهم
بعضاً ، عدلت عن الزحام
المال ما يبغون لكن
لست أقنع بالحطام
عجباً ، أيطمع بالغنى
من ليس يطمع بالدوام

غاص الشاعر نسيب عريضة في أعماق نفسه ، أبحر في مجهولها

البعيد، وتعمق في كل أرجائها كبحّار عليه أن يستكشف كل الزوايا والخبايا، فلم يترك بقعة فيها إلا وانطلق إليها يبحث ويحاور ويفلسف.. وكأنه عاكف متصوف، يريد أن يتعرف على ذاته وروحه ونفسه، ويتحدث عن كل ذلك بما عجز غيره عن معرفته.

فإذا قصيدته الرائعة المطوّلة والمسماة (**يا نفس**)، واحدة من معلقات الشعر المتخصصة في النفس البشرية، إلى نفسه تحدث.. وعنها كتب.. ومن حوارها له قال:

يا نفس ما لك والأنين
تتألمين وتؤلمين
عذبت قلبي بالحنين
وكتمته ما تقصدين

★ ★ ★

يا نفس هل لك في الفصال
فالجسم أعياه الوصال
حملته ثقل الجبال
ورذلته لا تحفلين

★ ★ ★

عطش وجوع واشتياق
أسف وحزن واحتراق
يا ويح عيشي هل تطاق
نزعات نفس لا تلين

★ ★ ★

والقلب وا أسفي عليه
كالطفل يبسط لي يديه
هلا مددت يداً إليه
كالأمهات إلى البنين

★ ★ ★

غذيته مر الفطام
وحرمته ذوق الغرام
وصنعت شيخاً من غلام
يحبو على باب السنين

وكما في القصص الرومانسية الرائعة كانت حياة ونهاية الشاعر نسيب عريضة. فما كاد يقول:

أشمس الحياة اسرعي
وغيبي فأنت خيال
أشمس الخلود اسطعي
إليك، إليك المآل

حتى يدرك أن النهاية اقتربت، وأن الخلاص بعد الألم الطويل المرير، قد اقترب، فإذا هو يهمس برقة شفافة:

يا عاصفات هبي
وغرّقي السفين
في العمق يلق قلبي
مرفاه الأمين

ويسلم الشاعر روحه، ويلفظ أنفاسه الأخيرة في الخامس والعشرين من شهر آذار (مارس)، من عام ١٩٤٦ م، في حين كانت عجلات المطابع تدور على الصفحات الأخيرة طابعة ديوانه الوحيد «**الأرواح الحائرة**»، مات «نسيب عريضة» قبل أن يرى ديوانه المطبوع في أيدي الناس.

حتى الأمنية، الحلم، التي كان يتمناها «نسيب عريضة» أن يموت في وطنه، وفي بلدته النائية «حمص» ــ أم الحجار السود ــ ولو (حشو الكفن)، لم تتح له.. فمات بعيداً مغترباً، **ودفن في نيويورك في مقبرة «بروكلن»**، وضاع بين ضجيج الآلات وفي زحمة الضجة.

هذا هو الشاعر المغترب نسيب عريضة، حزمة ضوئية لمعت في الأرض الجديدة وبعثت من حولها وإلى الوطن، تراثاً إنسانياً عميقاً.

أما «نسيب عريضة» الصحفي، والكاتب القصصي.. فذلك ما يدعو الكاتب لأن يقف عند آثاره التي خلّفها وقفة أخرى لأن فيها من العطاء الكثير والكثير.

الحواشي

١ ــ ميخائيل نعيمة في مجلة (القلم الجديد) عمان، أغسطس (آب) ١٩٥٣م.

٢ ــ ميخائيل نعيمة في مجلة (القلم الجديد) عمان، أغسطس (آب) ١٩٥٣م.

٣ ــ ميخائيل نعيمة (الغربال) دار المعارف، ص ١٠٧

٤ ــ رسالة من عبد المسيح حداد، أبريل (نيسان) ١٩٦١م.

ندوة العدد

كيف تتخطى الإنسانية حاجز الإعاقة ؟

إعداد:
فتحي سلامة



في البداية أحب أن أوضح أن هذه الندوة لم تكن نتيجة جلسة واحدة ، بل جاءت على عدة جلسات متتالية . كما أنها جاءت أيضاً نتيجة للاشتراك في سلسلة من المؤتمرات عقدت في مختلف البلدان العربية من أجل توضيح فكرة (العام الدولي للمعوقين) . وبعض الذين اشتركوا معنا في هذه الندوة اشتركوا في بعض المؤتمرات التي عقدت من قبل ، ولهذا فإن ما جاء في مناقشات هذه الندوة ما هو إلا خلاصة لكل الآراء التي أدلى بها أصحابها سواء في الجلسات التي عقدت من أجل هذه الندوة التي تنشرها مجلة « الفيصل » ، أو أدلوا بها في جلسات المؤتمرات التي اشتركوا فيها . وقد كان لاشتراكي في مجموعة من هذه المؤتمرات ، وبحكم تخصصي العلمي محاولة الإلمام بمعظم الآراء التي قيلت سواء في اجتماعات هذه الندوة أو خلال المؤتمرات .

ومجلة « الفيصل » حين تهتم بالعام الدولي للمعوقين في كل عدد من أعدادها إنما تهتم بقضية إنسانية عالمية تهم كل المجتمعات البشرية ، أملاً في لفت أنظار الدول والشعوب إلى أوضاع هذه الفئة المغلوب على أمرها .

وقد لاحظنا في أحد مؤتمرات دراسة مشاكل المعوقين ، أن المعوقين أنفسهم لا يملكون الأمل في الإصلاح ، بل ويتحدثون عن عدم الرعاية الجدية التي تقدم لهم ، وهم يشكّون كثيراً في جدوى المؤتمرات والاجتماعات ، بل يتهمون الأمم المتحدة وأجهزة الإعلام في كل الدول بالمتاجرة على حسابهم ، وإلا ما هي نتائج كل هذا الاهتمام الإعلامي ؟! .

ولاحظنا أيضاً ، أن توضيح وتفسير (**معنى الإعاقة**) ، محل خلاف شديد ، على أساس أن بعض علماء الاجتماع ، ومعهم زميلتنا المشتركة في هذه الندوة ، (دكتورة إقبال فهمي) ، يقولون بأن الإعاقة مرض اجتماعي عام ، يصيب الأفراد جميعهم ولكن بنسب متفاوتة . وأن إنسان العصر الحاضر يجد أمامه ومنذ ولادته الكثير من (**المعوقات**) التي تجعل من تقدمه وتطوره الطبيعي شبه مخاطرة . ويقول أساتذة الطب النفسي ، وعلى رأسهم أستاذنا المشترك في هذه الندوة **الدكتور الرخاوي** :

« إن الحياة التي لا تسمح للإنسان الفرد أو المجتمع الإنساني أن يمارس طاقاته ، ويستثمر قدراته التي يسمح بها تركيبه البشري المتفوق هي حياة ناقصة ومعاقة » .

فإذا كان العلماء مختلفون حول تفسير (**الإعاقة**) ، بل يصل بنا الأمر إلى اعتبار الإنسان جميعه في دنيانا هذه معاق ؟ . . فإن الأمر في غاية الخطورة ، وأننا يجب أن ندرس الأمر بجدية علمية مبتعدين عن المفاخرة الإعلامية ، حتى لا نسقط في المتاجرة بآلام ٤٥٠ مليوناً من البشر يمثلون عشر سكان العالم ، **وحتى لا يصدق القول القائل بأن الأعوام التي تخصصها الأمم المتحدة مثل عام المرأة والطفل وما إلى ذلك مجرد تظاهرة إعلامية !! .**

وفي البداية أيضاً ، نقول إن كل ما جاء في هذه الندوة يحتاج إلى المزيد من المناقشة والمتابعة وصولا إلى تحديد قاطع للحلول الإيجابية السليمة والشاملة لزيادة مشاركة المعاق في الحياة العامة ، وإنماء الجهود في سبيل تطوير خدمات المعاقين ، حيث إن نهر الإعاقة يزداد فيضانه كل عام ، وكل فرد فينا معرض للإصابة بهذا العجز . وعلى هذا فإن الأمر يجب أن يتعدى منطقة الحديث وتبادل الكلمات إلى إيجاد حلول عملية لمشكلة دائمة التواجد ، ودائمة التجدد ، ونسبة المعاقين التي وصلت إلى ١٠٪ من سكان العالم تزداد دوماً . وساهمت حوادث الطرق ، والحروب المحدودة ، وأخطار الصناعات ، وتلوث البيئة ، وازدياد سيطرة الأدوية الكيميائية إلى آخر هذه (**الكوارث**) التي جاءت مع التقدم التكنولوجي ، ساهمت كل هذه الكوارث في زيادة نسبة الإعاقة ، بالإضافة إلى ما سببته (**المدنية الحديثة**) من إعاقة نفسية .

أهداف العام الدولي للمعوقين

في البداية ، نستمع إلى الدكتور مايكل أروبين ، خبير

المشتركون في الندوة :

١ ـ **الأستاذ الدكتور محمد عبد الخالق علام** ـ نائب رئيس الجامعة الأميريكية / القاهرة .

٢ ـ **الأستاذ الدكتور مايكل أروبين** ـ خبير اليونسيف ، مسؤول العام العالمي للمعوقين بالأمم المتحدة .

٣ ـ **الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي** ـ أستاذ الدراسات العليا وعميد كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر .

٤ ـ الأستاذ الدكتور يحيى الرخاوي ـ أستاذ الطب النفسي ـ جامعة القاهرة .

اليونسيف ، والمسؤول العام العالمي للمعوقين بالأمم المتحدة .

د . أروبين : (مترجمة) إنه في عام ١٩٧٦م ، قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة أن يكون عام ١٩٨١م ، عاماً دولياً للمعوقين ، وصدر القرار تحت رقم ١٣٣ / ٣٢ ، وتحت هدف (المشاركة الكاملة والمساواة للمعوقين ، وإتاحة الفرصة الكاملة لتأهيلهم أو إعادة تأهيلهم لمواجهة الحياة) . وتقدر معظم الإحصائيات في هذا الشأن أن عدد المعاقين يفوق ٤٥٠ مليوناً من البشر يعانون من اعتلال جسدي أو عقلي ، ولهذا فإن **الجمعية العامة للأمم المتحدة قد حددت خمسة أهداف رئيسية :**

★ **أولا** : معاونة المعوقين على التكيف الجسدي والنفسي مع الحياة العامة (المجتمع) .

★ **ثانياً** : تشجيع الجهود المبذولة سواء على مستوى الميدان الدولي أو المحلي ، سواء على مستوى العالم كله أو على مستوى دوله ومجتمعاته لتقديم كل مساعدة ممكنة من رعاية وتدريب وإرشاد إلى المعوقين ، وكذلك إتاحة الفرصة لإيجاد عمل مناسب لهم ، وتأمين ادماجهم الكامل في المجتمع .

★ **ثالثاً** : يهدف العام الدولي للمعاقين إلى تشجيع المشروعات الدراسية التي تهدف إلى تيسير الحياة اليومية للمعاقين بشكل عملي ، من ذلك مثلاً ارتيادهم للأماكن العامة والمواصلات ، وما إلى ذلك من وسائل اتصال مع المجتمع .

★ **رابعاً** : هذا من جانب المعاقين ، أما بالنسبة لبقية السكان فإن الأمر يتطلب تثقيف السكان وتوعيتهم بحقوق المعوقين لممارسة مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

★ **خامساً** : الحد من هذا النهر المتدفق ، بتشجيع اتخاذ تدابير ذات فاعلية للوقاية من العجز ولإعادة تأهيل المعوقين .

أسباب الإعاقة

فتحي سلامة : «اسمحوا لي أن أوضح أنه قبل إصدار قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة هذا القرار بأهدافه المحددة ، صدر عن الأمم المتحدة إعلان حقوق الأشخاص المتخلفين عقلياً عام ١٩٧١م ، كما صدر إعلان حقوق المعوقين عام ١٩٧٥م ، وبالتالي فإن إعلان عام ١٩٨١م ، وهو (العام الحالي) ليكون عام المعوقين بهدف المشاركة الكاملة والمساواة أي أننا يجب أن نحدد كيف تكون هذه المشاركة وكيف تكون المساواة» ؟ .

يرد الدكتور أحمد شوقي الفنجري أستاذ الطب الوقائي بالكويت قائلاً :

«أريد فقط أن أركز على عدة نقط في البداية لكي نصل إلى العلاج أو نحدد ما قلت وهو كيف تكون المشاركة والمساواة . والسؤال الذي يطرح نفسه في البداية . **لماذا تحدث الإعاقة ، وما المصدر حتى يمكن وقفها أو سدها ؟** . أقول ، إن هناك عدة أسباب تحدث الإعاقة ، منها ما هو وراثي أو مستحدث .

أعتقد أن مصدر الإعاقة وأسبابها يرجع إلى خمسة ، منها :

● **أولا** : الإصابة مثل إصابات الحروب ، وإصابات الطرق والمرور والحوادث المنزلية وإصابات الصناعة .

● **ثانياً** : بعد الإصابة تأتي الأسباب الوراثية وهي تنتج من أسباب مثل زواج الأقارب أو وجود مرض وراثي مثل السكر والضغط والزهري والسيلان مما يسبب تشوه الجنين إلى آخر هذه الأسباب التي تؤدي إلى الإعاقة نتيجة وراثة .

● **ثالثاً** : إعاقة تحدث أثناء الحمل ، وهي ناتجة من تناول الأم للأدوية أثناء الحمل ، ومن هذه الأدوية ما هو بريء في الظاهر مثل الأسبرين ، لكنه يؤدي أحياناً إلى نتائج سيئة للغاية على الجنين . وكذلك تعاطي الكحول والتدخين أو التعرض للحصبة الألمانية أثناء الحمل .

● **رابعاً** : أثناء الولادة ، وقد اكتشف علماء **جامعة القاهرة** ظاهرة غاية في الخطورة لم يلتفت إليها أطباء الولادة وخاصة في العصر الحديث وهي حدوث مضاعفات مرضية نتيجة استخدام الأدوات الحديثة في الولادة الأمر الذي يؤدي إلى تشوه الجنين . فقد أثبت علماء طب القاهرة أن استخدام التخدير أثناء الولادة سواء التخدير الكلي أو الجزئي ، وكذلك استخدام الجفت للإسراع بعملية الولادة يؤدي إلى تشوه الجنين . **وقد قمت بدراسة الأمر ، واتضح أن الكثير من التشوهات التي تصيب الجنين أثناء الولادة ترجع إلى استخدام الطبيب لإحدى المعالجات للإسراع بعملية الولادة .**

● **خامساً** : هناك أمراض تصيب الأطفال مثل **شلل الأطفال والحصبة** ومضاعفاتها **والالتهاب السحائي** ومضاعفاته .

٥ ـ **الأستاذ الدكتور أحمد شوقي الفنجري** ـ أستاذ الطب الوقائي ـ الكويت .

٦ ـ **الأستاذة الدكتورة إقبال فهمي أحمد** ـ أستاذة علم الاجتماع ـ تونس .

٧ ـ **الأستاذ سعيد سيد أحمد** ـ خبير الإعلام ـ اتحاد الإذاعة والتليفزيون .

٨ ـ **الأستاذة هبة عبده حسن** ـ باحث وعضو مؤتمر المعوقين .

فتحي سلامة : أعتقد أننا في حاجة إلى فكرة سريعة عن الإحصائيات التي تقول بأن هناك حوالي ٢٠ مليون شخص مصاب بمرض **الجذام** ، وأن **العمى** أصاب حوالي ١٥ مليون شخص في العالم ، **واختلال السمع** يعاني منه حوالي ٧٠ مليوناً ، أما **الصرع** فإن حوالي ١٥ مليوناً مصابون بالصرع ، و ١٥ مليوناً يشكون من **عطب بالمخ** ، وأحب أن ألفت الانتباه إلى أن حوالي ٢٥ بالمائة من أسرة المستشفيات مخصصة لأصحاب **الأمراض العقلية** ، وأن هذه الأرقام تمثل الأرقام التي أمكن لأجهزة الأمم المتحدة جمعها ، وأن الإعاقة تمثل تحدياً حضارياً .

الدكتور يحيى الرخاوي : أستاذ الطب النفسي بجامعة القاهرة يدلي برأيه :

« يقولون إننا في عام المعوقين ، وهذه البدعة العالمية بتخصيص أعوام لكل ظاهرة (**عام الطفولة ـ عام المرأة .... إلخ**) أصبحت منتشرة وشائعة حتى صارت ممجوجة لمن يحاول الغوص قليلاً إلى ما تحت السطح . .

والإنسان في عصرنا الحاضر معوق هذا العام وكل عام ، حيث ينبغي أن نتعرف ابتداء على معنى الإعاقة فنقدم تعريفاً يقول :

« **إن الحياة التي لا تسمح للإنسان الفرد أو للمجتمع الإنساني أن يمارس طاقاته ويستثمر قدراته التي يسمح بها تركيبه البشري المتفوقة هي حياة ناقصة ومعاقة** » .

فإذا تذكرنا أن نسبة عمل المخ البشري **في الأحوال العادية** لا تزيد عن عشرة بالمائة من قدرته على الترابط والفاعلية فلا بد أن نحس بحاجتنا جميعاً إلى البحث عن سبب هذه الإعاقة وكيفية التغلب عليها ، ويمكن على هذا القياس أن نراجع قدرات البشر واحدة واحدة ونسأل أنفسنا أي إعاقة نحن نعيش فيها ؟ .

والطفل ـ مثلاً ـ وبصفة عامة يتمتع بقدرات إبداعية فائقة تسمح له بالابتكار والتجديد والتوليف والتغيير ، لكن التتبع العادي لمآل هذه القدرات يظهر لنا أنها تختفي عند أغلب الكبار الذين يمارسون حياتهم بطريقة روتينية معادة . **فأين تذهب هذه القدرات ؟ وكيف تنطق ؟** وكيف تعوق ؟ **وماذا نستطيع أن نفعل لنحافظ عليها ؟** .

إن المجتمع البشري بلا إبداع خلاق ، مجتمع جامد متصلب معوق ، وهذا المجال ، وهو المجال الذي يشرف به الكائن البشري بما منحه الله من قدرة على المرونة وعلى الطلاقة وعلى الابتكار هو أخفى المجالات عن أذهاننا حين نتكلم عن المعوقين ، ومن السهل على الشخص العادي ، بل وعلى العالم أيضاً أن يقول على طفل أصيب بشلل الأطفال في إحدى ساقيه إنه معوق ، ولكنه ليس سهلاً على أحد ، **ولا هو ظاهر لأحد أن نقول على رجل ناضج فقد القدرة على الانبهار وعلى الدهشة وعلى إصرار واستمرار تنمية قدراته الإبداعية بتجديد الحياة .. أن نقول على مثل هذا الرجل إنه معوق أصلاً ، ربما لأن ذلك سيمسنا جميعاً ويكشفنا أمام أنفسنا وهذا ما نخشاه في كل آن** » .

مطلوب منظمة دولية

الدكتورة إقبال فهمي أحمد أستاذة علم الاجتماع في تونس تقول :

★ **أولا** : تؤكد الدراسات التي طرحت خلال هذه الندوة أن ما لا يقل عن ١٠ ٪ من أفراد المجتمع الدولي هم من المعوقين بصورة أو بأخرى . ولا شك أن مثل هذه النسبة في مجتمعنا تصور الحجم الملحوظ للمشكلة ، وتوجه الأنظار وتشد الانتباه إلى جسامتها وتفرض علينا وضع الحلول الشاملة .

★ **ثانياً** : إن العطاء ، عطاء الدول أو الأفراد ، أمر نسبي ، تحكمه الإمكانات المتاحة ، وتحد منه رغم الرغبة الكاملة فيه ، أمور خاصة بكل دولة ، الأمر الذي يجعل من أهمية الدور الأهلي أو الشعبي في كل دولة له أهمية كبرى ويمكن أن ينظم من خلال الجمعيات التخصصية التي تستوعب الجهود الفردية في رعاية وإنماء المعوقين .

★ **ثالثاً** : يمثل (**المعوق**) حين يترك دون رعاية في مواجهة عجزه قوة بشرية معطلة ، تتطلب حاجات العمل الوطني الاستفادة بها ويعتبر تبديدها خطأ لا يغتفر ، وأمر لا يتفق والمنطق خاصة في ضوء إمكانات هي بطبيعتها محدودة .

★ **رابعاً** : أنه من حق المعوق ، انطلاقاً من حق المواطنة أن يوفر له المجتمع الرعاية الواجبة .

★ **خامساً** : إننا نستطيع أن نقول إن معيار تحفز المجتمع ووفائه لمبادئه وإيمانه بواجبه هو مدى الرعاية المقدمة للمعوقين .

★ **سادساً** : إن الأمل لا زال موجوداً في العطاء السخي سواء من قبل الدول أو الأفراد لرعاية المعوقين ، ويجب أن نؤمن أن الجميع معرض في أية لحظة لأن يسقط في قيود الإعاقة ، **ولهذا أقترح ما يلي :**

إنشاء مجموعة من الجمعيات التخصصية في مجال رعاية المعوقين

الدعـــوة إلى إنشـــاء منظمـــة

تضمها مؤسسة أو منظمة دولية تعمل على تحقيق معدلات إنماء علمية لتطوير العمل على إزالة المعوقات التي تقف دون المعوقين في سبيل اشتراكهم فعلياً في العمل والإنتاج .

الوقاية من الإعاقة

الدكتور محمد عبد الخالق علام نائب رئيس الجامعة الأميريكية بالقاهرة يدلي برأيه قائلاً :

« يبدو أن **الدكتورة إقبال فهمي** قد جعلتنا نسرع في اتخاذ مجموعة توصيات وإن كنت أفضل في هذه الندوة أن نحدد أكثر مصادر الإعاقة ، وخاصة كما لمسها **الدكتور يحيى الرخاوي** أستاذ الطب النفسي ، وأيضاً الأديب المشهور ، حيث عبّر بكلمات رائعة عن حالة الإنسان المعاصر وأعتقد أن الإعاقة النفسية إما أن تكون خلقية أي نقص تكويني ولد به الفرد بسبب عدم اكتمال بعض الأعضاء أو الأجهزة أثناء فترة الحمل وإما أن تكون الإعاقة مكتسبة ، اكتسبها الفرد خلال حياته بسبب ظروف معينة ، ويغلب على هذا النوع الأخير الأسلوب الخطأ في تنشئة الطفل في المراحل الأولى من حياته ، وهذا قد يؤدي إلى حالة مرضية من الممكن أن تعالج ، وقد يؤدي الإهمال فيها إلى أن تصبح إعاقة مستديمة للفرد ، ولو أن حجم هذه الإعاقة قد يتفاوت وقد يكون بقدر ربما يتقبله المجتمع والأسرة المحيطة بالفرد ، ولكن ما من شك في أنها إعاقة لها تأثير على حياة الفرد وتصرفاته وإنتاجيته نحو نفسه وأسرته ومجتمعه .

من هنا نتساءل هل من الممكن الوقاية من الإعاقة ؟؟ .

بالنسبة للإعاقة الخلقية فقد يساعد على تجنبها العناية بالمرأة الحامل وإمكانية تحقيق الولادة الطبيعية . . أما بالنسبة للإعاقة المكتسبة فالوقاية منها يتطلب توعية المجتمع على الأساليب الحديثة لتربية النشء والعمل على تنشئتهم التنشئة الاجتماعية السليمة ، مع العمل على توفير الجو العائلي السليم ، وما من شك أن أجهزة الإعلام تقع عليها مسؤولية ضخمة تجاه هذا الموضوع » .

دور الشباب والإعلام

فتحي سلامة : « أعتقد أنني أميل أن نبحث موضوع الحلول المقترحة ، وأعتقد أن مجال رعاية الشباب هو مجال جدير بالاهتمام بمشكلة المعوقين ويمكن أن يسهم إسهاماً كبيراً في حل المشكلة » .

د . إقبال فهمي : « أعتقد أن **الدكتور علام** أحد خبراء رعاية الشباب في العالم العربي الآن ويستطيع أن يفيدنا بشكل هام في هذا الجانب » .

د . محمد عبد الخالق علام : « **بالنسبة لحقل رعاية الشباب أعتقد أنه من الحقول التي تستطيع أن يكون لها دور هام بالنسبة للمعاقين سواء من الناحية الوقائية أو العلاجية أو المعاونة على التكيف مع المجتمع حتى يستطيع المعاق أن يحيا حياته كعضو نافع في مجتمعه وحتى يستطيع المجتمع أن يتقبله .**

ويتحقق ذلك عن طريق تخصيص برامج للخواص أو المعاقين داخل كل مركز من مراكز الشباب وكل ناد من الأندية سواء في المدينة أو القرية حماية لذاته المهددة .

ويجب أن يتشكل البرنامج وفقاً للاحتياجات الفردية أو مجموعة الأفراد التي تتشابه حالتها .

ويجب أن يتسع البرنامج ليشمل النواحي الرياضية والثقافية والاجتماعية والمهنية ، وإشراكهم في الأنشطة العامة للمركز بما يتفق مع قدراتهم .

أما **الجامعات** فيجب أن تعطي هذه النسبة مع المجتمع اهتمامها ، فكم أتمنى أن لا يحرم فرد معاق من فرصة التعليم بسبب الإعاقة وفقاً لقدراته . هذا وربما إذا ما تضاعف اهتمام الجامعات إلى برامج الخدمة العامة أي إتاحة الفرصة للتعلم دون الحصول على درجة جامعية مع تنويع ما يمكن أن يقدم من برامج لمواجهة اهتمامات المعاقين وفقاً لقدراتهم .

ويجب المطالبة بإمكانية عمل حصر شامل لحالات المعاقين في المجتمع وفقاً لنوع الإعاقة ومراحل السن ، وإمكانية خلق لجنة أو مجلس ولو على المستوى الشعبي لكي ينسق بين جهود الهيئات المختلفة التي تستطيع أن تساهم بدور إيجابي تجاه مشكلة المعاقين » .

سعيد سيد أحمد (خبير الإعلام) : « أعتقد أن وسائل الإعلام المختلفة تستطيع أن تقدم العون المطلوب في هذا المجال ، حيث إنه يمكنها أن تكون ما يسمى بلجنة الإعلام لتقديم الإحصائيات المطلوبة والاتصال بكافة وسائل الإعلام على المستوى الدولي للحصول على البيانات » .

المجتمع والدولة

فتحي سلامة : « أعتقد أننا في حاجة إلى الحديث عن

إسلامية لرعاية المعوقين.

(المجتمع) الذي يعيش وسطه هؤلاء (**المعوقين**).

د. يحيى الرخاوي: «فإذا رضينا بالشائع ونظرنا إلى المعوقين ممن فقدوا حاسة من حواسهم الخمس (**الصم أو العميان**) أو فقدوا قدرة النطق (**البكم**) أو قدرة الحركة (**الشلل الجزئي أو الكلي**) فإننا نحتاج إلى مراجعة موقفنا منهم بشكل جذري. فقد تعودنا أن نستثار شفقة عليهم باعتبارهم أدنى، وفي هذا ما فيه من قسوة خفية واستعلاء مهين، ولذلك فالمطلوب أن تكون رؤيتنا لهم هي مزيج من الاحترام والالتزام بإتاحة الفرص المناسبة لا أكثر ولا أقل. فالقانون الحيوي حر في توزيع قدراته على أفراد البشر، والله تعالى يلطف بعباده قبل بلائه، وعلى ذلك فإننا ينبغي أن نلتزم ابتداء بأن نتعاون **لنكون سبباً في لطف الله بهؤلاء الذين ظهر عليهم أثر الإعاقة بشكل مباشر**، وأن نتذكر في كل حال كم نحن معاقون حقيقة وفعلاً، ولكن إعاقتنا خفية، في حين أن إعاقتهم ظاهرة، كما نتذكر أن الاحترام والتعاون هما عواطف أرق من الشفقة التي تحوي بين ثناياها التعالي الخفي، وما أقسى ما يتألم المعاق من مثل هذه الشفقة أكثر بكثير من ألم من الإعاقة ذاتها التي يستطيع بفضل الله ثم بقوة الإرادة أن يتغلب عليها بكل الوسائل.

إن الدولة بصفتها الكيان المنظم للفرص المختلفة للرعية تحتاج إلى أن تعدل في هذه الفرص بحيث يكون موقفها ومدارسها ومراكز تأهيلها متفقة تماماً مع الاحتياجات الحقيقية لسائر أفراد الشعب، كلّ حسب قدرته، وكذلك حسب إمكان ترعرع ملكاته، ونظراً للاختلافات الفردية الكبيرة بين الناس وبعضها فإن التصنيف النوعي المبدئي وإتاحة الفرصة للمعوق بشكل مناسب هو الخطوة الأولى في قانون العدل والأمان.

أما الأسرة التي تمنعها الظروف بوجود فرد معوق فيها، وخاصة إذا كان طفلها فإن لها حق على المجتمع والدولة، كما أن على أفرادها واجب نحو هذا الإنسان الأكثر احتياجاً للرعاية البدنية حتى ينطلق تلقائياً بكل قوة الحياة وتحدي البشر وقبل كل شيء عون الله ولطفه، وعلى الأسرة أن تعامل مثل هذا المعوق معاملة **عادية تماماً** ولا تذكره بغير داع بإعاقته كما لا تفرط في إراحته حتى تشل قدراته الأخرى التي لم تصب بسوء، وعليها أن تنظم الفرص والوقت والتعاون فيما بينها بما يتيح القدر الكافي للتعويض والانطلاق، أما الأفراد فيما بينهم، فلن يسهل عليهم المهمة إلا أن ينظر كل في نفسه وكأنه يقول «.. **من كان منا بلا إعاقة فليبحث عن عالم لا نعرفه**».

توصيات طبية وقائية

دكتور أحمد شوقي: «طالما أننا نتحدث عن الحلول، أحب أن أوضح أن هناك عدة **توصيات طبية وقائية** يجب الأخذ بها مثل:

(١) تعميم **التطعيم** ضد جميع أمراض الإعاقة، وتسهيل الحصول عليه، وخاصة شلل الأطفال والدفتريا والحصبة وغيرها.

(٢) التوعية الصحية بأهمية التطعيم في مواعيده وخطر إهماله وعقاب المهمل.

(٣) السيطرة على **حوادث المرور والطرق** واتخاذ كافة التدابير للحماية حيث إن معظم هذه الحوادث ينتج عنها تشوهات عضوية إن لم تسعف بالسرعة الواجبة.

(٤) التوعية اللازمة لإيقاف أخطار **حوادث المنازل**، وخاصة أن معظمها أصبح قاتلاً بسبب كثرة المواد القابلة للاشتعال السريع والموجودة بالمنازل.

(٥) إن نسبة كبيرة من المعاقين وخاصة في البلاد النامية لا يجدون الأماكن اللازمة والمخصصة لهم في المستشفيات، وهذا يزيد من نسبة الإصابات.

(٦) إن الرعاية الواجبة للمعاقين تستلزم **إنشاء منظمة عالمية** تتولى هذا الغرض وأنا هنا أؤيد ما ذهبت إليه زميلتي الدكتورة إقبال فهمي».

هبة عبده حسن (باحث وعضو مؤتمر المعوقين): «اسمحوا لي أن أقول إن الكثيرين من المعوقين الذين قابلتهم يشكون من عدم توفر الرعاية الكاملة لهم، بل يشعرون باليأس من عدم اهتمام العالم بهم. وقد سألت أحدهم وهو يعمل بإحدى الدول العربية، وأجابني بأن نظرة الإنسان العربي إلى المعوقين فيها الكثير من الاشفاق والرثاء وهذا ما يحزنه، وأنه كان يفضل أن تشترك وسائل الإعلام جميعها في تنمية الوعي لدى الجماهير (**بمسألة المعوقين**). **وقال لي آخر إنه سعد بما ذكرته مجلة «الفيصل» في أحد أعدادها، من أن هذا العصر عصر كشف المساوئ التي يعيشها الإنسان، وعندما ذكرنا له أن هذا البحث ضمن ندوة نسجلها للنشر في «الفيصل»، قال: أرجو أن تتابعوا ردود الفعل ولهذا أقترح أن نظل على اتصال لكي ندرس مقترحات جديدة ربما يرسلها لنا قارئ**».

الإسلام .. والمعوقون

فتحي سلامة : «أرجو هذا، والآن أعتقد أن **الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي** قد استوعب الأمر، ويمكنه أن يقول رأيه في كيفية المشاركة والمساواة التي نطالب بها للمعوقين».

دكتور محمد عبد المنعم خفاجي : (أستاذ الدراسات العليا، وعميد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر).

«إن الاهتمام بالمعوقين واجب قومي إنساني معاً، فضلاً عن أنه واجب ديني أيضاً.

«فالإسلام الذي يأمر بالحنان على المريض والعطف على المتهيض، والمبادرة إلى تقديم الدواء والعلاج لكل من ألمت به عاهة، أو أصابه مكروه، يزيد من رعايته الكاملة للمجاهدين. ومن أجل ذلك كان **رسول الله صلى الله عليه وسلم** يأمر بأن تنصب للمصابين في الحرب من المسلمين خيمة كبيرة في **المسجد النبوي الشريف**، ويأمر الصحابة، بل أمهات المؤمنين أنفسهم، برعايتهم والإشراف على علاجهم، اعتزازاً بمكانتهم وجهودهم وجهادهم من أجل الدين والوطن.

وحتى في الآداب العامة يأمر الإسلام بأن يقدم المريض في السلام عليه قبل غيره، يقول صلى الله عليه وسلم: «**يسلم الكبير على الصغير، والسليم على السقيم والغني على الفقير**».

ومن الواجب على الدولة ألا تدخر وسعاً في علاج المعوقين، مهما بذلت في سبيل ذلك من مال، فضلاً عن القيام بطعامهم وكسوتهم وإسكانهم وكل ما يلزم لهم، وذلك من خزينة الدولة أو من تبرعات الأفراد.

والمعوقون يقدمون على غيرهم في العلاج والإنفاق.. ومن الحكم التبرع لهم، ورصد الأموال عليهم، ووقفها في سبيل تطبيبهم بل إن من الواجب إسلامياً رعاية أسرهم المحتاجة للرعاية والإنفاق على زوجاتهم وأبنائهم إن كانوا فقراء.

والإسلام في إنسانيته ورحمته وطلبه للإحسان والبر والأريحيّة والبذل والعطاء، لا يضنّ على أمثال المعوقين بقليل ولا بكثير.

ومن أجل ذلك كله كان إقامة **دار المعوقين**، لعلاجهم وإقامتهم ومن أجل الإنفاق عليهم.. واجباً قومياً.. تقوم به الدولة، ويتبرع له الأغنياء بالمال، بل إنه أحد المصارف الذي تصرف فيه أموال الزكاة.. سواء كانت زكاة مال أو زكاة فطر.

فالإنفاق على المعوقين جزء من الإنفاق في سبيل الله، وهو يعادل الإنفاق على بناء المساجد والمستشفيات والمدارس وغيرها.

والله تعالى يقول في كتابه الحكيم ﴿ **ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطلّ والله بما تعملون بصير. أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرّية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون** ﴾.

ويقول كذلك ﴿ **وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون** ﴾.

وإنسانية الإسلام في معاملته لكل فرد من أفراد الأمة معاملة كريمة على مقدار جهاده وبلائه من أجل الدين والوطن، إنسانية معروفة لا تخفى على أحد، ولا تقف عند حد أو غاية.

ومن أجل ذلك كله، فإني أهيب بكل مسؤول، وبكل قادر أن يمدّ يد العون للمعوقين في مختلف الصور، وبشتى الأشكال. يقول تعالى ﴿ **إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم** ﴾ ويقول تعالى ﴿ **والذين في أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم** ﴾ إلى أن يقول ﴿ **أولئك في جنات مكرمون** ﴾ صدق الله العظيم، **ومن أحسن من الله قيلا**»؟.

● **د. يحيى الرخاوي** : «إن الإعاقة عجز بشري شريف وتعويضها فضل من الله، وواجبنا نحو المعاق ظاهراً والمعاق ضمناً يحتاج إلى جهد دائم مثابر لا ينقطع إلا حين يصبح الإنسان إنساناً بحق مبدعاً فاضلاً مفيداً داعياً منطلقاً».

● **د. إقبال فهمي** : «أعتقد أن ما ذكره **دكتور خفاجي** يجعل أمر الرعاية الواجبة للمعاقين أمراً ملزماً وفقاً للتكافل الاجتماعي في الإسلام، إنشاء ما اقترحه من منظمة عالمية لإغاثة المعاقين، يمكن تطبيقه بسرعة بإنشاء **منظمة إسلامية لإغاثة وعون المعاقين**»[1].

● **فتحي سلامة** : «هذا اقتراح جيد وأرى الحاضرين قد استحسنوه لهذا نقدمه إلى المسؤولين في كل الدول الإسلامية لتطبيقه».

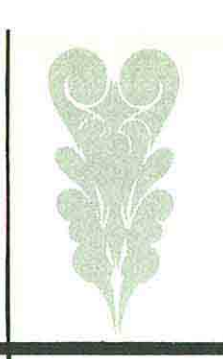
● **د. مايكل أروبين** : (مترجمة) «إن وسائل الإعلام تلعب في عصرنا الحاضر دوراً هاماً وحيوياً، لهذا فإنني أرى الاهتمام بوسائل الإعلام حتى نتمكن من تحقيق أهداف العام العالمي للمعوقين».

● **د. محمد عبد الخالق علام** : «أرى لزاماً علينا أن نصرح بأن هذا الموضوع لا يكفي لحله مجرد كلمات تقال بل **يجب أن تخصص الجامعات مركزاً علمياً لدراسته الدراسة المستمرة والجادة**».

وفي النهاية، أعتقد أن كل ما جاء في هذه الندوة من آراء إنما يمثل مجرد صيحة تحذير لكي يهتم العالم كله بهؤلاء الذين يعانون الألم ويحتاجون منا إلى العون.. الكثير من العون.

الهوامش

(١) **المجلة** : طالع زاوية «كلمة» في هذا العدد عن الدعوة إلى إنشاء منظمة إسلامية عالمية لرعاية المعوقين بقلم رئيس التحرير.



بين شاعرين

شيلي ● مختار الوكيل

قصيدة ○ قصيدة

إلى قبرة

للشاعر **الإنجليزي ب . ب . شيللي** الذي ولد عام ١٧٩٢ م ، وتوفي عام ١٨٢٢ م ، وهو من **أبرز شعراء المدرسة الرومانسية** في الشعر الإنجليزي ، كان صديقاً **للشاعر كيتس** الذي رثاه شيللي في قصيدته الشهيرة « **أدونيس** » عام ١٨٢١ م ، تأثر بالفيلسوف الإغريقي القديم **أفلاطون** إلى الحد الذي جعله يغرق في الرومانسية ، بما فيها من ذاتية ومثالية وحب للطبيعة ، وكان يستلهم الأساطير الإغريقية في شعره ، وكان صاحب موهبة فذة في موسيقى الشعر ، حتى لقد كانت بعض قصائده نوعاً فنياً أقرب إلى الموسيقى منه إلى الشعر ، من ذلك مثلاً ، **قصيدته** « أغنية إلى ريح الشمال » وإلى قبرة ، التي أثرت تأثيراً بليغاً في الشعر العربي الحديث ، وهي القصيدة الشبيهة بقصيدة **وردز ورث الشاعر الإنجليزي** الشهير التي يقول فيها ما ترجمته :

إلى قبرة

للشاعر **مختار الوكيل ، أحد شعراء جماعة أبوللو** التي أسسها المرحوم **الدكتور أحمد زكي أبو شادي** عام ١٩٣٢ م ، ورأسها أمير الشعراء **أحمد شوقي** ، ثم شاعر القطرين **خليل مطران** . له مؤلفات عديدة في الأدب والشعر ، وكان أول دواوينه الشعرية ديوان « **الزورق الحالم** » الذي حقق له اسماً لامعاً في سماء الحياة الشعرية العربية الحديثة ، حتى لقد كان ولا يزال اسمه يذكر إلى جانب أسماء **علي محمود طه وإبراهيم ناجي ومحمود حسن إسماعيل ، ومحمد عبد المعطي الهمشري** وغيرهم من نجوم جماعة أبوللو القديمة ، وهو صاحب الدعوة إلى إحياء هذه الجماعة تحت اسم جماعة أبوللو الجديدة ، تأثر في شعره بشعراء الرومانسية الإنجليزية وخاصة **شيللي** ، الذي نسج على منواله قصيدة بعنوان « إلى قبرة » ، ضمنها ديوانه « **موكب الذكريات** » ونص هذه القصيدة :

• إلى قبـــرة •

أيها الطائر السماوي
الذي يغني في الهواء
ويحوم حول السماء
تراك تزدري الأرض
وما حوت من شقاء ؟
أم أن قلبك وعينيك ،
إذ رفعك جناحاك عن الأرض
تحن إلى وكرك
على الأرض المكسوة بالندى
ذلك الوكر الهانئ
الذي تستطيع أن تهبط إليه
متى أردت
بجناحيك الساكنين
وموسيقاك الهادئة ؟



اصعد . . .
أيها المغني الجريء
إلى مدى البصر
أو أعلى
فإن الموسيقى
العازفة بنغمات الحب
المتأجج بين جوانحك
لصغارك
ذلك الرباط المقدس
الذي لا تنفصم عروته
ولا تنضب شرعته
تبعث لسكان الأرض
سروراً
لا يقل عن سرورك .

* * *

ملحوظة : هذه هي الترجمة الحرفية لقصيدة الشاعر شيللي إلى قبرة to Shylark ، وليست قصيدة وردز ورث المسماة القبرة The Shylark .

• إلى قبـــرة •

سـلام عليك شـعاع الجمال
محال تـكونين طـيراً ، محـال
يذوب من القلب ، ضافي الجلال
غنـاءُ شـجي ، فـريد المثـال

وركب السـمو وروح الـطرب
وهـذا غنـاؤك شيء عجـب
ليخلـد في آبـدات الحقـب
يشارفنا مـن ثنـايا السـحب

* * *

عن الأرض دوماً طلبت البعاد
كأنـك والجـو مثـل المداد
نشرت جناحك فوق الـوهاد
وأرسـلت لحنك ، فيـه الـوداد

وطـرت إلى حيثما تـرغبين
سـحابة نـار بـه تسبحين
وفـوق المتـالع إذ تعـبرين
وفيـه الشجون وفيـه اليقـين !

* * *

إذا مالت الشمس تبغي الغـروب
أضاء السحابُ بسحر عجيب
وأقبلت مثـل خيـال طـروب
كأنـك في الجـو لغـز غـريب

وسال على الأفق صافي الـذهب
وشـاع الجمال بـه واستتب
يطوف جهـولا خـلال السحب
يحيـط بـه البشر أنى ذهـب

* * *

إذا طـرت عـانقك الأرجـوان
كأنـك في الـرائع الأضـحوان

وذاب حـواليك ثم انحسر
على رغم علمي ـ نجم ظهر

إذا كان لم ينعـم النـاظران
فيكفي أغانيك تغزو الجنـان

بمـرأى خيالك لما سـفر
وفي الـروح أو حـولها تسـتقر

* * *

وهـذاك مصـباح نـور قـوي
كقـرص رمـى بشـعاع سـني
ولـكن بفجـر النهـار البهـي
ويهجـرنا منـه العبقـري

ينـير السماء إذا مـا بـدا
يـداعبنا مـن بعيـد المدى
نـراه يبـين ويمضي سـدى
إذا مـا ذكاء أتت بـالهدى !

* * *

يفيض غنـاؤك فـوق الأديم
وينشر في الكون سحر عميـم
كما يبعث البدر خلف الغيوم
فنحسـب أن الـوجود القـديم

ويسـمو فيلمس سـقف السماء
يفـاوح أرواحنـا في الغنـاء
سناه العجيب ويزجي الضياء
غـريق ببحر لجين ومـاء !

* * *

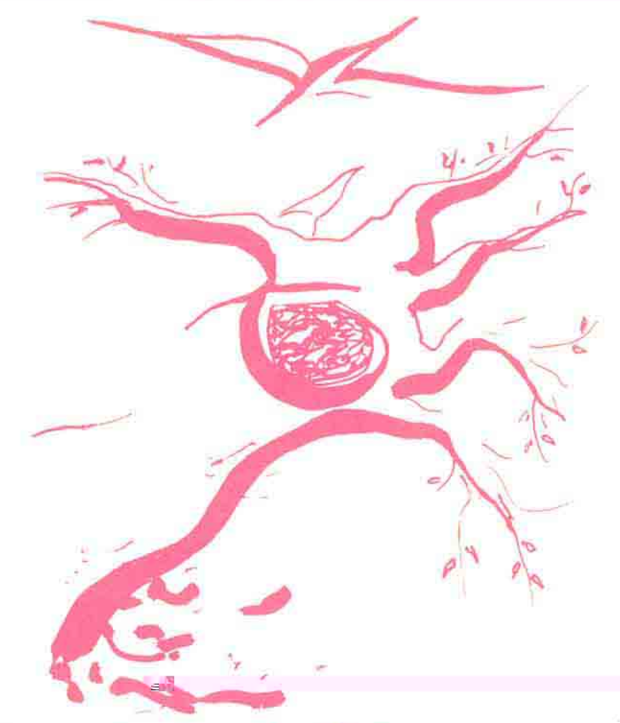
جهلناك . . ما أنت؟ ما تشبهين؟
إذا الجـو ران عليـه الـدجون
ونام بـه قـزح مثـل نـون
يفـوق غنـاكِ القـوي الحنـون

ومـاذا جمـالك يـا سـاحره ؟
وحطت بـه السحب الـزاخره
وجـاء بـأمطاره الغـامره
جـداه وآيـاته العـامره

ومما تغبط عليه
إنك تستطيع أن تغني
في الربيع
ذي الأوراق الخضر
أو في غيره من الفصول
تلك قوة موهوبة لك
من الله .

★ ★ ★

دع البلبل
يعيش في الغابة الدجياء
في وارف ظلالها
وعش أنت
في حقلك المنور
وصب على الناس



موسيقاك العذبة القوية
التي آثرك بها الله
وحرمها البلبل .

★ ★ ★

إنك . . .
كأحكم الرجال
تتأجج فيك رغبة البحث
عن الحرية المطلقة
وفي بحثك عن الحرية
لتتفيأ ظلالها
تطيع أمر الله
الذي تقضي إرادته ،
أن ينعم كل مخلوق
بالحرية !

ترجمة: صالح جوت في كتابه م . ع الهمشري حياته وشعره

كأنك من خلف نور الحجى ... ومن بنيه شاعرٌ ثائرُ
يتمم آياته في الدجى ... ويطغى عليه هوى جائرُ
وينشر إما هواه سجا ... على الكون ، إحساسه العامرُ
يقود إلى عالم مرتجى ... جميل ، به يهدأ الخاطرُ

★ ★ ★

كأنك خود زكا حسنها ... وطابت أرومتها العاليه
يشع سناءٌ بها خدرها ... وتبسم حجراته الزاهيه
يحدثها بالهوى قلبها ... فتشغل بهجتها الخاليه
فتقبل نحو الهوى روحها ... فتشرب ألحانه الغاليه

★ ★ ★

كأنك بين وهاد الندى ... سراج من العسجد الصادقِ
يشيع سناه إذا ما بدا ... ويخفي على الإثر كالغارقِ !
يبعثر أضواءه كالمُدى ... على الزهر والعوسج العالقِ
فتحجبها ، لم تبلَّ الصدى ... ولم تأتنس بالبهي الأبقِ !

★ ★ ★

كأنك بين الربى وردةٌ ... ثوت بين أوراقها الزاهيه
تناسمها في الدجى هَبَّةٌ ... من الريح ، تتركها واهيه
وتحمل في طيها ـ نسمةٌ ... أريج وريقاتها الغاليه
وتلك لعمر الهوى حيلةٌ ... تلوذ بها النسمة العاديه !

★ ★ ★

بديعٌ غناؤك لا يوصفُ ... وصوتك ليس له من نظيرْ
فقطر الندى حسنه أجوفُ ... ـ إذا حط ـ وقت الربيع النضيرْ
وغطى الربى شكله الألطف ... وأيقظ ورد المروج الكثيرْ
فإن الجمال الذي نعرف ... حقير وحسنك حسن خطير !

★ ★ ★

بحق جمالك يا قبره ... تقولين ما جال في خاطرك ؟
وماذا دحاه وما كوره ... فشاع سناه على ظاهرك ؟
غناؤك في الحب ما أبهره ! ... ولحنك في الخمر من ساحرك
يفيض بحنجرة ماهره ... تبث المسرة في سائرك !

★ ★ ★

أغاني السرور إذا ما دوت ... وأنشدها في الأنام القيان
وأغنيةُ النصر إن رددت ... تميت من الرعب قلب الجبان !
إذا ما شدوت فقد أنصتت ... ومادت من السحر إنسٌ وجان
وبادت أغاني الهوى وانطوت ... على إثرها أغنيات الطعان



فقصي الحقيقـة إذ تشرحـين ... تـرى أي شيء ينـابيع لحنـك ؟
وأي بحـار الهـوى تـركبين ؟ ... وأي حقـول تمشت بحقبـك ؟
وأي سـهول وأي حـزون ؟ ... وأي سمـاء تُرى فـوق أرضـك ؟
وما الحب عندك ؟ كيف الحنين ؟ ... وكيف صرعت الهمـوم بـظفرك ؟

★ ★ ★

حبـاك الإلـه بـروح السرور ... وأبعـد عنـك الضنى والضـجر
وأخـلاك مـن حـازبات الأمـور ... وأعـطاك سر المنى والسـمر
وأنـت تحبـين حبـاً ، يـدور ... كريم الخيـال بـديع الصـور
ولا تعـرفين زمـاناً يجـور ... ويـأتي بخـاتمة لا تسر !

★ ★ ★

يـطير خيـالك صـوب المهات ... يصـور عقبى الـوجود الخبيء
ويبحـث في فلسـفات الحيـاة ... بـأحلامه في الـرقاد الهنـيء
بمـا يعجـز البـاحثين الثقـاة ... ويبهـرهم بـالبيان الجـريء
وإلا ، فـكيف أنـت سـاحرات ... أغانيك تسبي كمجرى مضيء !

★ ★ ★

نهـيمُ غـراماً بسر الـوجود ... ونعـنى بـأمر الـدُنى بعـدنا
ونُغرق في ذكر مـا لا يعـود ... ونـكثر مـن شرح مـا فـاتنا

وإن كان ذا الـدهر يـوماً يجـور ... ببسمة ثغـر فـكم سـاءنا !
ولا بـدّ أن أغـاني السـعيد ... يخـالطها ثـائراً حزننا !

★ ★ ★

لـو أنَّا خلقنا نعـافُ الغـرور ... ونحتقـر البغض والـكبرياء !
لـو أنَّا نشـأنا بفـكر حقـير ... وطرفٍ يعـاف الهـوى والبكاء !
لـو أنَّا درجنـا بغـير الشـعور ... وعشنا على جهلنـا والغبـاء !
لـكنا جهلنـا دواعـي السرور ... سمـت بـالأغاني لأوج السماء !

★ ★ ★

لَعنـدي أغـاريدك المبـدعه ... وأبيـاتُ شـعرك مـلءَ البيـانْ
تفـوق كؤوس الهـوى المترعـه ... وتفضـل كل أغـاني القيـانْ
وتـزري بـأسفارنا الممتعه ... وما قـد حـوته كنوزُ اللسـانْ !
لئن طـرت عـن أرضنـا مسرعـه ... فـأوجُ السماء مقـر الحنـانْ !

★ ★ ★

ألا ليـت لي نصـف هـذا الهناء ... ويـا ليـت عقلي شـبيهٌ بعقلك
فـإن بعقلك نـامَ الصـفاء ... يُصـفق إن فـاض إلهام حبـك
وهـذا الهـراء ، وفيـه البهـاء ... شـعور جنـاني بضـعفي وقـدرك
فـأصغي إلى لحن هـذا الغبـاء ... كما أنا أصـغي طـرباً للحنـك !

الرسائل التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدول المجاورة

بقلم : عبد الجبار محمود السامرائي



الدبلوماسية في لغة السياسة الحديثة : هي مجموعة العلائق التي تربط دولة من الدول بالدول الأخرى ، ومجموعة النظم والأساليب التي تجري عليها في تنظيم هذه العلاقات ، أو هي بعبارة أخرى : السياسة الخارجية لدولة من الدول ، وما تنطوي عليه من بواعث وأهداف[1] .

ولا ريب أن الدبلوماسية ، لم تنم وتزدهر في عصر الإسلام الأول ، بسبب الفتح والإنشاء . . . وكان أعظم الحوادث الدبلوماسية في فجر الإسلام ، رسائل **النبي صلى الله عليه وسلم** ، إلى ملوك العصر وأمرائه ، يدعوهم فيها إلى الإسلام والإيمان برسالته .

وكانت هذه السفارات الفريدة في صحف التاريخ ، دليلاً جديداً على ما تجيش به نفس الرسول عليه الصلاة والسلام ، من سمو في الشجاعة وقوة الإيمان برسالته[2] ، بالرغم من أن الجماعة الإسلامية في مكة المكرمة ، لم تكن ذات كيان سياسي ، ولا دولة من الدول ، ولا ذات نظام إداري ، وإنما كانت كتلة إسلامية تصوغ نفسها وفق العقيدة الجديدة ، وتصبغ نفسها بصبغة الإسلام وتعاليمه ، وتهيىء أوضاعها وظروفها لإيجاد الدولة في الأرض التي تصلح لها .

وبدأت حينئذ المواثيق النبوية ، ورسم السياسة الداخلية والخارجية للدولة تكرّس عملاً يبيّن المعالم ، ويوضح الأسس التي من شأنها إرساء قواعد العمل السياسي في الإسلام[3] .

السفارات النبوية

وكما كانت الغزوات النبوية سبيلاً للذود عن الإسلام ، ووسيلة لتأييد كلمته ، فكذلك كانت السفارات النبوية سبيلاً لأداء رسالته وإبلاغ صوته ، إلى الملوك والأمراء الذين كانوا يحكمون العالم القديم يومئذ .

ففي شهر (ذي الحجة) سنة ست من الهجرة (أبريل (نيسان) – سنة ٦٢٨ م)[4] بعث النبي عليه الصلاة والسلام كتبه وسفراءه إلى ثمانية من أولئك الملوك والأمراء هم : **قيصر القسطنطينية ، وكيروس حاكم مصر الروماني ، والحارث بن أبي شمر الغساني عامل قيصر على الشام ، وكسرى (خسرو) ملك فارس ، ونجاشي الحبشة** ، وثلاثة آخرين من أمراء الجزيرة المحليين هم **صاحب اليمامة ، وصاحب البحرين ، وصاحب عمان** .

وقد كان هؤلاء ، ملوك العرب والعجم ، الذين يسودون الجزيرة العربية يومئذ أو يتصلون بها بأوثق الصلات . وكان أهمهم وأعظمهم ، بلا ريب ، قيصر الروم ، وملك الفرس ، وقد كانا يقتسمان سواد العالم القديم يومئذ ، ويبسط أولهما حكمه على الشام وما إليها جنوباً حتى شمالي الحجاز ، ويبسط الثاني حكمه على شمال شرقي الجزيرة العربية ، ويدين له كثير من أمراء العرب بالولاية والطاعة وكان الأول زعيم الأمم النصرانية ، والثاني زعيم الأمم الوثنية[5] أو بالحري ، المجوسية .

نظمت هذه السفارات ، وأرسلت إلى مختلف الأنحاء ، لكل ملك وفد أو رسول ومعه كتاب نبوي ، وكانت مهمتها جميعاً واحدة . وتقدم الرواية الإسلامية إلينا نصوصاً للكتب المرسلة ، وهي جميعاً في صيغ واحدة أو متماثلة ، وفيها جميعاً يدعو

النبي صلى الله عليه وسلم، ملوك عصره إلى الإيمان برسالته[٦]، أما هذه الرسائل فهي:

(١) إلى هرقل عظيم الروم

وكان سفير النبي صلى الله عليه وسلم إلى «هرقل» قيصر الدولة الرومانية الشرقية، (**دحية بن خليفة الكلبي**)[٧]، وكان هرقل حينذاك بـ (بصرى) الشام، لكن **المؤرخ محمود العابدي** يؤكد بالاستناد إلى مصادر تاريخية، أن هرقل كان في فلسطين، وأن (دحية) قد سلّم الكتاب هرقل وهو في (**بيت المقدس**)، عندما أتى إليها حاجًا، ماشياً، بعد أن انتصر على الفرس، واسترجع الصليب، ثم يمضي العابدي قائلاً: «إن الرواية تقول: إن هرقل، أرسل يسأل عن تجار في بيت المقدس جاءوا من الحجاز في رحلة الصيف، فلما مثلوا بين يديه وسألهم عن صاحب الرسالة فقالوا: نعم، إنه من أرفعنا نسباً وأكرمنا خلقاً، فسألهم هرقل: وهل أسلمتم به؟ فقالوا: لا، لأننا وجدنا آباءنا على ملة وإنا على آثارهم مقتدون. فرد هرقل رداً مهذباً، وقال لصاحب الرسالة: عندما يسلم به أقرب الناس إليه نرى رأينا»[٨].

ونص الكتاب النبوي إلى هرقل قيصر الروم هو:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد بن عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم.

سلام على من اتبع الهدى. أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فعليك إثم الأريسيين.

و ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾[٩].

ويذكر أن (**المنذر بن الحارث الغساني**) عامل هرقل على الشام، طلب من (هرقل) أن يسير إلى النبي صلى الله عليه وسلم لمحاربته! فلم يوافقه هرقل على ذلك[١٠]، وقد رد على رسالة النبي عليه الصلاة والسلام بأدب جم هذا نصه:

«إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى، من قيصر ملك الروم. إنه جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسى بن مريم، وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيراً لهم، ولوددت أني عندك فأخدمك وأغسل قدميك»[١١].

ولما عاد (هرقل) إلى عاصمته، بعد أن كان حاجاً إلى بيت المقدس، وصلته رسالة أخرى من النبي صلى الله عليه وسلم، تلقاها (المنذر بن الحارث الغساني) عامل هرقل على الشام، على يد رسوله، يدعوه فيها إلى الإسلام ويحذره من عواقب المخالفة[١٢]، هذا نصها:

«من محمد رسول الله إلى صاحب الروم. إني أدعوك إلى الإسلام، فإن أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم. فإن لم تدخل في الإسلام فاعط الجزية، فإن الله تبارك وتعالى يقول ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ وإلا فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام أن يدخلوا فيه، أو يعطوا الجزية»[١٣].

ويذكر أن (هرقل) كان قد حكم بين سنتي ٦١٠ ـ ٦٤١م[١٤].

(٢) إلى المقوقس عظيم القبط

وكتب النبي عليه الصلاة والسلام إلى (**المقوقس**)[١٥] **عظيم الأقباط في الإسكندرية**، سنة ٦٢٧م[١٦]، ووصلت السفارة إلى مصر يحملها (**حاطب بن بلتعة اللخمي**)، والكتاب مشابه لنص الكتاب الذي وجهه الرسول عليه الصلاة والسلام إلى (هرقل) ودعاه فيه إلى اعتناق الإسلام.

وهنا يجب أن نقف قليلاً عند شخصية (المقوقس) هذا الذي تعرفه الرواية الإسلامية دائماً بأنه عظيم القبط. فقد كانت مصر يومئذ ولاية رومانية تخضع لقيصر **القسطنطينية**، ولم يكن لأهلها القبط أي نوع من الاستقلال. ولم تكن هذه الحقيقة مجهولة في **المدينة المنورة**، حيث تدل كتب النبي صلى الله عليه وسلم ورسائله على أن الأحداث والأوضاع السياسية التي كانت تسود الجزيرة العربية وما يجاورها من الممالك، كانت معروفة من النبي عليه الصلاة والسلام وصحبه. وقد كان حاكم مصر الروماني في الوقت الذي نتحدث عنه هو **الحبر (كيروس)**، وهو في نفس الوقت حاكم مصر وبطريقها الأكبر. وقد استطاع البحث الحديث أن يلقي كثيراً من الضياء على شخصية (المقوقس)، وأن يتعرف فيها شخصية (كيروس) نفسه.

إذن، فالمرجح أن المقوقس الذي تردد الرواية العربية اسمه إنما هو (كيروس) حاكم مصر الروماني[١٧]، ومما يؤيد هذه الحقيقة، أن السفير النبوي قصد إلى الإسكندرية ليؤدي مهمته، وقد كانت الإسكندرية يومئذ مقر الحاكم العام الروماني[١٨].

أما نص الرسالة النبوية فهو:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط.

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت، فعليك إثم القبط. ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾.

الله
رسول
محمد

وانتهى الكتاب بعلامة الختم (الله رسول محمد)[١٩].

استقبل (المقوقس) رسول النبي صلى الله عليه وسلم بالبشر والترحاب، وناقشه في مضمونه وسأله عن النبي عليه الصلاة والسلام ودعوته، ثم صرف (حاطباً) بكتاب منه إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وهدية يذكرها الكتاب، وإليك نصه كما يورده **ابن عبد الحكم مؤرخ مصر الإسلامية**:

«لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام، أما بعد، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو إليه. وقد علمت أن نبياً قد بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام»[٢٠].

وبذا أوضح المقوقس أنه ليس من السهل على الأقباط أن يتحولوا عن ديانتهم إلى الإسلام، لكنه توقع أن العرب سيفتحون مصر عما قريب وينشرون الإسلام فيها، بعد أن تصبح ولاية عربية.

وحين عاد الرسول إلى النبي محمد عليه الصلاة والسلام فرح بلقائه، واستمع إلى ما حمله من كلام (المقوقس)، وأثنى على الأقباط، وتقبّل هدية المقوقس، وفيها

السيدة (مارية) القبطية المصرية، فتزوجها صلى الله عليه وسلم حتى يتمكن من نشر الدعوة الإسلامية بين القبط، ويصبحوا له أنصاراً، وأنزلها وأختها في منزل بضواحي المدينة المنورة، وضرب عليها الحجاب أسوة بنسائه، ووهب شقيقتها **(سيرين)** لشاعره المجيد **(حسان بن ثابت)**[٢١].

(٣) إلى كسرى ملك الفرس

وأما الكتب والسفارات النبوية إلى الناحية الشرقية من الجزيرة العربية، فقد لقيت مصائر أخرى. وكانت أهمها سفارة فارس. وكان سفير النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملك الفرس، **(عبد الله بن حذافة السهمي)**، الذي قصد **(المدائن)** ومعه الكتاب النبوي، وتقدم الرواية الإسلامية نص هذا الكتاب فيما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس.

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فإنيّ أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك»[٢٢].

وكان ملك الفرس يومئذ **كسرى الثاني** أو **(كسرى أبرويز)**. فلما قُرئ عليه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، مزقه، وأهان السفير وطرده، وبعث إلى عامله **(باذان)** باليمن، أن يبعث إلى محمد صلى الله عليه وسلم من يتحقق من خبره أو يأتيه به[٢٣]. وقيل إنه قال لعامله باليمن: (ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز، رجلين من عندك جَلدَين فليأتياني به)! فبعث (باذان) برجلين من عنده، وعندما قابلا الرسول عليه الصلاة والسلام أخبرهما نبأ مقتل (كسرى) على يد ابنه **(شيرويه)** فلم يصدق الرجلان الخبر وهددا الرسول، ولما عادا إلى (باذان) علما بالنبأ، فقال (باذان): إن هذا الرجل لرسول، فأسلم، وأسلم من كان معه من الفرس ببلاد اليمن[٢٤].

(٤) إلى النجاشي ملك الحبشة

أما سفارة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة، فهي السفارة الوحيدة التي أرسلت إلى ما وراء البحر. وكان إرسالها في ختام السنة السادسة أو فاتحة السنة السابعة في نفس الوقت الذي أرسلت فيه سفارتا قيصر وكسرى.

وكان بين الحبشة وبين النبي صلى الله عليه وسلم وأنصاره قبل ذلك، علائق وثيقة منظمة، وإلى الحبشة لجأ كثير من أنصار النبي صلى الله عليه وسلم أيام الهجرة فراراً من اضطهاد قريش، وأقاموا بها تحت حماية **(النجاشي)**[٢٥] ورعايته. فلما نظمت السفارات النبوية إلى ملوك العرب والعجم، أرسلت السفارة إلى ملك الحبشة (النجاشي) على يد **عمر بن أمية الضمري**. وقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي كتابين، يدعوه في أولها إلى الإسلام، ويطلب في ثانيها أن يرسل إلى المدينة من عنده من المسلمين اللاجئين، وقد صيغت دعوة النبي إلى النجاشي في أسلوب خاص يخالف في روحه وألفاظه ما تقدم من الدعوات. ذلك أنه فضلاً عن دعوة النجاشي إلى اعتناق الإسلام، يشرح موقف الإسلام من النصرانية، ويوضح نظرية خلق المسيح، ويقرر (أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى». وقد كان (النجاشي) نصرانياً، وكانت النصرانية تسود الحبشة منذ القرن الرابع الميلادي[٢٦].

وإليك نصّ رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله، إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة.

سلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه.

وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طَاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله.

وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً، ونفراً معه من المسلمين. فإذا جاءك فأقرهم، ودع التجبر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله. فقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصحي. والسلام على من اتبع الهدى»[٢٧].

وقد تتابعت الرسائل بين النبي صلى الله عليه وسلم والنجاشي، كما تذكر المصادر... منها هذه الرسالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة.

سلام على من اتبع الهدى. أما بعد:

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده. وإني أدعوك إلى الله وحده، لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فإني رسول الله. وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي. والسلام على من اتبع الهدى»[٢٨].

علامة الختم — الله / رسول / محمد

وكتب النبي عليه الصلاة والسلام إلى النجاشي أيضاً هذا الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا كتاب من محمد النبي إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة.

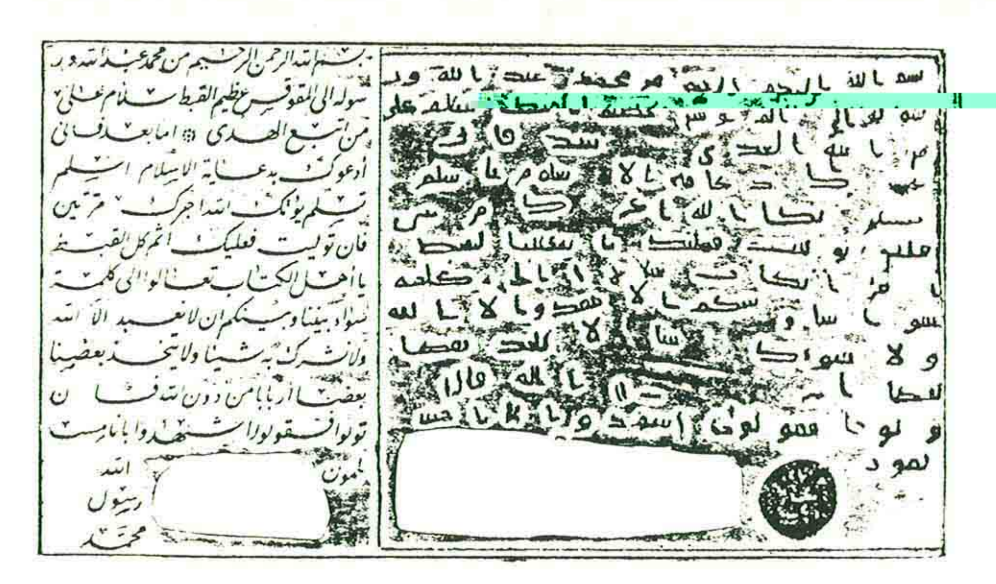
سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله.

وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسوله، فاسلم تسلم ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾. فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك»[٢٩].

وكان جواب النجاشي إلى النبي صلى الله عليه وسلم كالآتي:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر. سلام عليك يا نبيّ الله ورحمة الله وبركاته، من الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام. أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى. فورب السماء والأرض أن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثُفروقاً، إنه كما قلتَ. وقد عرفنا



بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم كل القبط يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون

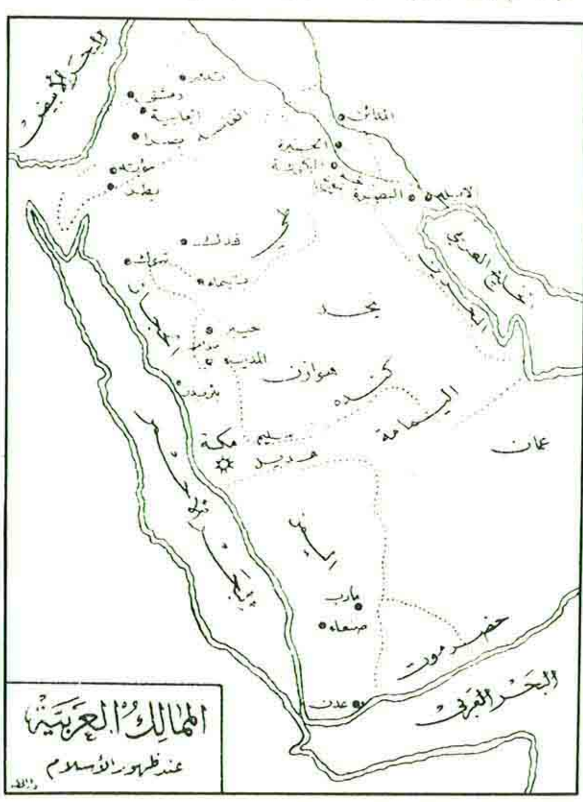
الله
رسول
محمد

★ كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى ★

ما بعثت به إلينا ، وقد قرينا ابن عمك وأصحابه ، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدّقاً ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمّك وأصحابه ، وأسلمتُ على يديه لله رب العالمين .

وقد بعثتُ إليك بابني أرها بن الأصحم بن أبجر ، فإني لا أملك إلا نفسي ، وإن شئت أن آتيك فعلتُ يا رسول الله ، فإني أشهد أن ما تقول حق . والسلام عليك يا رسول الله »(٣٠) .

ويظهر من الرواية الإسلامية ، أن « النجاشي » لبى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعث إليه بكتاب يؤكد فيه إسلامه وأنه حقق رغبته في تزويجه من **أم حبيبة** نيابة عنه ، وبعثها مع من كان عنده من المسلمين في سفينتين كبيرتين(٣١) على رأسها (**جعفر بن أبي طالب**) ، وقد فرح الرسول عليه الصلاة والسلام برجوعهم فرحاً شديداً ، حتى قال إنه لا يدري بأي هو أشد اغتباطاً ، بالنصر على خيبر ، أم بلقيا جعفر(٣٢) ، أما نص الكتاب فهو :



« بسم الله الرحمن الرحيم .

إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) من النجاشي أصحمه . سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . أما بعد : فإني قد زوّجتك امرأة من قومك ، وعلى دينك ، وهي السيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وأهديتُك هدية جامعة ، قميصاً وسراويل وعطافاً وخفّين ساذجين . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته »(٣٣) .

ومن الكتب الأخرى للنجاشي التي تزعم أنه أسلم ، هذا الكتاب الذي يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) من النجاشي أصحمه .

سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته ، لا إله إلا الذي هداني للإسلام . أما بعد : فقد أرسلت إليك يا رسول الله من كان عندي من أصحابك المهاجرين من مكة إلى بلادي . وها أنا أرسلت إليك ابني أريحا في ستين رجلاً من أهل الحبشة ، وإن شئت أن آتيك بنفسي فعلت يا رسول الله ، فإني أشهد أنّ ما تقوله حق . والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته »(٣٤) .

بَيْدَ أنه يلوح لنا ، أن القول بإسلام (النجاشي) مبالغة لا يمكن أن تحمل على ما أبداه النجاشي من أدب ومجاملة في استقبال السفارة النبوية . ولو أسلم النجاشي يومئذ لكان الإسلام قد غمر الحبشة كلها ، ولكانت النصرانية قد غاضت منها . بيد أن الإسلام لم ينتشر في الحبشة إلا بعد ذلك بعصر ، وكان انتشاره في الجهات الشرقية والجنوبية فقط(٣٥) .

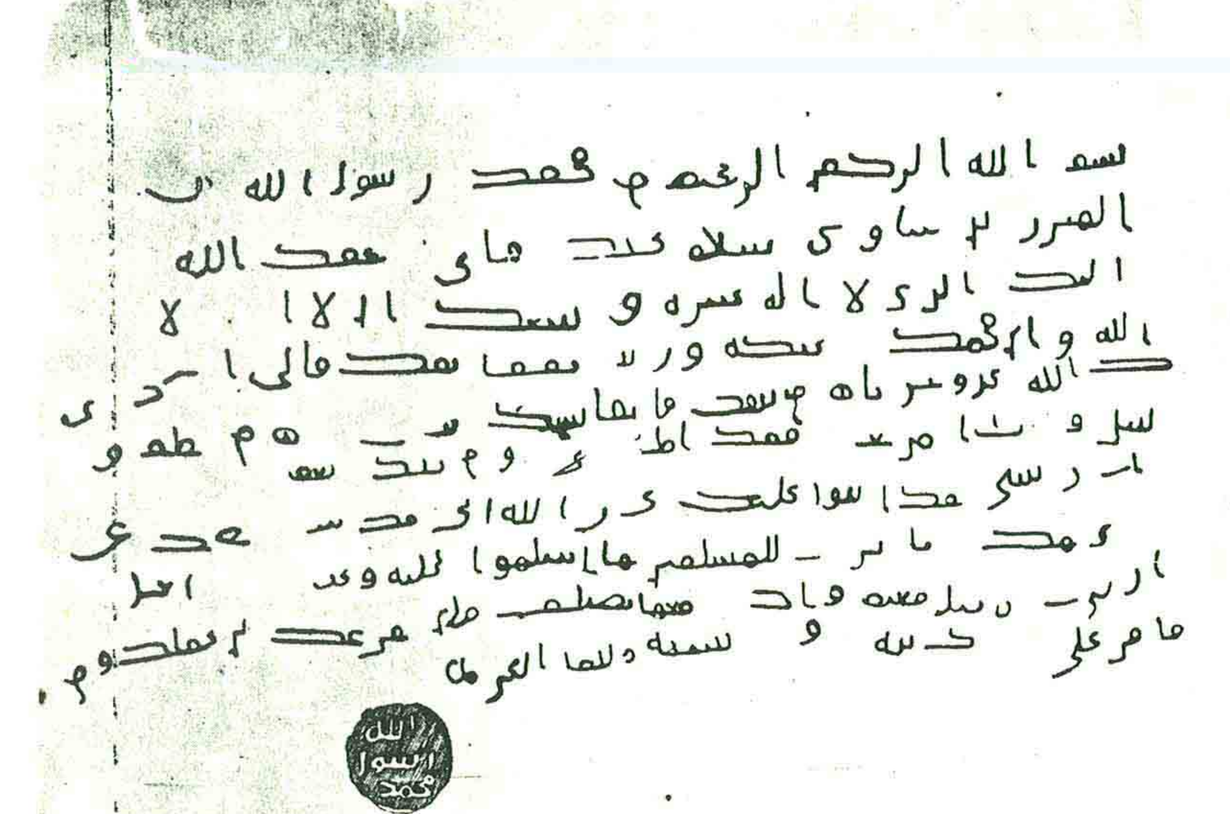
(٥) إلى المنذر بن ساوى أمير البحرين

وفي السنة الثامنة من الهجرة (٦٣٠ م) قصد إلى البحرين سفير آخر هو (**العلاء الحضرمي**) ، ومعه كتاب إلى أميرها (**المنذر بن ساوى**)(٣٦) ، وكانت البحرين في أيام ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم ، إمارة عربية تحت الاحتلال الفارسي . وكان (المنذر بن ساوى) عامل (كسرى) عليها ، ومن أهل الشرك . وقد كتب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المنذر يدعوه إلى الإسلام . أما نص الكتاب فهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى .

سلام على من اتبع الهدى ، فأسلم تسلم يجعل الله لك ما تحت



★ صورة من أصل الرسالة الموجهة إلى المقوقس وجدت في كنيسة قرب أخميم في صعيد مصر. توجد في تاريخ جرجي زيدان ومجلة الهلال ١٩٠٤م، ومجموعة الوثائق السياسية ★

يديك . واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر »[٣٧] .

الله

علامة الختم رسول

محمد

وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى كتاباً آخر هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى .

سلام عليك . فإني أحمد الله إليك الذي لا إله غيره ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد : فإني أذكـّرك الله عز وجل ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه ، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ، ومن نصح لهم فقد نصح لي ، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً ، وإني قد شفعتك في قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه . وعفوت عن أهل الذنوب ، فاقبل منهم ، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك . ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية »[٣٨] .

الله

علامة الختم رسول

محمد

وكان جواب (المنذر بن ساوى) على كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام كالآتي :

« أما بعد يا رسول الله : فإني قرأت كتابك على أهل البحرين ، فمنهم من أحبّ الإسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه . وبأرضي مجوس ويهود . فأحدث في ذلك أمرك »[٣٩] .

وكان رد النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى بما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى .

سلام الله عليك ، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد : فإن كتابك جاءني وسمعت ما فيه ، فمن صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم الذي له ما لنا ، وعليه ما علينا . ومن لم يفعل ، فعليه دينار من قيمة المعافري . والسلام ورحمة الله ، يغفر الله لك »[٤٠] .

ويقال إن المنذر بن ساوى ، أسلم واستمر عمله كأمير على البحرين ، ومات قبل ردة أهل البحرين . وهو المنذر بن ساوى بن خنس العبدي من عبد القيس أو من بني عبد الله بن دارم بن تميم[٤١] .

(٦) إلى هوذة بن علي الحنفي أمير اليمامة

كان (**هوذة بن علي الحنفي**) على دين النصرانية، وأميراً على (اليمامة)[٤٢]، وقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم (**سليط بن عمرو**) أو (**سليط بن قيس بن عمرو الأنصاري**) على بعض الروايات، يدعوه إلى الإسلام[٤٣]، وهذا نص كتاب النبي صلى الله عليه وسلم:

«بسم الله الرحمن الرحيم.
من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي:
سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فاسلم تسلم، واجعل لك ما تحت يديك»[٤٤].

علامة الختم: الله / رسول / محمد

فأرسل (هوذة) وفداً إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ليقول له: إن جعل الأمر له من بعده أسلم، وسار إليه ونصره، وإلا قصد حربه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا، ولا كرامة اللهم اكفنيه، فمات بعد قليل[٤٥]، وقيل إن (هوذة) كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

«ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر اتبعك»[٤٦].

فهو شاعر قومه وخطيبهم، وله مكانة في العرب، وهو يرى أن يُميّز عن غيره بمميزات تمنح له، وكان الشعراء يمتون على قومهم[٤٧].

ويذكر أن (هوذة) مات يوم الفتح ولم يسلم.

(٧) إلى جيفر وعبد ابني الجلندي (شيخي عمان)

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم (**عمرو بن العاص**) إلى (**عمان**) ومعه كتاب إلى أميريها (**جيفر**) و(**عباد**) أو (**عبد**) **زعيمي بني الأزد**، وفي الكتابين يطلب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هؤلاء الأمراء اعتناق الإسلام أو أداء الجزية، وهو خيار لم يرد في الكتب السابقة[٤٨]، وهذا نص الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم.
من محمد رسول الله، إلى جيفر وعبد ابني الجلندي:
السلام على من اتبع الهدى، أما بعد:
فإني أدعوكما بدعاية الإسلام. أسلما تسلما. فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام، فإن ملككما زائل، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما»[٤٩].

علامة الختم: الله / رسول / محمد

وقد أسلم ابني الجلندي على يد عمر بن العاص رضي الله عنه[٥٠]، وتختلف الروايات في تحديد زمن المراسلة بين النبي عليه الصلاة والسلام وابني الجلندي، فيذكر **ابن إسحاق** أنها كانت سنة ٦ هـ، أي بعد (**الحديبية**) ويذكر **الواقدي** أنها كانت في ذي الحجة سنة ٨ هـ، أي بعد فتح مكة. أما **المسعودي** فيذكر أنها كانت سنة ١١ هـ، ومنهم من يقول إن المراسلة كانت بعد منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع[٥١].

ويبدو أن إسلام ابني الجلندي يدل على أنهما استفادا من الانضمام إلى الإسلام بتوسيع سلطانهما في عُمان وتقوية مركزهما فيها[٥٢].

كتّاب الرسول صلى الله عليه وسلم

كان النبي صلى الله عليه وسلم يختار أجود الكتّاب خطاً لكتابة رسائله التي يرسلها إلى ملوك الأرض للدخول تحت راية الإسلام[٥٣] منهم الخلفاء الأربعة وزيد ابن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان، وكانا ملازمين للكتابة بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم في الوحي وغيره، إلا أن (زيد بن ثابت) لكثرة كتابته الوحي، أطلق عليه كاتب النبي عليه الصلاة والسلام. وقد ذكر البخاري في صحيحه باباً بهذا الإطلاق[٥٤].

وقد بلغ عدد كتّاب الرسول صلى الله عليه وسلم اثنان وأربعون كاتباً، منهم:

١ ـ **أبي بن كعب**: وكان يكتب الوحي، وهو أول من كتب (صلعم) من الأنصار بالمدينة، وهو الذي كان يكتب رسائل الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة بعد هجرته. وكان أول من كتب في آخر الكتاب: (وكتب فلان). وكان أبيّ إذا لم يحضر دعا رسول الله زيد بن ثابت فيكتب، فهذان كانا يكتبان الوحي بين يديه، ويكتبان كتبه إلى الناس.

٢ ـ **عبد الله بن الأرقم**: كان يكتب إلى الملوك، وفي أسد الغابة: لما استكتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن إليه ووثق به، فكان إذا كتب إلى بعض الملوك يأمره أن يختمه ولا يقرئه لأمانته عنده.

٣ ـ **عبد الله بن سعد بن أبي سرح**: وهو أول من كتب الوحي من قريش بمكة المكرمة، لكنه ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح كما ذكره القسطلاني.

٤ ـ **زيد بن ثابت**: وكان من ألزم الناس بين يدي الرسول عليه الصلاة والسلام.

٥ ـ **كتّاب آخرون**: وهناك كتّاب آخرون منهم:

علاء بن عقبة، الزبير بن العوام، جهم بن الصلت، حذيفة بن اليمان، معيقيب بن أبي فاطم، خالد بن سعيد، حنظلة بن ربيع، عامر بن فهيرة، ثابت بن قيس بن شماس، معاوية بن أبي سفيان، المغيرة بن شعبة، خالد بن الوليد، العلاء بن الحضرمي، عمرو بن العاص، عبد الله بن رواحة، محمد بن مسلمة، شرحبيل بن حسنة، معاذ بن جبل، عبد الله بن أبي سلول وأبان بن سعيد[٥٥].

خاتم الرسول

جعل النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبناء على نصيحة من صحابته لاسمه خاتماً نحاسياً يوقع به الرسائل، لأن الملوك الأجانب لا تقبل الرسالة دون ختمها. وكان الخاتم يحمل عبارة: (محمد رسول الله) وقد رصفت الكلمات فوق بعضها البعض كالتالي: (الله، رسول، محمد) وتقرأ من الأسفل للأعلى، حيث يكون في الأعلى لفظ الجلالة ثم في الوسط ـ رسول ـ وفي الأسفل كلمة ـ محمد ـ. وقيل إن الذي صنع الخاتم وكتبه يعلي بن أمية رضي الله عنه.

وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم قد اختص بأصحابه هؤلاء الذين كانوا يحسنون الكتابة ، وذلك لقلة من يعرفها من المسلمين في المدينة ، إذ كانت الكتابة محصورة في قريش قبل الإسلام بدافع حاجتها إليها من جراء اشتغالها بالتجارة. غير أن الراجح أن الكتابة كانت منتشرة في المدينة كانتشارها في مكة ، وذلك لاشتغال أهلها ــ وهم من المشركين واليهود ــ بالتجارة فليس من المعقول أن الكتابة كانت غير منتشرة بينهم [٥٦] .

تاريخ الكتب

اختلف المؤرخون اختلافاً شديداً في أن الرسل ، هل سافروا في سنة ست من الهجرة ، أو في سنة سبع منها ، أو كان ذلك بين صلح الحديبية ، وبين وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام .

فـفي **الكامل لابن الأثير** ، وفي **تاريخ الطبري** ، أنه كان وقت إرسالها في السنة السادسة . أما المسعودي في (التنبيه والإشراف) **وابن سعد** في الطبقات **وأبو الفداء** ، فيرون أنه كان وقت إرسالها في السنة السابعة .

ونقل الطبري عن ابن إسحاق ، أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فرّق رجالا من أصحابه فيما بين الحديبية ووفاته للدعوة إلى الإسلام .

وقال **ابن هشام** في السيرة : أنه كان وقت إرسال الرسائل بعد صلح الحديبية ولم يعيّن سنيّه . وقال **ابن حجر** في الإصابة : في ترجمة (دحية بن خليفة) : أنه كان وقت إرسالها في آخر السنة السادسة أو في أول السابعة .

ويظهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كتب الرسائل بعد صلح الحديبية ، إلى الملوك والقبائل والأساقفة ، وغيرهم ، إلى أن توفاه الله عز وجل ، وكان بدء كتابته منذ رجع من الحديبية ، في آخر السنة السادسة ، أو في أول السنة السابعة ، فاشتبه الأمر لقرب الزمان [٥٧] .

الشك في صحة الوثائق

ثار خلاف بين العلماء وخاصة المستشرقين ، حول صحة هذه الرسائل « الوثائقية » التي وصلت إلينا ــ هذه الأيام ــ والمحفوظة في الخزائن الخاصة أو المتاحف [٥٨] .

وسائل الكتابة

كان العرب المسلمون يكتبون رسائلهم على مواد تخرجها الجزيرة العربية نفسها كالعظام وأغصان النخيل والجلود ، وأكثرها شيوعاً جلود الغزلان والإبل ، التي كانت تصنع بشكل رقيق جداً ، وتسمى « الرَّق » ــ بفتح الراء ــ وهي أجود الأنواع للكتابة عليها حيث تكتب بها الأمور الهامة والخاصة بالعظماء .

أما الحبر ، فكان يصنع من بعض الحشائش والأعشاب الموجودة في الجزيرة العربية . ومعرفة عمر الرق تكون من خلال تناقص طبقة الجلد على مر العصور .

وتجدر الإشارة ، أن الرسائل النبوية كتبت في المدينة المنورة بالخط المدني إذ كان قبله الخط المكي ، ثم جاء الخط الكوفي .

ومع أن بعض المختصين يشكون في وجود آثار مكتوبة أصلاً ترجع إلى عصر النبي الكريم ، فقد نسبت وثائق مدوّنة إلى تلك الحقبة الزمنية منها خمس رسائل ، قيل إنها رسائل أصلية للنبي الكريم ، وهي كتابه إلى المنذر بن ساوى ، وكتابه إلى النجاشي ، ثم كتابه إلى كسرى ، وأخيراً كتابه إلى المقوقس [٥٩] ، وكتابه إلى هرقل عظيم الروم .

لقد أثارت هذه الوثائق الخمس ضجة . . . نظراً لمكانتها الدينية المقدسة . . . وقد رأى البعض من العلماء ، أمثال (**بيكر**) و (**املنيو**) و (**كرابجك**) و (**كيتاني**) و (**فيت**) و (**شفالي**) أن هذه الوثائق مزيفة [٦٠] لأسباب مختلفة ، منها عدم وجود اسم كاتب الرسالة ، إضافة إلى خلوها من اسم حاملها .

ويميل بعض الباحثين إلى أن بعض تلك الرسائل أوراق منزوعة من مخطوطات في السيرة الكريمة .

والحق أن دراسة هذه الوثائق والبت فيما إذا كانت صحيحة أو مزيفة يتطلب دراسة دقيقة من كل الجوانب بما فيها الدراسات المختبرية للرق [٦١] ونوع الحبر ، وغير ذلك ، قبل الجزم بأمرها .

والواقع ، أن تزييف مثل تلك الرسائل المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يكن أمراً مستحدثاً ، فقد روى (**ياقوت الحموي**) أن اليهود أظهروا كتاباً ادعوا أنه من النبي إليهم يسقط فيه الجزية عنهم ، ثبت أنه مزيف [٦٢] . راجع الوثيقة المزيفة مع هذا البحث .

وقد درست السيدة (سهيلة ياسين الجبوري) هذا الموضوع دراسة جيدة وتوصلت إلى النتائج الآتية :

١ ــ وثيقة الكتاب المرسل إلى المنذر بن ساوى :

في هذه الوثيقة جملة ملاحظات تثبت زيفها وهي :

أ ــ الأخطاء الإملائية والنحوية : لمن الصعوبة بمكان أن تكون مثل هذه الرسالة المملوءة بالأخطاء الإملائية والحروف الشاذة الغريبة والناقصة والمتطورة قد دونت على أيدي كتبة اختص بهم النبي الكريم ، خاصة وأن المدونات التاريخية تذكر أن غالبية كتبة النبي كانوا يحسنون الكتابة منذ الجاهلية .

ولا ندري كيف كان بالإمكان قراءة هذه الرسالة لولا مقارنتها بما ورد في السيرة الحلبية ، وذلك لكثرة أخطائها وعدم التمكن من قراءتها . كما أنه كيف يمكن للنبي الكريم ، أن يبعث بمثل هذه الرسالة التي لا يمكن قراءة الكثير من كلماتها إلى أمير من أمراء الدول المجاورة يدعوه فيها إلى الإسلام أو الجزية ؟

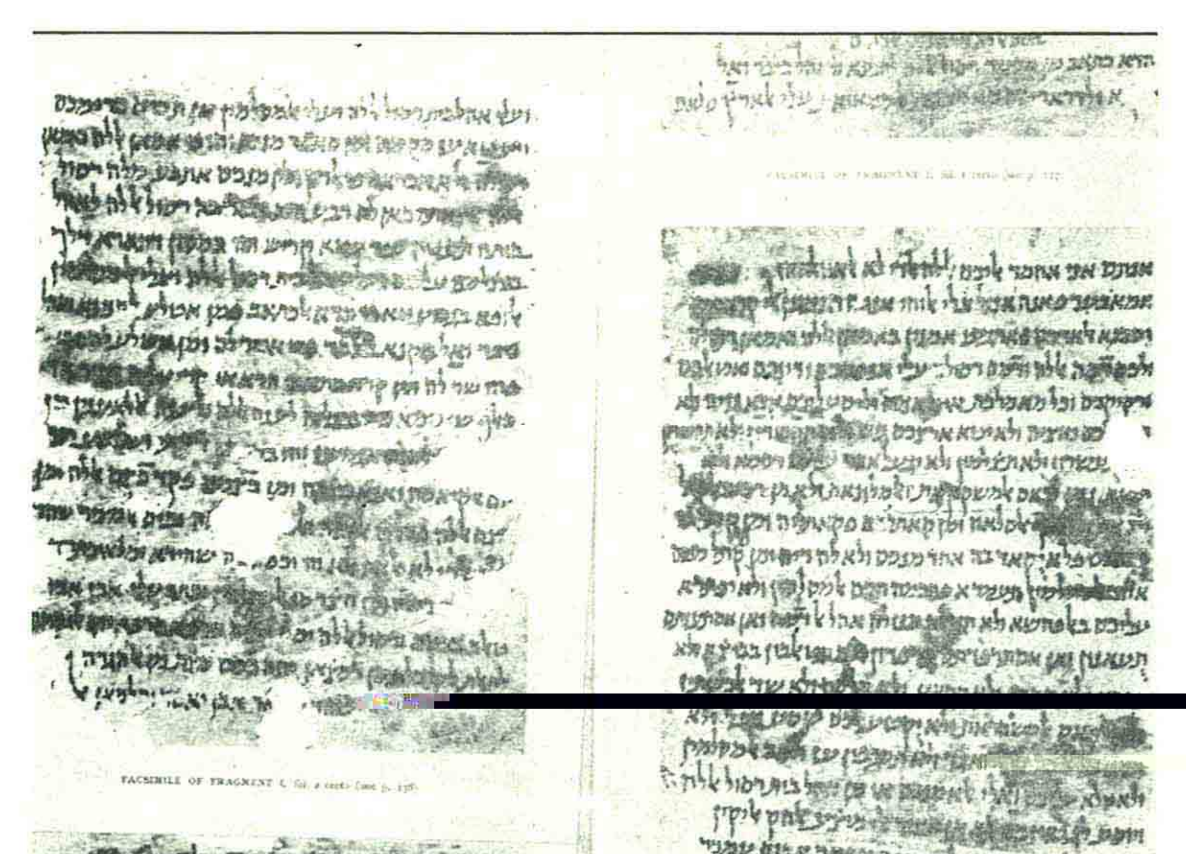
ب ــ الحروف المتطورة : إن وجود حروف لم تكن قد بلغت هذه الدرجة من التطور إبان تلك الحقبة الزمنية ، إضافة إلى غرابة أشكال بعضها ، وبعدها عما يقابلها في الكتابات للفترتين قبل وبعد عصر الرسالة المحمدية ، الجاهلية والراشدية ، ووجود حروف بعيدة كل البعد في فترتها الزمنية عن الحروف المتداولة إبان تلك الحقبة ، يضعف كثيراً من رأي القائلين بصحة الرسالة .

جـ ــ التحبير : إن الرق الذي دُونت عليه الرسالة قد تعرض للتلف والتمزق وربما تلفت الكثير من الكلمات نفسها ، مما حمل البعض على إعادة تحبير كلماتها ، بدليل أن الشقوق الواقعة بين الكثير من الكلمات فيها ، قد حبرت بشكل لا يتناسب مطلقاً مع التمزق الحاصل فيها . وهو أمر واضح حتى على الختم نفسه [٦٣] .

وكان أصل هذه الوثيقة قد اكتشف في دمشق . وكتب عن وجودها (**الدكتور بوش**) في مجلة المستشرقين الألمان سنة ١٨٦٣ م . وتوجد هذه الصورة في المتحف العراقي برقم ٨ / ١٠٠ [٦٤] .

٢ ــ وثيقة الكتاب المرسل إلى النجاشي :

عثر عليها **السيد د . م دنلوب** ونشرت في حولية الجمعية الملكية الآسيوية ، سنة ١٩٤٠ م ، وهي محفوظة اليوم في الجمعية الجغرافية البريطانية ، ويلاحظ على



★ كتاب نسب إليه صلى الله عليه وسلم لحنينا ولأهل خيبر ومقنا باللغة العربية ولكن بالخط العبراني. (مأخوذ من مجلة جويش كوارترلي رفيو) ★

هذه الوثيقة :

أ ــ خلو الوثيقة من البسملة .

ب ــ لا تنتهي بختم النبي الكريم .

جـ ــ مليئة بالأخطاء الإملائية والنحوية .

د ــ تضم العديد من الكلمات الناقصة الحروف .

أما ما يتعلق بدراسة حروف هذه الوثيقة ، بمقارنتها بالنقوش العربية الجاهلية والراشدية ثم الأموية ، فنجد أن هناك الكثير من حروف فيها لا ترجع إلى الفترتين الجاهلية والراشدية ، بل غالباً ما ترجع إلى الفترة الأموية وحتى العباسية .

وعلى ذلك يمكن اعتبار هذه الوثيقة مزيفة أو أنها منزوعة من مخطوط قديم ربما استنسخ في العصر العباسي لخلوها من البسملة والختم[٦٥] .

٣ ــ وثيقة الكتاب المرسل إلى كسرى :

عثر على هذه الرسالة سنة ١٩٦٣ م ، وكان قد كشف عنها ونشرها **الدكتور صلاح الدين المنجد** ، وهي محفوظة اليوم في خزانة **(هنري فرعون)** ببيروت[٦٦] .

ويلاحظ في هذه الرسالة كسابقاتها :

أ ــ كثرة الأخطاء الإملائية .

ب ــ استخدام بعض الحروف فيها بطريقة غير مألوفة .

جـ ــ أن بعض الحروف فيها تتشابه مع ما يقابلها في الكتابات الأموية .

د ــ وجود عدد لا يستهان به من الكلمات التي لا يمكن فهمها .

هـ ــ خلوها من ختم النبي الكريم المألوف أو المتوقع على مثل تلك الرسائل .

فالوثيقة إذن ، بعيدة من أن تصلح كرسالة من نبي عظيم إلى ملك ، لنفس الأسباب التي مر ذكرها بالنسبة للوثيقة الأولى .

ومما يزيد في الاعتقاد بزيف هذه الرسالة ، هو شكل الصحيفة العام التي كتبت به والمتميز بمقاساتها غير المنتظمة والممزقة الحواشي على الرغم من كونها كاملة تقريباً في النص ، مما يدل على أن التمزيق الحاصل على الصحيفة كان أصلياً ، أي من الوقت الذي كتبت به ، وهذا بعيد عن المعقول .

كما ينبغي أن لا ننسى ، أن عدداً من الحروف فيها ، لم يظهر ما يقابلها إلا في العصر الأموي .

هذا بالإضافة إلى ما أورده الإخباريون من أن كسرى أبرويز حينما قرئت رسالة النبي الكريم أمامه غضب فمزقها[٦٧] .

٤ ــ وثيقة الكتاب المرسل إلى المقوقس :

عثر عليها **المستشرق الفرنسي (بارثليمي) في دير باخميم** بصعيد مصر سنة ١٨٥٠ م ، وهو الآن بمتحف **طوب كابي سراي باستنبول** ، ملصوق على غلاف إنجيل قبطي قديم[٦٨] ، مقاسها ٢٤,٥ × ٣٠ سم ، وبعض الأجزاء الوسطى منها قد أصابها التلف ، وهي مزيّفة للأسباب الآتية :

أ ــ فيها كثير من الأخطاء الإملائية والكلمات التي لا يمكن قراءتها ، ولولا أن نصها قد ورد كثيراً في المصادر التاريخية ، لما استطاع أحد أن يقرأ إلا جزءاً يسيراً منها .

ب ــ لا نجد في الواضح من حروفها اختلافاً بيّناً لما كان مألوفاً حول تلك الفترة الزمنية .

بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم
سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني ادعوك
بدعاية الاسلام .. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك
مرتين فإن توليت فعليك إثم الاريسين
ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك
به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا
من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
الله رسول محمد

★ نص خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم، هو الآن في حيازة أميرة عربية في لندن. كشف عنه الدكتور عز الدين إبراهيم مستشار سمو رئيس دولة الإمارات العربية في مايو (أيار) سنة ١٩٧٤م، بأبي ظبي ★

جـ ـ عدم تناسب المسافات بين حروف بعض الكلمات وبين المسافات الممزقة التي تتخلل الوثيقة.

ومع ذلك، فإن الوثيقة تحتاج إلى دراسة مستفيضة بما فيها التحليل الكيميائي للرق والحبر وما شابه، قبل البت بشكل قاطع في قبولها أو رفضها أو وضعها في الفترة الزمنية المناسبة، وإن كان قد جاء في (السيرة الحلبية): «أن المقوقس جعله في حُق عاج، وختم عليه ودفعه إلى جارية»[٦٩].

٥ ـ وثيقة الكتاب المرسل إلى هرقل:

يذكر أن هذه الرسالة ضاعت أنباؤها منذ كانت في حوزة **الملك (أدفوني الأول)** الذي ولي أمر **الأندلس** بعد انهيار دولة الإسلام هناك، وقد وصلت إليه هذه الرسالة عن طريق الميراث، لأنه سليل (هرقل) الكبير عظيم الروم.

وتوجد الآن نسخة من هذه الوثيقة لدى أميرة عربية بلندن، وقد نبّه **الدكتور عز الدين إبراهيم** المستشار الثقافي لسمو رئيس دولة الإمارات العربية إليها في أيار (مايو) سنة ١٩٧٤م، في (أبو ظبي).

وقد أوفد الدكتور إبراهيم إلى لندن ليقوم بتحقيق علمي وافر عن صحة هذه الوثيقة، نظراً لما يحدث عادة من تزوير في التحف والآثار القديمة من هذا النوع.

وقد استغرقت عملية التحقيق عاماً كاملاً، واشتملت على إجراءات مختبرية وكيميائية، واستخدمت أشعة الفلورسنت، مما لم يسبق استخدامه من قبل في تحقيق أي من الرسائل الأخرى التي سبق اكتشافها[٧٠] مستعيناً بأشهر الخبراء والمتخصصين.

وطبيعي، أن الجزم بصحتها لم يُبت به بعد. ولا علم لنا إن كان الدكتور عز الدين إبراهيم قد توصل إلى نتيجة تثبت صحة هذه الوثيقة من عدمها.

ونتيجة لما تقدم، فإننا نميل إلى أن الوثائق موضوعة البحث، بعيدة عن أن تكون الرسائل الأصلية التي أرسلها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة للأسباب التي أوضحناها، وأنّى للمصادفات العجيبة أن تحفظ لنا هذه الرسائل على الرغم من بعد المسافات واختلاف البيئات، وعلى الرغم من أنها كانت موجهة إلى جماعات معروفة بعدائها للنبي الكريم، وللدعوة الإسلامية التي بشّر بها[٧١].

الخاتمة

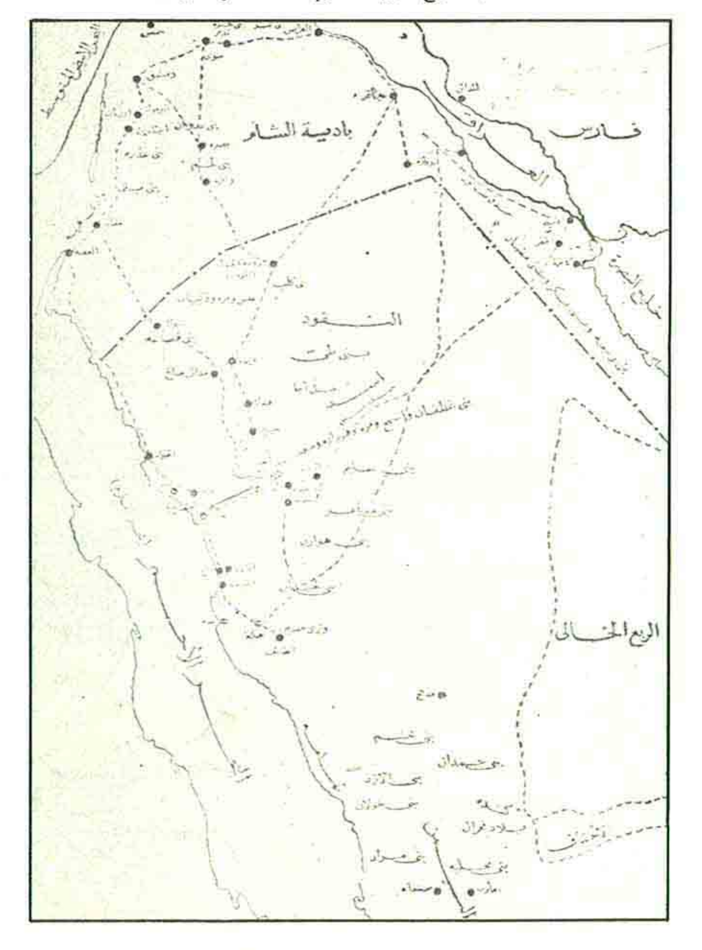
يعتبر إرسال الكتب والبعوث الدبلوماسية إلى ملوك الدول المجاورة وأمرائها نوعاً من أعمال الاستراتيجية العليا، وعملاً من أعمال الدبلوماسية الرفيعة التي تنتهجها الدولة[٧٢].

وقد اعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته السمحة وتعاليمه التي تنافي السطوة والاستبداد والعنف، فجاءهم بالحكمة والموعظة الحسنة التي حببها **القرآن الكريم**، وابتعد عن الإثم والعدوان، وخالق الناس بخلقه القويم[٧٣].

وسواء أكانت النتائج التي أسفرت عنها هذه الكتب والبعوث سلبية أو إيجابية، فهي تعد عملاً دبلوماسياً عظيماً، ومبادرة سياسية حكيمة، قام بها النبي الكريم حين لم يكن للدبلوماسية من الشأن ما نعرفه الآن[٧٤].

وقد تحقق للإسلام ـ بفضل دبلوماسية الرسول صلى الله عليه وسلم ـ القاعدة الصلبة والمهيأة بنفسيتها لحمل الدعوة إلى العالم الخارجي، بعد أن شعروا باشتداد ساعدهم، وعدالة دعوتهم، كما كشفت دعوة الإسلام عن قوة جديدة في

★ حدود الدولة العربية الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.. عن كتاب: تاريخ العرب العسكري للأستاذ محمود الدرة ★



الجزيرة العربية ، ليس للمشركين غير الانصياع لها والدخول بها ، وقد دخل الناس دين الله أفواجاً من العرب وغيرهم[٧٥] .

لقد كانت سفارات النبي صلى الله عليه وسلم وكتبه النبوية عملاً بديعاً من أعمال الدبلوماسية ، بل كانت أول عمل قام به الإسلام في هذا الميدان . وليس أسطع من هذه السفارات دليلاً على ما كانت تجيش به نفس النبي العربي الكريم من فيض في الإيمان والشجاعة ، ذلك النبي الذي لم يكن قد نجا بعد من اضطهاد قومه ، ولم يكن له قوى يُخشى بأسها ، يقدم في ثقة وشجاعة على دعوة قيصر الدولة الرومانية ، وعاهل الدولة الفارسية ، وباقي الملوك والأمراء المعاصرين ، إلى اعتناق دعوة لم تكتمل بعد في مهدها .

على أن هذه الدبلوماسية الفطنة التي لجأ إليها النبي صلى الله عليه وسلم في مخاطبة ملوك عصره لم تذهب كلها عبثاً . ولا ريب أنه لم يكن يتوقع أن يلبي أولئك الملوك الأقوياء دعوته ، وهو ما يزال يكافح في بثها بين قومه وعشيرته .

بيد أن إيفاد هذه البعوث كان عملاً متمماً للرسالة النبوية ، وكان العالم القديم الذي يتجه إليه النبي العربي عليه الصلاة والسلام بدعوته يقوم على أسس واهية تنذر بالانهيار من وقت إلى آخر . وكانت الأديان القديمة قد أدركها الانحلال والوهن ، فكانت الدعوة الإسلامية تبدو في جدتها وبساطتها وقوتها ، ظاهرة تستحق البحث والدرس . ولم يكن عسيراً أن يستشف أولو النظر البعيد ما وراء هذه الدعوة الجديدة من قوى تنذر بالانفجار ، وقد كان الانفجار في الواقع سريعاً جداً ، فلم تمض أعوام قلائل على إيفاد هذه البعوث حتى كان الإسلام قد غمر قلب الجزيرة العربية ، وانساب تيار الفتح الإسلامي إلى قلب الدولتين الرومانية والفارسية ، وأخذ العرب أبناء الدين الجديد وحملة الرسالة المحمدية ، يعملون بسرعة خارقة في إنشاء الدولة الإسلامية الكبرى[٧٦] .

التنقيط في الخط العربي

كان الخط العربي قبل الإسلام خالياً من الحركات والأعجام (والأعجام تعني النقاط) لعدم احتياجهم إليه ، ولأنهم فصحاء انطبعوا على ملكة الإعراب بالسليقة . ومن المعتقد أن نقط الحروف العربية لم يحدث إلا عند وقوع العرب في التصحيف .

وهناك رأي يقول : إن النقط في الحروف العربية كان قديماً ، أي منذ اختراع الكتابة ، وهي أن واحداً من طي يدعى (عامر بن جدرة) كان قد وضع الأعجام (النقط) .

ونحن لا نعلم متى دخل التنقيط إلى القلم العربي الشمالي ــ قبل الإسلام ــ فليس لدينا دلائل مادية تشير إلى وجود الحروف العربية المنقطة في تلك الفترة ، كنقش (أم الجمال الثاني) و (زبد) و (أسيس حران) ، لأنها خالية تماماً من الأعجام .

ومع ذلك ، فربما رجع خلوها من الأعجام (النقط) إلى اطمئنان الكاتب إلى عدم التصحيف والخلط عند القراءة .

وروى ابن الأثير أن التنقيط عرف منذ عصر الرسالة المحمدية ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : «إذا اختلفتم في الياء والتاء فاكتبوها بالياء» .

ويقول جورجي زيدان : إن الأعجام حادث في العربية وهو قديم فيها ، وكان العرب يفضلون ترك النقط ، لا سيما إذا كان المكتوب إليه عالماً . ويقال : «كثرة النقط في الكتاب سوء الظن في المكتوب إليه» .

هوامش البحث

١ ــ مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ص ٢٠٢ .

٢ ــ نفس المصدر .

٣ ــ مجلة (الأقصى) العدد ٣٧٥/١٩٧٧م ، ص ١١ ــ ١٢ .

٤ ــ (هذه رواية ابن إسحاق أقدم رواة السيرة ، وكذا ابن عبد الحكم والطبري ، وهي أوثق رواية ، وخصوصاً لاتفاقها مع ترتيب الحوادث والتواريخ التي تقدمها الرواية البيزنطية . . . ويقول الواقدي : إنها كانت في المحرم سنة سبع (مايو ــ يونيو (أيار ــ حزيران) سنة ٦٢٨ م) . ويأخذ المستشرق الألماني (شبرنجر) بهذه الرواية) على ما يذكر صاحب كتاب : مواقف حاسمة ، ص ٢٠٣ .

٥ ــ مواقف حاسمة ، ص ٢٠٣ .

٦ ــ نفس المصدر .

٧ ــ نفس المصدر .

٨ ــ مجلة (الأقصى) العدد المشار إليه أعلاه ، نقلاً عن الأستاذ محمود العابدي ، في حديث له مع جريدة (الرأي) الأردنية ، العدد ٢٠٤٠ .

٩ ــ مجموعة الوثائق السياسية ، ص ٨١ . (وكلمة الأريسيّين ــ وفي بعض النصوص الأكاريين ــ ليست عربية ، ومعناها فيما يبدو الرعايا العاديين) . وهذا ما فسره الأستاذ محمود عنان في كتابه : مواقف حاسمة ، ص ٢٠٤ ــ الهامش .

١٠ ــ مواقف حاسمة ، ص ٢٠٤ .

١١ ــ مجموعة الوثائق السياسية ، ص ٨٢ .

١٢ ــ مواقف حاسمة ، ص ٢٠٤ .

١٣ ــ مجموعة الوثائق السياسية ، ص ٨٢ .

١٤ ــ أسد رستم : الروم ، ط ١ ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

١٥ ــ المقوقس هو (قيرس) أو (كيروس) لقب بمعنى الطول للبناء ، واسمه جريج بن مينا ، على ما يذكر الحلبي في السيرة الحلبية ، ج ٣ ، ص ٢٨٠ ، وحاكماً على الإسكندرية وأسقفاً لها .

ويلاحظ «قابل» أنه ورد في بعض الكتب النبوية ــ كتاب النبي الكريم إلى كيروس ــ آيات قرآنية لم تكن قد نزلت وقت إرسالها ، مما يدل على أنها قد وضعت فيما بعد .

ويرتاب «ميلـلر» في أن رسالة قد وجهت من النبي عليه الصلاة والسلام إلى هرقل ، ولكنه مع ذلك يقدم ملخصاً لحوادث السفارات النبوية كما وردت في السيرة) مواقف حاسمة ، ص ٢٠٨ ــ ٢٠٩ .

١٦ ــ مكاتيب الرسول لعلي الأحمدي .

١٧ ــ فتح العرب لمصر ، ص ١٠٥ .

١٨ ــ مواقف حاسمة ، ص ٢٠٤ ــ ٢٠٥ .

١٩ ــ مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٠٦ .

٢٠ ــ مواقف حاسمة ، ص ٢٠٥ .

٢١ ــ نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب ، ص ٢٩ ــ ٣٠ ، والحقيقة أن (الروايات تختلف في هدايا المقوقس ، فتضيف الجواهر الكريمة والحرير المصري والعسل والزبد وبغلة شهباء تسمى دلدل ، وبغل أشهب يسمى يعفور ، وزوج من الخيل ، ولكن أهم هذه الهدايا جاريتين

شقيقتين هما مارية وسيرين .

وهناك روايات تضيف عشرين ثوباً مصرياً ، وجاريتين أخريين إحداهما بيضاء تسمى قيسر ، والأخرى سوداء تسمى بريرة ، وغلاماً أسود يسمى هابو ، وألف مثقال من الذهب ، وبعض العود والمسك ، والقوارير ، وتضيف رواية ، طبيباً رده الرسول الكريم ، وقال « ارجع إلى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » ...) .

انظر : حياة محمد : لواشنجتون ارفنج ، ص٢٠٨ ، دار المعارف بمصر .

٢٢ ـ يورد الطبري صورة أخرى لهذا الكتاب في تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ، ص ٩٠ .

٢٣ ـ مواقف حاسمة ، ص ٢٠٦ .

٢٤ ـ تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ٩٠ ، مطبعة بريل ، ليدن .

٢٥ ـ النجاشي : هو أصحمة أو أصمحة أو صحمه (صخمه) الملك الحبشي المعاصر للنبي الكريم ، ملك بعد عمه ، توفي في السنة التاسعة من الهجرة النبوية ، أما الباحثون المحدثون فيرون أن الملك الحبشي المعاصر للنبي صلى الله عليه وسلم هو (أرماح الثاني) أو (أرمحه) ـ راجع : بين الحبشة والعرب ـ لعبد المجيد عابدين ، ص ٧١ ، مطبعة السعادة ، مصر .

٢٦ ـ مواقف حاسمة ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

٢٧ ـ مجموعة الوثائق السياسية ، ص ٧٥ .

٢٨ ـ نفس المصدر ، ص ٧٦ .

٢٩ ـ نفس المصدر ، ص ٧٧ .

٣٠ ـ نفس المصدر ، ص ٧٨ .

٣١ ـ مواقف حاسمة ، ص ٢٠٧ .

٣٢ ـ د . علي إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامي العام ، ص ٢٠٦ .

٣٣ ـ مجموعة الوثائق السياسية ، ص ٧٩ ـ ٨٠ .

٣٤ ـ نفس المصدر ، ص ٨٠ .

٣٥ ـ مواقف حاسمة ، ص ٢٠٧ .

٣٦ ـ نفس المصدر ، ص ٢٠٦ .

٣٧ ـ مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١١٢ ـ ١١٣ .

٣٨ ـ نفس المصدر ، ص ١١٣ ـ ١١٤ .

٣٩ ـ نفس المصدر ، ص ١١٤ ـ ١١٥ .

٤٠ ـ نفس المصدر ، ص ١١٥ .

٤١ ـ الزركلي : الأعلام ، ج ٨ ، ص ٢٢٩ .

٤٢ ـ اليمامة : من نجد ، وقاعدتها (حجر) ، وكانت تسمى (جـدا) في الأصل ، كما عرفت بـ (جو) .

وذكروا أنها سميت (يمامة) نسبة إلى (اليمامة بنت سهم بن طسم) وكانت منازل (طسم وجديس) في هذا المكان . وقد تناولتها الأيدي حتى صارت في أيدي (بني حنيفة) عند ظهور الإسلام في قصص من قصص أهل الأخبار .

واليمامة من الأماكن الخصبة في جزيرة العرب ، وبها (وادي حنيفة) ، وبه مياه ومواضع كانت عامرة ثم خربت ، وهي اليوم خراب أو آثار . وقد اشتهرت قراها ومزارعها ، وكانت من أهم الأرضين الخاضعة لمملكة كندة . ويظهر أن سيلاً جارفاً أو سيولا عارمة اكتسحت في الإسلام بعض قراها ، فهجرت ، إذ ترى في هذا اليوم آثار أسس بيوت مبنية من اللبن ومن الطين ، يظهر أنها اكتسحت بالسيول ، وجاءت الرمال فغطتها بغطاء لتستر بقاياها عن رؤية النور .

وقد ذكر أهل الأخبار أن اليمامة كانت من بلاد الله الغنية بالأشجار والنخيل ، وبها مياه كثيرة . وقد عرف أهلها بالنشاط والتحضر ، وذلك بسبب وجود الماء بها ، إذ أغرى سحر الماء الناس على الإقامة عند مواضع المياه ، فنشأت مستوطنات كثيرة . ولا زال أهل اليمامة يعدون من أنشط سكان المملكة العربية السعودية .

وحدود اليمامة من الشرق البحرين ومن الغرب تنتهي إلى الحجاز ، وأما الشمال فتتصل بواد متصل بالعذيب والضرية والنباج وسائر حدود البصرة وجنوبها بلاد اليمن . هذا تعريف (ابن رستة) . ومن أبرز قبائل اليمامة في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، (بنو حنيفة) .

ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٤ ، ص ٢١٦ ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ م ، بغداد ـ بيروت .

٤٣ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٤ ، ص ٣١٣ .

٤٤ ـ مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٢٣ .

٤٥ ـ الكامل في التاريخ ، ج ٢ ، ص ٨٩ . فتوح البلدان ، ص ١٩٧ ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٤ / ٢١٣ .

٤٦ ـ الطبقات لابن سعد ، ج ١ ، ص ٢٦٢ . مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٢٣ .

٤٧ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٩ / ٧٠ .

٤٨ ـ مواقف حاسمة ، ص ٢٠٦ .

٤٩ ـ مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٢٨ .

٥٠ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٤ / ٤٤١ .

٥١ ـ د . عبد الرحمن عبد الكريم العاني : عُمان في العصور الإسلامية الأولى ، ص ٧١ ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٧٧ م .

٥٢ ـ نفس المصدر ، ص ٧٥ .

٥٣ ـ الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق ، ص ٢٩ .

٥٤ ـ تاريخ الخط العربي وآدابه ، لمحمد طاهر الكردي .

٥٥ ـ المصدر (رقم ٥٣) دراسات في تاريخ الخط العربي . تاريخ الخط العربي وآدابه ، مكاتيب الرسول .

٥٦ ـ الخط العربي وتطوره في العصور العباسية ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .

٥٧ ـ مكاتيب الرسول ص ٣٠ ـ ٣١ .

٥٨ ـ دراسات في تاريخ الخط العربي ، ص ٣٢ .

٥٩ ـ أصل الخط العربي لسهيلة الجبوري ، ص ٧٨ ـ ٧٩ .

٦٠ ـ نفس المصدر ، ص ٨٠ .

٦١ ـ الرق : جمعها رقوق ، بفتح الراء ، وهي جلود رقاق ترقق ليكتب فيها .

٦٢ ـ أصل الخط العربي لسهيلة الجبوري ، ص ٨٠ .

(وكان بعض اليهود قد أظهر كتاباً ادعى أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادات الصحابة وأنه خط علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فعرضه رئيس الرؤساء على أبي بكر الخطيب فقال : هذا مزور ، فقيل له : من أين لك ذلك؟ قال : في الكتاب شهادة معاوية بن أبي سفيان ، ومعاوية أسلم يوم الفتح وخيبر كانت في سنة سبع . وفيه شهادة سعد بن معاذ وكان قد مات يوم الخندق سنة خمس فاستحسن ذلك منه) .

ـ ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ٤ ، ص ١٨ ، مطبعة دار المأمون ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .

٦٣ ـ أصل الخط العربي ، ص ٨٠ ـ ٨٤ .

٦٤ ـ مجموعة الوثائق السياسية ، ص ٥٦ ، مكاتيب الرسول ، ص ١٤ .

٦٥ ـ أصل الخط العربي ، ص ٨٥ ـ ٨٧ ، الوثائق السياسية .

٦٦ ـ صلاح الدين المنجد :

أ ـ رسالة النبي ... إلى أبرويز ملك الفرس ، جريدة (الحياة) البيروتية ، ص ١ ، مع صورة .

ب ـ مقالة مشابهة في مجلة (الوعي) الباكستانية ، ص ١ ، و٧ ، مع صورة .

جـ ـ كتابه : دراسات في تاريخ الخط العربي ، ص ٣٢ .

٦٧ ـ أصل الخط العربي ، ص ٨٧ ـ ٨٩ .

٦٨ ـ مجموعة الوثائق السياسية ، مجلة (الهلال) ، عدد أكتوبر ـ نوفمبر ـ ديسمبر (تشرين الأول ـ تشرين الثاني ـ كانون الأول) ١٩٠٤ م .

٦٩ ـ أصل الخط العربي ، ص ٩٠ ـ ٩١ .

٧٠ ـ مجلة (درع الوطن) العدد ٣٤ ، دولة الإمارات العربية ، ١٩٧٤ م ، ص ٤٤ ـ ٤٥ .

٧١ ـ أصل الخط العربي ، ص ٩٢ .

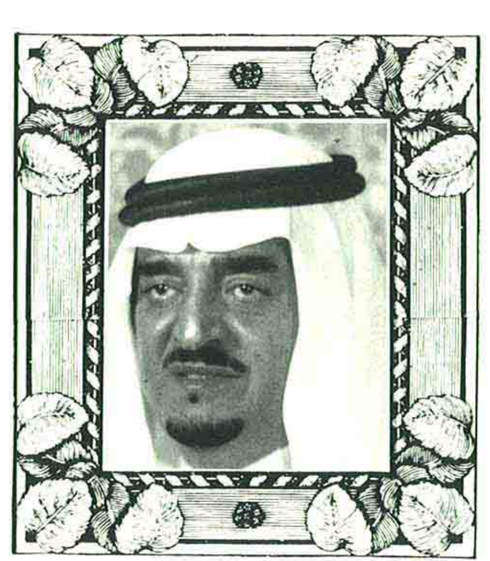
٧٢ ـ المجلة العسكرية (السورية) ص ١٣ .

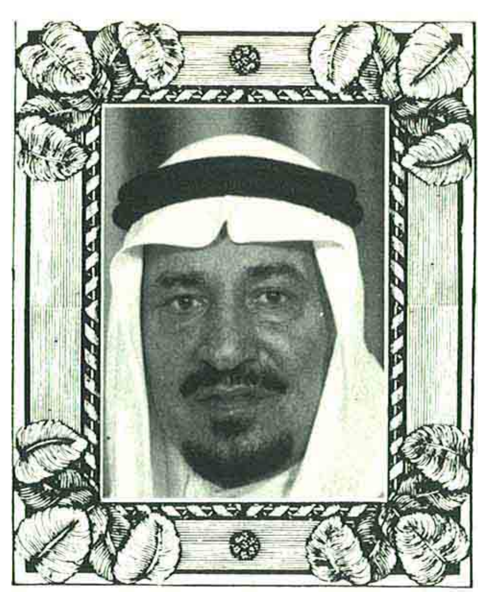
٧٣ ـ مجلة (الأقصى) الأردنية ، العدد (٣٧) ١٩٧٧ م ، ص ١١ ـ ١٢ .

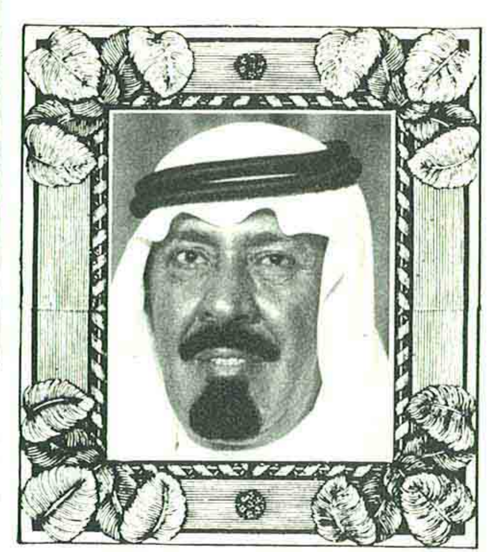
٧٤ ـ المجلة العسكرية (السورية) ، ص ١٣ .

٧٥ ـ مجلة (الأقصى) السالفة ، ص ١٣ .

٧٦ ـ مواقف حاسمة ، ص ٢٠٨ .







بمناسبة

اليوم الوطني

للمملكة العربية السعودية

يطيب لشركة أرامكو أن تتقدم

بأسمى التهاني وأجمل الأماني

إلى جلالة الملك **خالد بن عبد العزيز** المعظم

وصاحب السمو الملكي الأمير **فهد بن عبد العزيز** ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء

وصاحب السمو الملكي الأمير

عبد الله بن عبد العزيز

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة والشعب السعودي الكريم

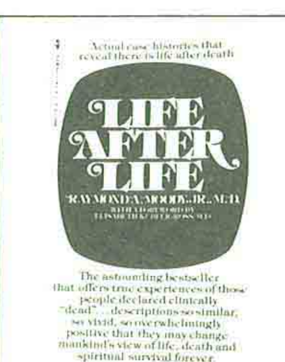
أعاده الله على الجميع باليمن والبركات



D

(بي رس - ٤ - ٨١)







﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم . وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا إن كنتم غير مدينين . ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾ .

سورة الواقعة ـ قرآن كريم

الحياة بعد الحياة

تأليف :
د. رايموند مودي

عرض وتقديم :
محمد الحديدي

لا بد للإنسان من ضجعة — لا تقلب المضجع عن جنبه !
ينسى بها ما كان من عجبه — وما أذاق الموتُ من كربه
نحن بنو الموتى فما بالنا — نعاف ما لا بد من شربه ؟
لم يُرَ قرنُ الشمس في شرقه — فشككت الأنفس في غربه
يموت راعي الضأن في جهله — ميتة جالينوسَ في طبه !

أبو الطيب المتنبي

أراني في الثلاثة من سجوني — فلا تسأل عن الخبر النبيثِ . . .
لفقدي ناظري ولزوم بيتي — وكون النفس في الجسم الخبيثِ !

أبو العلاء المعري

الدكتور « رايموند مودي » مؤلف هذا الكتاب ، دكتور بكل معنى لهذا اللقب ، فهو أستاذ في الفلسفة ، حاصل على إجازة الدكتوراه في هذا الفرع من فروع العلم أو المعرفة ، واشتغل بتدريس الفلسفة في الجامعات الأميريكية ، وهو أيضاً دكتور لأنه طبيب ، فقد استطرد إلى دراسة الطب وممارسته اتجاهاً إلى الاشتغال بالطب النفسي ، ثم بما يسميه هو « فلسفة الطب » ، وهي ما ينطوي تحته موضوع هذا الكتاب .

هذا إذن رجل فعل كل ما في وسع إنسان ليزود نفسه بالعدة التي يمكن بها سبر أغوار العقل والجسد في آن واحد ، والتخلص مما يقع بين العلماء والفلاسفة من خلافات لا تؤدي بهم إلى نتائج ، فهل توصل هو إلى « **نتائج** » ؟ هذا هو ما ننوي أن نتوصل نحن إليه .

كنت قد سمعت وقرأت كثيراً عن هذا الكتاب قبل أن أتوصل إلى قراءته تفصيلاً ، وقد أحدث ضجة كبيرة في الأوساط العلمية والفكرية بما يظنون أنه قد كشف عنه بطريق التجربة العلمية ، فهو يدور حول التجربة التي يجتازها أناس « **يقتربون من الموت** » ثم « **يعودون إلى ممارسة الحياة** » .

التعبير الأول من عند المؤلف ، فهو يسميها « **تجربة قرب الموت** »[1] ، والثاني من عندنا ، إذ لا يوجد شيء اسمه « **العودة إلى الحياة** » ، فالمرء لا يعود إلى الحياة وإلا فإنه لا يكون قد مات ، **فالموت بحكم تعريفه وبحكم معنى هذه الكلمة كما استخدمها الناس في كل اللغات والأزمنة هو مفارقة هذه الحياة إلى غير رجعة ، وأما البعث إلى الحياة الآخرة ، فكما هو معروف ليس عودة ولا رجعة .**

والمؤلف لا يزعم أن الإنسان « **يموت** » ثم « **يعود** » إلى الحياة ، وإلا ما كنا قرأنا كتابه ، ولكان ينقصه أن يضيف إلى مؤهلاته العديدة شهادة في اللغة ، الواقع أن من أمتع ما في هذا الكتاب مناقشة المؤلف لمعنى الموت عند الأطباء ، الموت « **الإكلينيكي** » كما يسمى ، وهذه في ذاتها قضية علمية وقانونية تزداد تعقيداً مع الزمن ومع تقدم الوسائل العلمية والطبية .

والأطباء ، والمجتمع الذي ينتمون إليه بما فيه من سلطات قانونية مسؤولة ، كل هؤلاء ملزمون أن تكون لديهم الوسيلة لتقرير موت الإنسان والتصريح بدفنه ، هذه الوسائل آخذة في التغير بفعل الكشوف العلمية التي تستمر لتؤكد لنا كم نحن بعيدون عن فهم ظواهر الحياة فضلاً عن ظواهر الموت ! .

وقد كان هناك زمن ، وزمن قريب جداً ، كان القول الفصل فيه إن المرء يكون قد مات موتاً كاملاً إذا توقف قلبه عن النبض ولم يعد يتنفس ، « **لفظ أنفاسه الأخيرة** » ، هذا هو التعبير الذي ما زال شائعاً ، وتوجد الآن الوسائل العلمية التي تدل الأطباء على أن انقطاع النفس (**بفتح الفاء**) ، ليس معناه بالضرورة انقطاع النفس (**بتسكين الفاء**) عن الوجود الدنيوي ، هذا ممكن الآن بفضل الأجهزة التي تدل على أن الحياة ما تزال ماثلة بظواهر أخرى ، كالموجات الكهربية المخية ، **ولا يعلم إلا الله ما سيتكشف عنه المستقبل من ظواهر للحياة لم نكن نعرفها** . . وكم سمعنا من قصص مرعبة عن أناس دفنوا أحياء دون أن يعرف الذين واروهم التراب أنهم كانوا كذلك ! .

كما ذكرنا ، المؤلف رجل دارس للفلسفة ، ومن فروعها **المنطق** ، ولذا فإن الكتاب يتسم بترتيب منطقي ، ولكننا نستبيح لأنفسنا أن نخل بهذا الترتيب ، إذ لولا الفصول الأخيرة لما كانت لهذا الكتاب قيمته التي نقر بها ولما كنت ـ **كواحد من الذين قرأوه** ـ قد مضيت في قراءته إلى تلك النهاية الشيقة .

إذ إن نصف الكتاب بالضبط مخصص للفصل الثاني وعنوانه هو : « **تجربة الوفاة** »[2] ، وينقسم بدوره إلى خمس عشرة فقرة كل منها تصف لنا على لسان واحد من العديدين الذين اجتازوا تجربة الموت (أو بعبارة أصح الاقتراب من الموت) .

من وجهة نظر معينة تصف ظاهرة معينة ، لو اقتصر الأمر على ذلك لما أظن قارئاً جاداً كان يمضي في قراءة الكتاب إلى نهايته ، خاصة وقد كونت لنفسي رأياً في هذا المضمون منذ بداية « **تجربة القراءة** » ، وهو أن تفسير هذا كله قد يكون أي شيء إلا أن هؤلاء الناس قد رأوا في غيبوبتهم تلك (**وأنا هنا أستعمل هذه الكلمة بمعناها الحرفي ، وهو الغيبة عن الوعي الحياتي كما نعرفه ، ولا أظن أحداً سيخالفني في صحة التعبير في الحالة التي نحن بصددها**) .

رأوا أي شيء ناتج عن خارج إحساساتهم هم ، وهذا الرأي الذي

انتهيت إليه من قبل أن أنتهي من قراءة الكتاب (**بل أود أن أعترف للقارئ : من قبل أن أبدأ قراءته !**) واحد من الاحتمالات العديدة التي يوردها المؤلف نفسه في أروع فصل في الكتاب ، وهو المعنون : «**تفسيرات**» ، يعني التفسيرات المحتملة للظواهر التي يتحدث عنها الذين استمع إليهم في بحثه الطويل عن تجربة الانتقال إلى الآخرة .

صحيح أن المؤلف يظهر ميله إلى رفض هذه التفسيرات لأسباب يبديها ، ولكن له رأيه ولنا رأينا ، هو نفسه يقر بأنه لا يعد ما قام به بحثاً علمياً ، هذا هو ما يقوله في هذا الصدد بالحرف الواحد :

«**هذه الملحوظات هي السبب الذي يجعلني أرفض أن أنتهي إلى أية «نتائج» قاطعة لدراستي هذه ، وإنني لست بسبيل محاولة الإثبات العلمي لانتقال الروح إلى الحياة الآخرة بعد الخروج من الجسد ، إلا أنني أرى أن هذه التقريرات عن تجربة الاقتراب من الموت ، لها دلالة كبرى وأهمية عظمى ، كل ما أريد أن أصل إليه هو أن أجد وسطاً بين هذين النقيضين : الرفض على أساس أن هذه التجارب لا تكون برهاناً علمياً أو منطقياً ، أو الانسياق وراءها إلى موقف عاطفي يتخذ منها «دليلاً» علمياً على طبيعة تلك التجربة .**

وهكذا فإن الذي توصلت إليه ليس نتائج أو أدلة أو براهين ، بل شيء أقل تحديداً وثباتاً ، مجرد إحساسات ، تساؤلات ، تشابهات ، حقائق محيرة تحتاج إلى التفسير .

الواقع أن الأصوب ليس هو التساؤل عن النتائج التي يمكن التوصل إليها من هذه الدراسة ، بل ماذا كان تأثيرها عليَّ أنا شخصياً ، والإجابة على هذا السؤال هي : **لا أستطيع أن أقول إلا أن هناك شيئاً مقنعاً تمام الإقناع يمكنني أن ألمسه عندما أستمع لشخص يصف تجربة كهذه ، هذا الشيء ليس من السهل أن أنقله بالكلمات ، تجارب الاقتراب من الموت كانت أحداثاً حقيقية جداً عند أولئك الأشخاص ، ومن خلال مشاركتي لهم فإن هذه التجارب صارت أحداثاً حقيقية لي أيضاً .**

إلا أنني أدرك أن المسألة هنا مسألة سيكولوجية وليست مسألة منطق ، والمنطق موضوع يتسم بالعمومية ، أما الاعتبارات السيكولوجية فهي ليست عمومية بنفس القدر ، وتحت نفس الظروف فإن شخصاً قد يتأثر بشكل بينما يتأثر غيره بشكل آخر ، هذه مسألة تتأثر بمزاج الفرد واستعداده ، وأنا لا أرغب في أن أوعز بأن موقفي إزاء هذه الدراسة يجب أن يكون قانوناً يحكم تفكير كل شخص آخر .

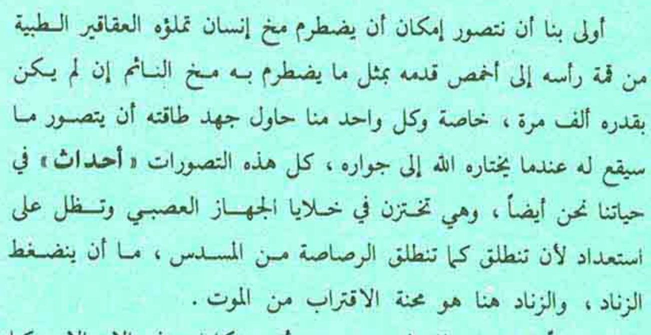
على ضوء ذلك ، قد يتساءل البعض : «**إذا كان تفسير هذه التجارب سيكون في النهاية أمراً ذاتياً إلى هذا الحد ، فلماذا تستحق الدراسة** ؟ لا أجد في حوزتي إجابة على هذا التساؤل سوى أن أشير إلى الاهتمام الشائع بين بني البشر بطبيعة الموت ، واعتقادي بأن أي مزيد من الضوء يلقى على هذه المسألة سيكون لفائدة بني البشر» .

حسناً ، نحن إذن لسنا ملزمين بأن نشارك المؤلف معتقداته ، والأكثر من ذلك : هذه المعتقدات ذاتها ليست سوى نتيجة «**مزاجه واستعداده**» وأن مشاركته لمرضاه في تجربتهم بمجرد الاستماع إليهم هي التي تضفي «**الحقيقة**» **على هذه التجربة ... إذا كان الأمر كذلك يا عزيزي القارئ فنحن آمنون ، وما دام المؤلف أميناً معنا إلى هذا الحد فمن حقه علينا ألا نكذبه ، بل ألا نكذب الذين استمع إليهم ؛ سوف «نصدق» أنهم رأوا ما يقولون لنا أنهم رأوه ، فقط هل عندما رأوه كان فعلاً يحدث أمام أعينهم؟ أم داخل رؤوسهم؟** ؟ .

هذه ــ كما يقول **شكسبير** ــ هي المسألة ، وإذا كنا نجد بين الفلاسفة فرقة تؤمن بما يسمى «**سوليبسية**»[٣] ، وهو الادعاء أو القول بأنه ما دام المرء يدرك عن طريق حواسه فما أدراه أن شيئاً في هذه الدنيا يوجد سوى إحساساته هو أو خيالاته هو؟ بل ما أدراه أن له حواس تعمل؟ لماذا لا تكون كل هذه هواجس من باطن نفسه؟ .

أنت تظن أنك تراني وتسمعني والحقيقة أنك ضحية خلايا جهازك العصبي ، تماماً كالنائم ، إنه يحلم أنه رآك وهو لم ير أحداً .. إذا كان هناك من يصلون إلى هذا النقيض الآخر ، إلى حد أن تروق لهم فكرة بهذه الدرجة من السخافة ، فأولى بنا إذن ونحن نستمع لمن يحكي لنا ما رآه وهو على شفا حفرة من الموت وأنقذ منها ، وهو في حالة من حالات غيبة الوعي لا تدانيها سنة ولا نوم ، وإذا كنا ننام كل ليلة ونرى ما نراه ونذكر منه ما نذكره وننسى ما ننساه ، ونحادث أحياء وأمواتاً ، بل نقابل ونحادث أناساً لا نعرفهم ولا وجود لهم ، ونرى كائنات لم تخلق ولم يوجد مثلها ، أي نعيش تجربة «**سوليبسية**» كاملة لنصحو ونكتشف أن كل هذا جاء من عشاء دسم (**أو ما هو أدهى والعياذ بالله**) .





أولى بنا أن نتصور إمكان أن يضطرم مخ إنسان تملؤه العقاقير الطبية من قمة رأسه إلى أخمص قدمه بمثل ما يضطرم بـه مخ النـائم إن لم يـكن بقدره ألف مرة ، خاصة وكل واحد منا حاول جهد طاقته أن يتصـور مـا سيقع له عندما يختاره الله إلى جواره ، كل هذه التصورات « **أحداث** » في حياتنا نحن أيضاً ، وهي تختزن في خـلايا الجهـاز العصبي وتـظل على استعداد لأن تنطلق كما تنطلق الرصاصة مـن المسـدس ، مـا أن ينضـغط الزناد ، والزناد هنا هو محنة الاقتراب من الموت .

إنصافاً للواقع ، وللمؤلف ، فهـو يـأتي بـكل هـذه الاحتمالات كما أسلفنا ، في الفصل الخامس « **تفسـيرات** » ، أمـا الفصـل السـادس والأخير ، « **انطباعات** » ، فهو الذي نقلنا منه الفقـرة الـتي جـاءت فيما سبق ، وأما الفصول السابقة لذلك ، وقد آن الأوان أن نبدأ القصـة مـن أولها ، فهـي على الـترتيب : مقـدمة ، ثم : « **ظـاهرة الموت** » ، ثم : « **تجربة الموت** » ، ثم : « **مشـابهات** »[٤] ، أي كتـابات أخـرى في ذات الموضوع ، ثم ، وهو الفصل الرابع : « **أسئلة** » وهو فصل يـرد فيـه على ما هو مفروض أنها أسئلة جـاءته ممـن اسـتمعوا لمحـاضراته أو قـرأوا مقالاتـه إلـخ .

المقدمة .. والفصل الأول

« هذا الكتاب من تأليف واحد من بني الإنسان » .

هذه أول عبارة في المقـدمة وفي الـكتاب كلـه ، يمضي بعـدها المؤلف ليقول لنا إنه لما كان الأمر كذلك فإن خلفيتـه وآراءه سـوف يـكون لهـا تأثيرها على ما هو فيه ، ثم يستطرد قـائلاً : « **وقبـل كل شيء فـأنا لم أمر بتجربة القرب من الموت أنا نفسي** » ، **قيمة هذه المقـدمة تكمن في أنها تدل القارئ على مدى مـا يتميـز بـه المؤلف مـن الحيدة وعدم الاطمئنان التام إلى ما يقول به .**

ثم في الفصل الأول ، نجد هذه الفقرة :

« أصبحت الآن أعرف حوالي ١٥٠ حالة لأشخاص أعيـدوا إلى الوعي بعد أن بدا عليهم الموت ، هذه الحالات تنقسـم إلى ثلاثة أنواع :

(١) تجربة أشخاص أمكن إعادتهم إلى الوعي بعد أن كان أطباؤهم قد أعلنوا أنهم يعدون موتى من الناحية الإكلينيكية .

(٢) تجربة أشخاص وقعت لهم حوادث أو أصيبوا إصابات بـالغة ، وأثناء ذلك اقتربوا قرباً شديداً من الموت الجسماني .

(٣) تجربة أشخاص توفوا ووصفوا تجربتهم هذه لمن كانـوا بجوارهم وهؤلاء بدورهم قصوها عليّ .

أظن أن القارئ الكريم سيوافقنا على أن أهل الفئة الثـالثة لا يعنوننا في شيء ، لأن الذي يستطيع أن يقص على النـاس حكايته سـيكون على قدر من الحياة لا يقل عما نحن عليه حتى الآن ! فهؤلاء ماتوا « **بعـد** » أن حكوا كما مات الناس من قبلهم وكما سـنموت مـن بعـدهم ، على أيـة حال ، لننتقل إلى الفصل التالي . . .

سننقل من هذا الفصل فقرات متتابعة نظن أن فيها ما يكفي لإدراك طبيعة الأمور التي يتحدث عنها هذا الطبيب الفيلسوف مما سمعه من أصحاب هذه التجارب :

« رجل يحتضر ، وعندما يصل إلى أسوأ حالة جسمانية يسمع من طبيبه ما يدل على أنه قد أعلنت وفاته . يلي ذلك صوت غريب يشبه دقات الجرس ، ويحس بنفسه كما لو كان يطير بسرعة عظيمة داخل نفق أو سرداب مظلم ، ثم يحس بنفسه وقد خرج من جسده وإن كان يظل موجوداً في نفس المكان الأرضي ، وهو يستطيع أن يبصر جسده المسجى من مسافة ، كما لو كان جسد شخص آخر ، ويرى محاولات الأطباء ومساعديهم لإفاقته (**يبدو أنهم عادة يغيرون رأيهم ، فقد سبق أن أعلنوا موته !**) ويسبب ذلك لديه اضطراباً عاطفياً .

بعد برهة ، يستجمع نفسه ويصبح أكثر اعتياداً لهذه الحالة الفريدة ، ويلحظ أنه ما زال « **جسد** » وإن يكن من طبيعة مختلفة تماماً ، وله قدرات تختلف عما كان لذلك الذي فارقه لتوه ، سرعان ما تتوالى الأحداث بعد ذلك ، يأتي آخرون لمقابلته ، ويعرف من بينهم أقاربه وأصدقائه المتوفين ، وروحاً رقيقاً لطيفاً محباً ، كائناً من نور ، يبدأ هذا الكائن النوراني في محادثته ومساعدته على تقييم حياته ، واستعراض أحداثها الرئيسية ، وتأتي لحظة يحس فيها أنه يقترب من حاجز أو حائط ، لعله الفارق بين الحياة الدنيوية والتالية لها ، ولكنه يحس أنه لا بد أن يرجع إلى الأرض وأن أجله لم يحن بعد .

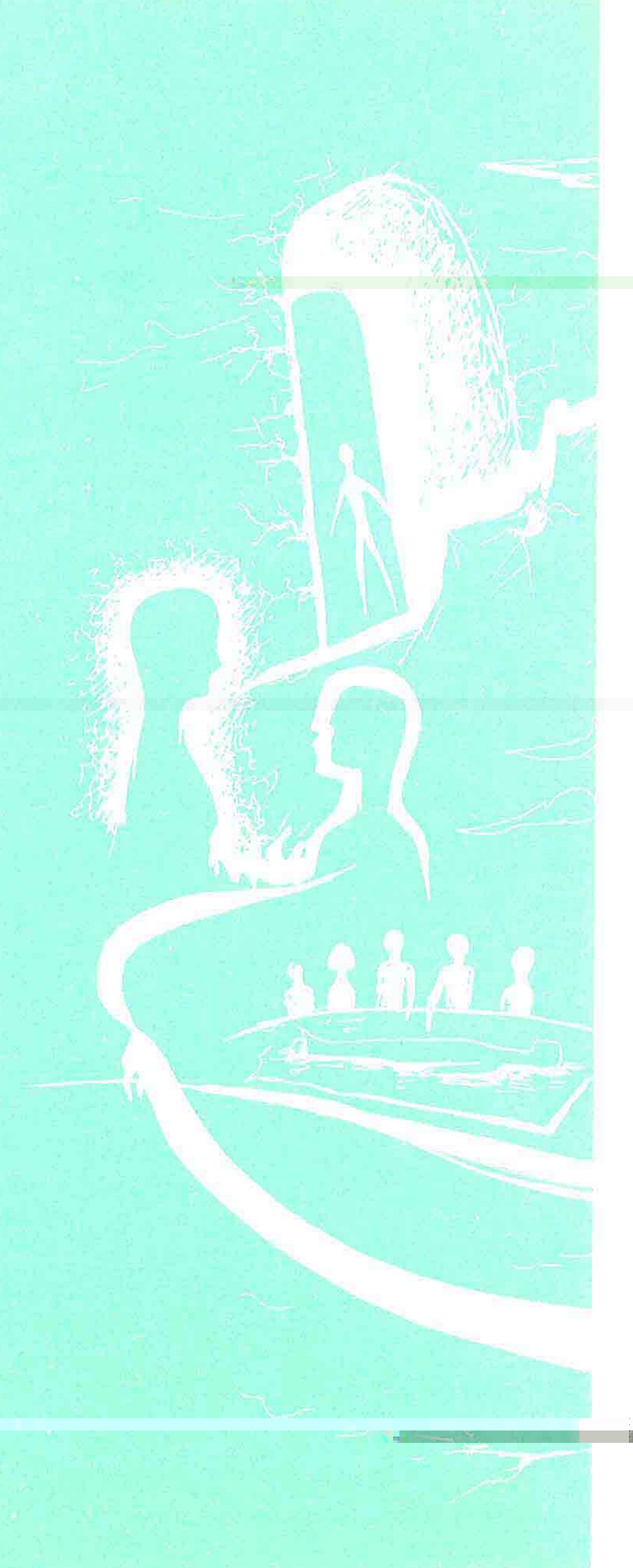
عندئذ يبدأ في مقاومة هذا الدافع ، إذ إنه قد بدأت تحلو له التجربة ويريد لها أن تستمر ، ويتملكه شعور طاغ باللذة والحب والطمأنينة ، ولكنه برغم ذلك يجد نفسه مرغماً على أن يعود إلى الاتحاد مع جسده . .

وفيما بعد ، يحاول أن يقص تجربته على الآخرين ، ولكنه من جهة يجد صعوبة في ذلك ، فاللغة الآدمية لا تعطي كلمات يمكن بها وصفها وصفاً دقيقاً ، كما أن هؤلاء الآخرين يرفضون أن يصدقوا ما يقصه عليهم ، وينتهي به الأمر إلى أن يطوي جوانحه على سريرة نفسه ، ولكن التجربة تحدث أثرها العميق على حياته ، وخاصة على نظرته إلى الموت وعلاقته بالحياة الدنيوية » .

ينتقل المؤلف من ذلك إلى القول بأن اللغة التي نتخاطب بها تستمد طواعيتها لأهدافنا من التخاطب ، تستمدها من الخبرة المتواصلة باهتماماتنا اليومية ، ومن هنا فإن مثل هذه التجربة الفريدة يجد أصحابها صعوبة عظمى في وصفها بالحديث العادي ، ومن أمثلة ذلك ما تقول به واحدة « **منهم** » :

« لقد علموني في المدرسة أننا نعيش في دنيا ثلاثية الأبعاد ، ولكن الذي شاهدته كان يحدث في كون له أكثر من ثلاثة أبعاد ، كيف يمكنني أن أصف هذه الأحداث بلغة نبتت في حياة تدور في فراغ ثلاثي ؟ » .

حسناً ، « **للأغراض العملية** » كما يقولون ، نحن لا نعرف عن



ثقة ما إذا كان الكون الذي نعيش فيه ثلاثياً أم أكثر من ذلك أبعاداً وهذه مشكلة قديمة ، وإن كنا ما نزال نرى وجهة نظر هذه السيدة ، أطال الله عمرها ، إن كانت ما تزال « **ثلاثية الأبعاد** » ، ونحن على استعداد لأن نصدق ، أو على الأقل نقول بإمكان تغير أبعاد الفضاء عند الانتقال من دنيا لأخرى ، فقط لماذا يفترض دائماً أن من ينتقل يدركنا ونحن لا ندركه ؟ .

هذه حالة سيدة أخرى تحكي لطبيبها أنها سمعته وهو يقول « **دعونا نحاول مرة أخرى** » ، ترى هل كانت إذ ذاك في فراغ رباعي أم ثلاثي ؟ وهل يا ترى ينتقل الإدراك من الفراغ الأدنى إلى الأعلى وليس العكس ؟ .

يطول الحديث عن « **تجارب** » مرضى **الدكتور مودي** (**وهو اسم أسرته ، كما نعرف ، فقط لا يمكننا أن نغفل حقيقة أن الاسم مستمد من كلمة لها معنى ، Moody يعني شخص ذو تقلبات مزاجية ، « بغزالة » كما يقال**) وبينما يصف البعض حالتهم الجسمانية أثناء التجربة بأنها « **مجرد إحساس بالوجود** » ، دون أن يكون هناك « **جسد** » مادي ، نجد نفس الشخص يقول لنا إنه « **مد يده ليفتح الباب فوجد أنه لا يستطيع الإمساك بالأكرة وأن المواد الصلبة تمر من خلال يده تلك ، بل إنه لا داعي لفتح الباب فهو يستطيع أن يمر من خلاله** » ؟!! .

حسناً ، لعل هذا ناشئ من اختلاف اللغة ، يقودنا هذا على أية حال إلى مسألة السمع هذه ، بماذا يسمعون ؟ لا يغفل المؤلف هذه المسألة ، يقول أحد المجربين :

« **الاستماع هنا يبدو أنه مسألة مشابهة الشيء بالشيء ، وأغلب المجربين يقولون إنهم لم يسمعوا أصواتاً فيزيائية وإنما كانوا بطريقة أو أخرى يتلقون ما يفكر فيه المتحادثون !!** » .

ورغم ذلك فإن الشخص يحكي أنه قابل أقرباءه وأصدقاءه وعرفهم « من وجوههم » ، وهناك إجماع على عدم إدراك أي شيء مما ندركه بغير ذلك من الحواس ، لا بديل أو شبيه لحاسة الشم أو الذوق .

ويقول بعض الذين مروا بهذه التجربة إن « الحالة » استمرت معهم عدة أيام بعد اجتيازها ، فهم يظلون قادرين بدرجة ما على التقاط أفكار الناس . . إلخ . .

يأتي هذا الفصل الآن ، ويحدثنا المؤلف عن الكتابات التي تصف تجربة الموت ، منها مثلاً **محاورات أفلاطون** ، خاصة « **فيدون** » و « **جورجياس** » و « **جمهورية أفلاطون** » ، ثم **كتاب الموتى** عند أهل التبت ، وكتابات عالم الأحياء السويدي **إمانويل سويدنبرج** (١٦٨٨ ــ ١٧٧٢ م) وبعد تلخيص مشوق لخيالات هؤلاء الكتاب يسألنا المؤلف سؤالاً أخيراً إجابة عليه هي أن نرده إليه (**وهو لا يتهرب منه فسوف يأتي في فصل الأسئلة**) :

« **أيمكن أن تكون تجارب الاقتراب من الموت التي جمعتها قد تأثر أصحابها بكتابات من هذا النوع ؟** » .

ثم يعد لنا هذه المؤلفات محاولا أن يجد مخرجاً في حقيقة أن بعضها شائع والبعض غير شائع ، وأن أغلب ما جاء على الألسنة ينتمي للنوع الثاني ، حجة واهية بعض الشيء ، وهذه لا تقل عنها وهناً :

« لا بد لنا أن نعترف بأن أوجه الشبه بين كتابات هؤلاء الأقدمين وما يقصه علينا أميريكان معاصرون ممن اجتازوا تجربة القرب من الموت ، تبقى شيئاً مدهشاً ليس في حوزتنا تفسير شاف له !! كيف يمكننا أن نفسر التطابق بين كتابات **أفلاطون** وفلاسفة التبت ورجل مثل **سويدنبرج** ، بين بعضها البعض ، ثم بينها وبين ما يحكيه لنا أفراد معاصرون كهؤلاء ؟ » .

حقاً ؟؟ نظن أنه من النادر أن نجد سؤالا يحمل بين طياته إجابته بهذا الوضوح وبهذه السهولة . . . التشابه في كلتا الحالتين يأتي من حقيقتين هما قصة البشرية ، فقد دأب المؤلفون منذ خلقهم الله على الرجوع إلى ما كتبه من سبقوهم ، والمحدثون منهم ، ومن بينهم **الدكتور مودي** نفسه ، يوردون في مؤلفاتهم قائمة بالمراجع ، وهذه المؤلفات ذاتها واردة في بيبليوغرافيا هذا الكتاب ، فهل يأتي يوم يدهش فيه دارس لهذا الكتاب بعد سنين لما يجده من تشابه بين محتواه وكتابات **سويدنبرج** ويتخذ من هذه الظاهرة إثباتاً لصحة ذلك المحتوى ؟

أما الأمر الثاني فهو أن بني البشر ــ ببساطة ــ وبحكم تكوينهم وما جبلهم عليه خالقهم ، متشابهون في التفكير في أمور كثيرة مهما اختلفوا في غيرها ، وهم عندما يفكرون في أمور مثل ما يقع بعد الموت ، وهي أمور أقل ما توصف به هو أنه لا سبيل إلى معرفة شيء عنها ، وهو ما توصل له **وليم جيمس** وملايين غيره ، فإنهم حريون أن يزدادوا شبهاً كلما

ازدادوا حدساً وتخميناً ، أو نقلاً عن الحادسين والمخمنين .

الإجابات

يأتي بعد ذلك فصل « **الأسئلة** » ، وهي ــ فيما يقول لنا المؤلف ــ أسئلة وجهت إليه من الكثيرين ، وهو هنا يأتي بأكثرها شيوعاً بين من استمعوا إليه أو ناقشوه ، يبدؤها باحتمالات الاختلاق من جانبه ومن جانب مرضاه فينفي ذلك نفياً قاطعاً ، ونحن سوف نصدق ذلك إذ إن حجتنا في عدم الاقتناع بأن الذين اجتازوا تجربة القرب من الموت قد رأوا شيئاً في الآخرة تأتي من أن « **الرؤى** » قد تكون أي شيء من داخل العقل ، ولسنا بسبيل اتهامه أو اتهام من استمع إليهم بالزيف وإلا كنا مضيعين لأوقاتنا في قراءة الكتاب ومناقشته .

وهذه خلاصة لأهم هذه الأسئلة وأجوبتها .

س : **هل هناك حالات تاريخية قديمة ؟**

ج : ليس فيما أعلم ، أنا لم يتح لي الوقت لدراسة ذلك ، فقط لا أظن أن هناك الكثير منها ، إذ إنه في تلك العصور القديمة لم تكن توجد الوسائل التي لدينا اليوم لإعادة مثل هذه الحالات إلى الوعي ، من أمثلة ذلك **حقن الأدرينالين في القلب** ، والآلات التي توصل إليه الصدمات ، والقلب الصناعي والرئة الصناعية ... إلخ .

س : **سمعت أنه بعد خمس دقائق تستحيل الافاقة (لنلحظ هنا ، أنه ــ أي صاحب هذا السؤال ــ لم يقل بعد خمس دقائق من ماذا ؟) ولكنك تقول إنه في بعض حالاتك استمرت ظواهر الموت حتى عشرين دقيقة ، فكيف أمكن ذلك ؟**

ج : معظم الأرقام التي نسمعها في الدراسات الطبية متوسطات ، ولا يجب أن تؤخذ على أنها حقائق حسابية مطلقة ، هناك قاعدة عامة تمنع الطبيب من محاولة إسعاف مريض بعد مرور خمس دقائق ، لأن انقطاع الدم عن المخ أكثر من ذلك خليق بإتلافه ، بتأثير نقص الأوكسجين ، فقط لما كانت فترة الخمس دقائق مجرد متوسط ، فمن المتوقع إذن أن توجد فترات أطول وأقصر ، وقد شاهدت بنفسي حالات استمرت عشرين دقيقة دون أن تظهر بعد ذلك أية علامات تدل على حدوث تلف في أنسجة المخ .

س : **وهل تعتبر أن هؤلاء الأشخاص «ماتوا» حقاً ؟**

ج : الصعوبة في الإجابة على هذا السؤال تكمن في معنى كلمة « **الموت** » ، الخلاف على معنى هذه الكلمة ، وعلى المعايير الدالة على الموت لا يقتصر على عامة الناس ، بل يشمل الأطباء أيضاً ، وهناك أكثر من مفهوم طبي للموت « الإكلينيكي » ، منها :

الموت بمعنى اختفاء العلامات الدالة على الحياة « إكلينيكياً »

المتبع من قديم الأزل هو اعتبار الإنسان ميتاً عندما يتوقف نبضه ، وينقطع نفسه ، ويهبط ضغط دمه إلى حد أنه لا يقرأ ، وتتسع حدقة العين وتنخفض حرارة الجسم .. إلخ ، كل هذه العلامات وجدت في الحالات التي نحن بصددها .. **الموت بمعنى اختفاء الموجات الدالة على عمل المخ .**

مع اضطراد التقدم التكنولوجي ، استحدثت وسائل جديدة لاكتشاف ظواهر الحياة ، منها **رسام المخ الكهربائي** ، وهو جهاز يلتقط الموجات الكهربائية الناشئة عن عمل المخ ويسجلها على هيئة موجات يمكن قياس أطوالها وارتفاعاتها ، وأخيراً بدأ انبساط هذه الموجات ثم اختفاؤها يتخذ علامة تدل على الموت أكثر من أية علامة أخرى .

هناك ثلاثة اعتبارات هامة لنا :

١ ــ الحالات التي نحن بصددها تكون عادة حالات عاجلة وخطيرة إلى أقصى درجة ، والذي يشغل بال الأطباء أثناءها هو إسعاف المريض أو إنقاذه ، وليس الانشغال بتركيب جهاز رسم المخ ، وهو عمل معقد يستغرق وقتاً يكفي لأن يموت المريض ، **(بالمعنى الحقيقي ؟؟)** .

٢ ــ حتى لو تم ذلك ، فإن تسطح الموجات لن يدلنا على ما إذا كان إنقاذ المريض ما زال ممكناً ، وقد شوهدت الموجات المسطحة في حالات تم بعدها إنقاذ المريض ، ولكن هناك عقاقير طبية كثيرة تحدث نفس هذه الصورة ، منها عقاقير إخماد الجهاز العصبي المركزي ، وكذلك انخفاض حرارة الجسم .

٣ ــ بجانب ذلك كله ، سيأتي من يتساءل : ما أدرانا أن ما يحكى قد وقع أثناء ظاهرة تغير موجات المخ .. ؟

الموت بمعنى انقطاع الوظائف الحيوية « نهائياً » .

لا يكتفي البعض بأي ظاهرة للاستدلال على الموت سوى هذه ،

وطالما عاد المريض إلى وعيه فهو عندهم لم يمت ولم ينقطع عن الحياة ، بعبارة أخرى ، فإن تعريف الموت عند هؤلاء هو « **الحالة التي يصل إليها جسم الإنسان والتي لا يرجع منها أبداً إلى ممارسة الحياة** » .

يتوقف المؤلف هنا برهة ، ونحب أن نتوقف معه ، ليقول : **من الواضح أنه إذا أخذنا بهذا التعريف فإنه لن تصلح حالة واحدة من الحالات التي نتحدث عنها ، فكلها أعيدت إلى الوعي .**

أما نحن فنلحظ أنه من بين التعاريف الثلاثة للموت عند أطباء هذا الزمن : الثالث لا يصلح ، والثاني متعذر عملياً ، أما الأول فهو الذي يحدث ، وهو توقف النبض والتنفس ، هذا هو بيت القصيد : في كل هذه الحالات توقف القلب ، ولكن المريض لم يكن قد مات بعد ، وخير ما يقال هنا هو هذا ، اقتباساً من نفس الفصل في فقرة تالية :

« **ليس من الضروري أن نفترض أنه في أية حالة من هذه قد انتفى أي قانون بيولوجي أو فسيولوجي ، لكي تتم الإفاقة ، لا بد أنه كانت هناك بقية من نشاط بيولوجي يستمر في الخلايا ، برغم اختفاء ظواهر هذا النشاط والذي قد يكون راجعاً لعدم وجود وسائل الكشف الإكلينيكي التي تمكن من الاستدلال عليه ، وقد يكون من المتعذر حتى الآن تحديد أين تقع نقطة اللاعودة** » ! ! .

التفسيرات المحتملة

هذا هو الفصل قبل الأخير في الكتاب الذي يأتي فيه المؤلف بما يمكن أن يكون تفسير ما لم يسطع عليه صبراً . . وهو يورد هذه التفسيرات ، ثم تفسيراته هو لها ، وأنواع الاحتمالات هي :

١ ـ فوق الطبيعية

بعض الناس يقترحون احتمال تدخل شيطان أو عفريت أو جني ، والمؤلف يميل إلى استبعاد هذا الافتراض ، لأن كل من مروا بهذه التجربة ممن يعرفهم خرجوا منها ميالين إلى الخير والحب ، راغبين في الموت ، مثل هذا التأثير لن يأتي من هذا الطريق .

٢ ـ فارماكولوجية

يعني بتأثير العقاقير ، وهو يقول إن الكثير من هذه الحالات لم تستخدم فيها أية عقاقير من الأنواع التي تحدث (الهلوسة) ، وإن كان الكثير من هذه (**مثل عقار الكيتامين أو السيكلوهكسانون**) يحدث إحساسات تشبه إلى حد كبير التجارب التي يحكي عنها زبائنه .

٣ ـ فسيولوجية

وتقول إن انقطاع الدم عن المخ قد يسبب رد فعل من هذا العضو المعقد التكوين ، يهدف إلى استعادة الحياة والنشاط مما يحدث لدى المريض « **تهيؤات** » من النوع الموصوف .

رد المؤلف على هذا التفسير يكاد يدخل تحت عنوان (الهلوسة) هو نفسه ، فهو غير واضح وغير مترابط ، ويقتصر اعتراضه على القول بأن الكثير من الحالات مرت بالتجربة دون وجود إصابات بدنية جسيمة ؟ ما لنا ولهذا ؟

فيما نرى ، هذا التفسير من أكثرها احتمالا ومعقولية .

٤ ـ نيورولوجية

هناك نوع من (الهلوسة) يسمى « **أوتوسكوبيا** »[٥] ، ومعناها أن يرى الإنسان نفسه من بعيد ، قد يكون هذا هو ما يصفونه بأنه « **تجربة الخروج من الجسد** » ، تعليق المؤلف هنا هو أنه لا يرى سبباً يبرر حدوث تجربة أوتوسكوبية في هذه الحالات . . ومن الذي يرى سبباً لحدوث أي شيء آخر ، بنفس المنطق ؟

الذي يحدث هذا يحدث ذاك .

٥ ـ سيكولوجية

وهذه نوعان :

أ ـ **أبحاث العزلة**[٦] : وهي دراسة ما يحدث للإنسان عندما ينعزل لفترات طويلة عن بقية الكون ، كأن يقضي شهوراً في استكشاف منطقة قطبية ، بعض هؤلاء يرون مشاهد من حياتهم تحدث أمامهم ، يقول المؤلف : « **لا شك أن المرء قد يرى حالات بين بين ، يصعب فيها القول بما إذا كانت تنتمي لحالة منها : القرب من الموت ؟ أو أبحاث العزلة ؟** » .

ب ـ **الأحلام والهلوسة والهذيان** : يستبعد المؤلف ـ **مجرد استبعاد** ـ أن تكون هذه وراء تلك الظواهر ، فالحكايات متطابقة ، والأحلام لا تتطابق ، والأشخاص الذين استمع إليهم ليسوا مرضى نفسياً (**برغم ما مر بهم مما تشيب لهوله الولدان ؟**) .

هذه هي التفسيرات المحتملة ، وقد ذكرنا رأينا فيما تقدم ، وللقارئ أن يرى فيها ما يشاء .

الهوامش

(١) Near-death experience .

(٢) « The experience of dying » .

(٣) Solipsism ، Solo تعني « منفرد » ، وIpse تعني النفس ، فهي انفرادية النفس .

(٤) Parallels .

(٥) Autoscopia .

(٦) Isolation Research .





بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ . (صدق الله العظيم) .

(سورة الأنعام ، الآية ٣٨)

الأمومة عند الحيوان

بقلم
عبدالرحمن حريتاني

يضم عالم الحيوان ألواناً شتى من الحيوات المتنوعة والغريبة .. تملأ الكون المعمور أرضاً وفضاءً وماءً .. وتنتشر فوق كوكبنا الأرضي من القطب إلى القطب ومن الأغوار السحيقة إلى شاهق المرتفعات ومن الفضاء إلى أعمق أعماق المحيطات .

أسرار يزخر بها عالم الحيوان .. أشياء نسميها عجائب وغرائب وغرائز وحواس إضافية . وما هي بعجائب ولا بغرائب ولا بغرائز ولا بحواس إضافية .. وإنما هي أنماط سلوك لا تدرك لقضاء حاجات وآماد وآجال .



★ أنثى الفيل وصغارها ★ ★ قردة الغينون وصغارها ★ ★ العقاب وصغارها ★

المليون نوع وأكثر في عالم الحيوان تتوزع على سلم تصنيف يتدرج بدءً بالحيوانات وحيدة الخلية أصغر الكائنات الحية على الإطلاق ـ كالأميبا Ameba ـ وتنتهي بأرقى صنف الحيوان ـ الثدييات Mammals ـ التي يحكم رقيّها الإنسان كامل المخلوقات وسيّدها نوعاً وصفة . . ولحفظ النوع كان لا بد من استمرار عمليات التكاثر لإيجاد النسل الجديد الذي سيخلف النسل الذي يموت .

وميكانيكية التكاثر في الحيوان على نوعين :

(١) التكاثر اللاجنسي

أبسط عمليات التكاثر عند الحيوان تبدأ في أبسط أشكال الحيوان تركيباً وهي **الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة** Protoza ، حيث **يتم التكاثر بطريقة الانقسام** Fission بانشطار حيوان كالأميبا ، مثلاً ، بعد أن يكتمل نموّه إلى نصفين ينفصل الواحد منهما عن الآخر ، ويصبح حيواناً صغيراً مستقلاً يبدأ حياة جديدة حيث ينمو ويكبر ثم ينقسم وهكذا .

ثم نتدرج من البسيط إلى الأعقد لنصل إلى **الحيوانات كثيرة الخلايا** Metazoa التي تبدأ أنواعها البدائية الأولى تكاثرها **بطريقة التكاثر بالبرعمة** Budding أو **التبوغ** Sporulation ، حيث ينمو على أحد جوانب الحيوان برعم صغير لا يلبث أن ينفصل ليصير حيواناً جديداً مستقلاً يحيا حياة منفردة مستقلة ـ كالإسفنج ـ .

(٢) التكاثر الجنسي

وهو الذي يتم فيه تخصيب **البويضة الأنثوية** Ovum من قبل حيوان منوي مذكر sperm لتصير **بويضة ملقحة** Zygot تشكل جنيناً يبدأ رحلة الحياة .

وإرهاصات هذا التكاثر الجنسي تبدأ بالحيوانات التي تحمل صفات الذكورة والأنوثة معاً ـ خصي ومبيض ـ حيث تلقّح البويضة من قبل المنوي في ذات الحيوان . . ويظهر هذا في بعض أنواع الهيدرا وديدان الأرض والدودة الشريطية والدودة الكبدية . . وتتعقّد الأجهزة التناسلية من بعد كلما تدرجنا في سلم الرقي بالنسبة للحيوان .

وللتكاثر الجنسي شكلان :

أ ـ الإخصاب الداخلي . وفيه يتم تلقيح البويضة ونموّها لتصير جنيناً داخل جسم الأم .

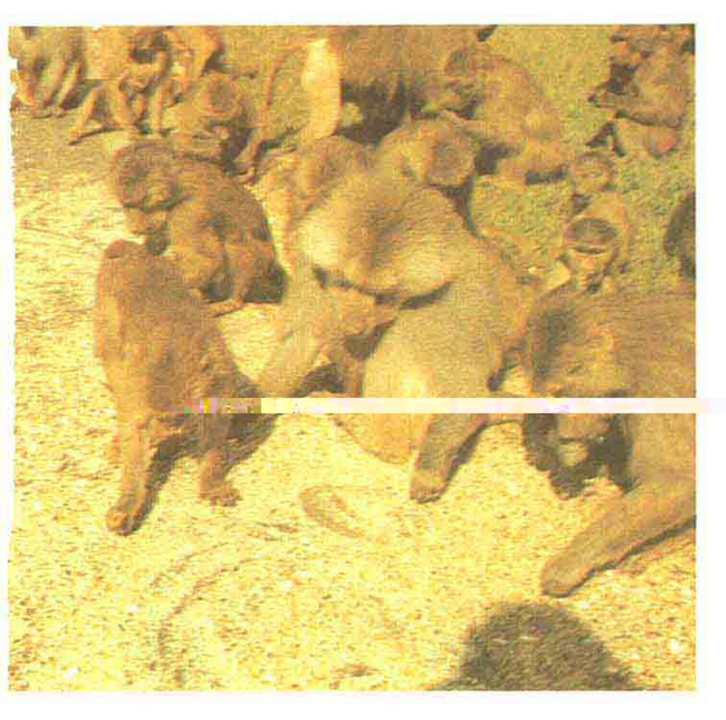
ب ـ الإخصاب الخارجي . وفيه تضع الأنثى البيض خارج الجسم ـ في الماء أو على اليابسة ـ ويصب الذكر السائل المنوي عليه لتخصيبه .

البيض في عالم الحيوان

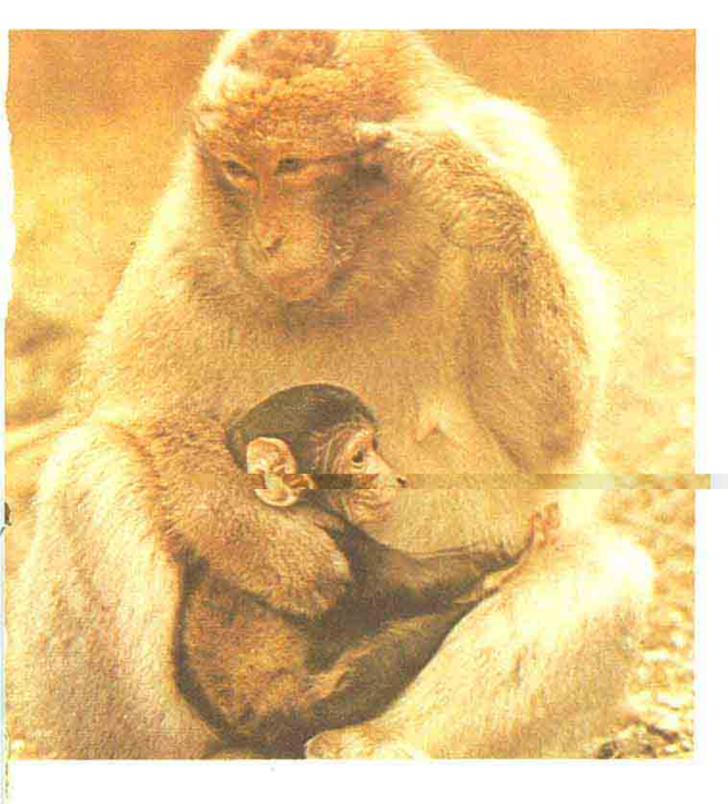
البيضة هي الخلية التناسلية الأنثوية في عالم الحيوان ، فمنها ينشأ الفرد الحيواني الجديد بعد تخصيبها من الحيوان المنوي المذكر .

وأكبر البيض في عالم الحيوان هو بيض الطيور الذي يحوي مواداً غذائية مركزة يتغذى بها الجنين أثناء نموّه داخل البيضة . . والبيضة كما نعلم جميعاً تتكون من قشرة صلبة ومح (صفار البيض) والزلال (بياض البيض) .

وحجم البيضة لا يلزم تناسبه مع حجم الحيوان كبراً أو صغراً ، فهناك بيض لأنواع من الطيور أكبر من بيض السلحفاة البحرية التي تزن



▲ ★ في الأعلى صورة قردة البابون وصغارها في حياة جماعية مشتركة . .
وفي الصورة السفلى قرد المكّاك وصغيره في حضنه ★ ▼





★ البطريق طير قطبي يحيا حياة جماعية ويرعى الذكر صغار الجميع ★

★ عائلة الكنغارو ــ من حيوانات ذات الجراب ــ ويرى صغيره في جرابه عند البطن ★

أكثر من (٢٠٠) كيلوغرام .. وبعض أنواع الحيوان لا يضع سوى بيضة واحدة ، وبعضه يضع البيض بالملايين (بعض أنواع السمك) .

الثدييات

جميع أنواع الثدييات إخصابها داخلي حيث يتم تكوين الجنين في رحم الأم ، فهي ولودة .. ونوعان فقط منها يضعان بيوضاً وهما : خلد الماء والأكينا .

بيض الرخويات

حيوانات لا فقارية تضع بيضاً غنياً بالمح يخرج على دفعات وفي فترات متقطعة ، ويتباين البيض في الرخويات شكلاً وحجماً ولوناً وعدداً ، ومن حيواناتها السبيدج والأخطبوط والقواقع والمحار .

بيض البرمائيات

منها حيوانات تلد ، ومنها من يضع بيضاً ، **فالضفادع** تضع بيضاً

متلاصقاً كأنه كتلة من الجلاتين ، **والعلاجيم** تضع أكثر من (٧٠٠٠) بيضة في كل دفعة يضمها شريطين – شريط لكل مبيض – . وبعض البرمائيات تلد صغاراً كأنثى السلمندر الأوروبي التي تضع أكثر من (٥٠) صغيراً .

بيض الزواحف

بيض الزواحف يكون عموماً أكثر عدداً من بيض الطيور ويخرج على دفعات وفي فترات قد تمتد لشهرين كاملين ، وله قشرة جلدية متينة تحفظه في الظروف القاسية ، والسحالي معظمها يضع بيوضاً تدفنه في حفر أو في الرمال في المناطق المهجورة ، ومنها من يحتفظ به داخل الجسم فإذا أوشك على الفقس أخرجه ليفقّس في الحال ، ومنها من يفقّس بيضه في قناة البيض داخل الجسم . والثعابين معظمها يضع بيوضاً وإن كانت بعض الأنواع كالثعابين البحرية تلد ، والأصلات أكبر أنواع الثعابين تضع أكثر من (١٠٠) بيضة .

بيض الحشرات

تضع الحشرات البيض على الأرض أو في الماء أو على أوراق الشجر على شكل لطع ، وهو ملون ومحلّى بنقوش جميلة كبيض الفراش وأبو دقيق . . وبعضها يفقّس عن يرقات ستصير عذراوات ثم حشرات كاملة ، وبعضها كبرغوث الماء يضع بيضاً صيفياً وبيضاً شتوياً يختلف عن بعضه حجماً ولوناً وصفة .

بيض الأسماك

أغزر الحيوان بيضاً السمك ، يضعه في المياه الحلوة أو المالحة ، من النوع الخفيف الذي يطفو على سطح المياه ومنه الثقيل الذي يهبط للقاع ويستقر عليه . . **وبعض أنواع السمك يلد** . وبيض السمك إما أن يكون بشكل إفرادي ، أو على شكل كتل ضخمة متماسكة أو على شكل أشرطة . . ويعد بالملايين أو بالآلاف . . فسمك الكافيار مثلاً ، يضع أكثر من (٧) ملايين بيضة ، وسمك الممشوق يضع أكثر من (٢٨) مليون بيضة .

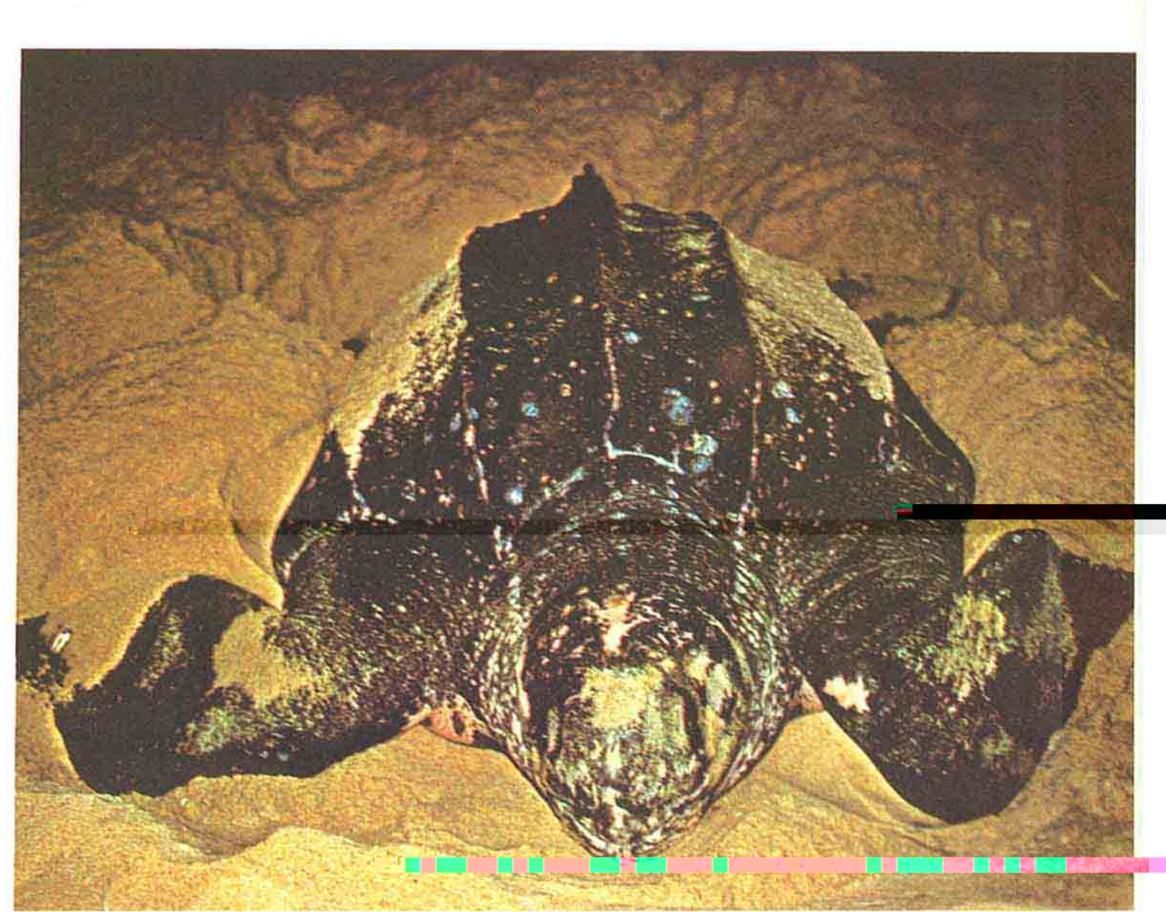
بيض الطيور

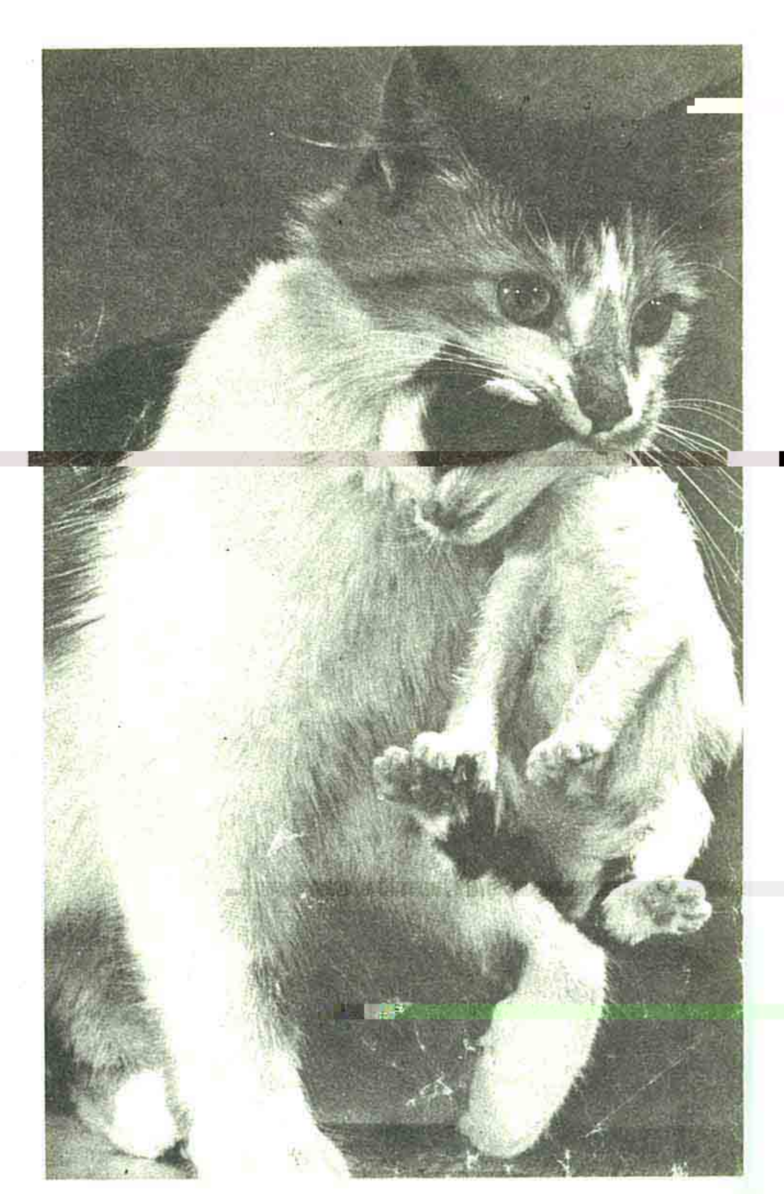
بيض الطيور محمي بقشرة صلبة ولا يفقّس إلا بعد حضانة من أحد الوالدين ، وإن شذ عن هذه القاعدة بعض أنواع الطير كدجاجة مالي مثلاً – سيأتي شرح لها – . وأشكال بيض الطير منوّع فمنه الكروي والأسطواني والكمثري والإهليلجي والمخروطي . . كما أنه مختلف الألوان والنقش . . **وعدد البيض الذي يضعه كل طائر يختلف نوعاً وكماً** ، فطير **النعامة** مثلاً تضع أنثاه من (١٢ – ١٦) بيضة ، وأنثى **طير الحباري** تضع من (١٢ – ٢٠) بيضة ، وطير **القطقاط** تضع أنثاه (٤) بيضات ، وطير **الحمام أو النورس** تضع أنثاه بيضتين فقط . . بينما طير **أبو مركوب والبطريق** لا تضع أنثاه إلا بيضة واحدة . . وعموماً فإن أنثى الطير لا تضع بيضاً أكثر مما يمكن أن يغطيه جسمها . . وأصغر أنواع البيض بيض الطير الطنّان وأكبره بيض النعامة .



★ بيض السلحفاة البحرية التي تزن أكثر من (٢٠٠) كيلوغرام –

وعلى اليمين صورة فريدة لسلحفاة بحرية تضع بيضها في الرمل بعيداً عن العيون ★





★ قطة تمسك بصغيرها من رقبته بفمها لتبعده عما يُراقب ، ولتعود به إلى مأمنه ★

دور الحضانة والنمو

ينمو الجنين بعد أن يتغذى بمح وزلال البيضة ، وتضعف قشرة البيضة لأن المادة الجيرية التي بها تمتصها عظام الجنين النامي مما يسهل عملية كسرها من قبل (الصوص) بواسطة بروز صغير موجود على قمة الفك العلوي . . ويتنفس (الصوص) قبل يوم أو يومين من خروجه من البيضة مستعملاً الأكسجين اللازم لعملية التنفّس من الغرفة الهوائية في البيضة ومن خلال مسام القشرة .

ودور الحضانة يختلف من طير إلى طير ويمتد من أيام ــ (١١) يوماً عند طيور الأغصان ــ إلى أشهر ــ (٨٥) يوماً عند طير الكيوي والبطروس ومن (٣ ــ ٦) أشهر عند دجاج مالي ــ . . ومن الطير من يهمل بيضه ولا يحضنه ومنه من يتطفّل على غيره ــ (٨٠) نوعاً ــ ويضع بيضه في أعشاش طيور أخرى . . **وجميع أنواع الطير تنتف ريشها في منطقة البطن عند اقتراب موعد الحضن** وتعرّي هذه المنطقة إلا من الأوعية الدموية التي سترفع حرارة الجلد ، وتسمى هذه المناطق ببقع الحضانة . . وكما أسلفنا فإن من الطير من يشذ ولا يحضن بل يضع بيضه في حفر رملية كبيرة بها أغصان وروث متعفن يولد حرارة كافية للتفقيس كما في دجاج مالي ، ومنه من يضع بيضه في الرماد البركاني الحار أو قرب النافورات الساخنة أو شقوق البخار . . ويقلّب الطير بيضه دورياً كل (١٢) ساعة أو يضبطه على البقع الحاضنة بالتناوب .

وفي **طيور الأغصان** تكون الحضانة على الأنثى ، أما في **طيور البلشون وزمّار الرمل والنعامة وخطاف البحر والبطريق** فيتناوب العمل الذكور والإناث ، وتقام عند الاستلام والتسليم احتفالات وطقوس راقصة . . وللطير رغم عذابه في عملية الحضن متعة فمنها من لا يسوم من البلشون عند انتهاء دوره إلا بالطرح والدفع .

والصغار إما تخرج من البيض كاملة النمو تجري وراء أبويها وتتغذّى وتنقر وتدافع عن نفسها من فورها كطير الكيلدير ، وبالتالي فإن فترة نموّها قصيرة ، وإما أن تكون ناقصة النمو عاجزة ضعيفة بلا ريش وبإمكانات محدودة لا تتجاوز فتح الفم والتبرّز ، وهذه تكون فترة نموها طويلة كطير البلشون والصقر والبوم .

وغذاء الصغار عموماً مكوّن من يرقات ودود وحشرات وبذور وثمار . . ومن الطير من يضع هذا الغذاء المنوّع في فم صغاره مباشرة ، ومنه من يمضغها مضغاً جزئياً ويضعها في حوصلته فتمد الصغار مناقيرها لداخل الحوصلة وتتغذى بها .

وبعض الطير لا يبدأ الحضن إلا إذا اكتمل عدد الحضنة فتنمو صغاره بعمر واحد ، وبعضه يبدأ الحضن من اليوم الأول لوضع البيض فيفقّس بيضه بالتالي على فترات ، ويكون فيها الكبير والصغير وقد يقتل الكبير الصغير أحياناً . . ومدة كمال النمو والنضج للصغار عند الطيور المغرّدة والبط سنة كاملة ، وعند نورس الرنجة ثلاث سنوات تقريباً ، والنسور من (٤ ــ ٥) سنوات ، والبطروس ــ من طيور البحر الكبيرة ــ أكثر من ذلك . . وإلى أن تنمو الصغار قد يروح الطير ويجيء أكثر من (٩٠٠) رحلة عمل يومياً لجلب الغذاء . . ولكن الطيور الجوارح الكبيرة كالنسر تكتفي برحلتين أو ثلاث رحلات يومياً وتجيء بفريسة كبيرة تكفي لمؤونة طويلة .

بناء الأعشاش في عالم الطير

وحدها الطيور تشيّد الأعشاش المبنية والمتقنة الصنع لتضع فيها بيوضها ، وقد بلغت في هذا ذروة الكمال ــ وقلة قليلة من غير الطير يصنع أعشاشاً كالزنابير ــ والأعشاش على أنواع مختلفة وبطرز عديدة ، ويُستعمل في بنائها مواد منوّعة ، ولا يشابه عش طير عش طير آخر حتى أنّ عالم الحيوان يميّز نوع الطير من شكل العش أو من حجمه وتركيبه ومكانه أو من الخامات المستعملة فيه . . ولكل طير في بناء عشه طقوس وعادات خاصة مميّزة .

وتتراوح هياكل أعشاش الطيور وبنيانها من لا شيء على الإطلاق كطير السبد الذي يضع بيوضه على الأرض العارية إلى نماذج في منتهى

الروعة والجمال والإتقان ودقة الصنع . . **فطير الجلموت** مثلاً ، يضع بيضه على السطوح العارية للصخور الداخلة في البحر ، وشكلها الكمثري يحميها من الانزلاق والتدحرج ، **وطير خطاف** البحر يضع بيضه على الرمل أو في حفر ، وطير الزقزاق يضع بيضه المشابه للحصى بين الحصى .

ولكن معظم الطيور تبني أعشاشاً على الأشجار أو الشجيرات منها ما هو بسيط لا كلفة فيه ولا صنعة كعش **حمام البيجون** الذي يتكون من بضعة أغصان أو عصي يُرى البيض من قاعه ، ومنها ما هو متقن الحبك والصنعة ، وقوي البنيان كأعشاش طيور **الرخ والغربان** التي تصنع أعشاشها على قمم الأشجار الباسقة من مواد بناء قوية تستخدم فيها العصي وتبطنها بالحشائش والجذور الدقيقة والصمغ أو الملاط . . ويعود الطير ويستعمل هذا العش كل عام بعد أن يصلّحه ويبطّنه عند مقدم الربيع .

وأدق وأجمل الأعشاش ، أعشاش الطيور الصغيرة التي تبنيها فوق الأشجار والشجيرات المنخفضة على شكل فنجان كأعشاش **طيور الدج والسمان والطنّان** حيث يتعرض البيض فيها لأشعة الشمس إذا لم تحضنه الأم .

وأجمل وأزهى الأعشاش تصنعها طيور السكسكة وطيور القرقف طويل الذنب التي تبني أعشاشاً لها قباباً ككرة بها ثقب جانبي وتبطّنها من الداخل بالريش . . **وأذكى من بنى عشاً طير الخياط الأحمر الرأس** الذي يصنع من ورقتي شجر كبيرتين نوعاً ما عشاً بعد أن يصنع ثقوباً على حواف الورق بمنقاره ثم يحيك بخيوط الألياف النباتية الثقوب ويربطها ببعض ، فتتحول الورقتان إلى عش مدلى كالفنجان .

وبعض الطيور كسالى كطير الزرزور والقرقف وأبو الحناء تضع بيوضها في صناديق جاهزة أو في مواسير المياه أو في أية آنية ملقاة على الأرض ، **وطيور عصافير الجنة وخطاف المنزل** تلصق أعشاشها الطينية على حيطان المنازل ، **وطير كسار البندق** يبني عشه في ثقوب الشجر ويسد مدخله بالطين ويبقي ممراً لدخوله وخروجه . وطيور البطريق ـ البنجوين ـ تتكاثر على الأرض وتضع أنثاه بيضة واحدة يحضنها الذكر بطريقة عجيبة إذ يضعها على قمة قدمه ، ويتقوّس بجسمه ليلامسها ببطنه حيث الجلد الحار والريش ويظل على هذا الحال شهرين كاملين ، ويفقد من وزنه عشرة كيلوغرامات بسبب هذا الجهد المضني .

أما الأعشاش المعلّقة فيقوم ببنائها **البلشون وطير بايا الناسج** لحماية صغارها من القردة والثعابين . . وأعشاش تبنيها طيور الماء وطير الغوّاص على رموث طافية فوق سطح الماء .

ولا يخلو الأمر من أنانية مضحكة . . فطير **الكوكو** المتطفل ـ ومعه أنواع أخرى ـ يضع بيضه في أعشاش طيور أخرى في غفلة عن أصحابها ، وغالباً يكون الضحية **طير الشوك الصغير** المسكين الذي يحضن البيض ويرعى الصغار ويغذّيها حتى تصبح أكبر منه بكثير . . وعندما يكبر فرخ الكوكو فإن أول عمل يقوم به جزاء الإحسان أن يرفس بيوض طير الشوك المسكين أو فراخه ويلقيها خارج العش . . وفي حادثة لنوع من البط المتطفّل أنّ (١٣) بطة وضعت بيوضها خلسة في عش طير واحد وكان المجموع (٨٣) بيضة .

وأصغر عش في عالم الطير عش الطيور الطنّانة التي لا يتجاوز قطرها (٢,٥) سم ، وأكبر عش قطره من (٢,٥ ـ ٣,٥) أمتار وزنته طن وهو للنسور . . إضافة لعش الدجاجة الأسترالية الغربية الرملي الذي يبلغ اتساعه (١٥) متراً وارتفاعه (٦) أمتار تقريباً . . ويستغرق بناء العش من ثلاثة أيام إلى أسبوعين ، وفي بعض الأنواع نحو شهر كامل .

الأمومة ورعاية الصغار

يرعى الحيوان صغاره بأساليب كثيرة ومنوّعة فيها الشيء الكثير من الحنان والجهد والتضحية التي قد تصل لحد إزهاق الروح في سبيل الحفاظ عليها . . وأكثر ما تظهر هذه الرعاية في **الفقاريات** Vertebrate عامة **والثدييات** Mammals خاصة وقليل من الحشرات . . وإن كان القليل من نوع الحيوان لا يهتم بصغاره بتاتاً كالسمك .

فالإسفنج ـ من شعبة الحيوانات المسامية ـ يتكاثر تكاثراً لا جنسياً ، فيفرز الإسفنج الذكر المنويات في الماء ، فتلتقطها الأنثى وتقوم بإخصاب البويضات التي تتحول إلى يرقات تترك الإسفنج الأم وتتثبّت



▲ ★ عجل البقر ينزل من بطن أمه ساعياً على قدميه ★

★ البقر والصغار ترضع من الأثداء ★ ◄

على صخرة لتنمو كإسفنج كامل مستقل .

ومن الحيوان من يلد صغاراً عاجزة عمياء كآكلات اللحوم — الأسد . النمر . الدب . القط — تعتمد كلياً على رعاية الوالدين ، **فاللبؤة** ترعى **الأشبال** حتى لما بعد الفطام ، وأيضاً **أنثى الفيل** ترعى صغيرها إلى سن الفطام في الثالثة أو الرابعة من عمره . . ومن الحيوان من يلد صغاراً تمشي لساعتها كذوات الحافر والظفر — الجاموس والغزال — فينزل من بطن أمه ساعياً على قدميه . . والأنثى عموماً هي التي ترعى الصغار ، ويشارك الذكر في بعض أنواع الحيوان الأنثى في الرعاية كالذئاب والثعالب وابن آوى والكلب الإفريقي .

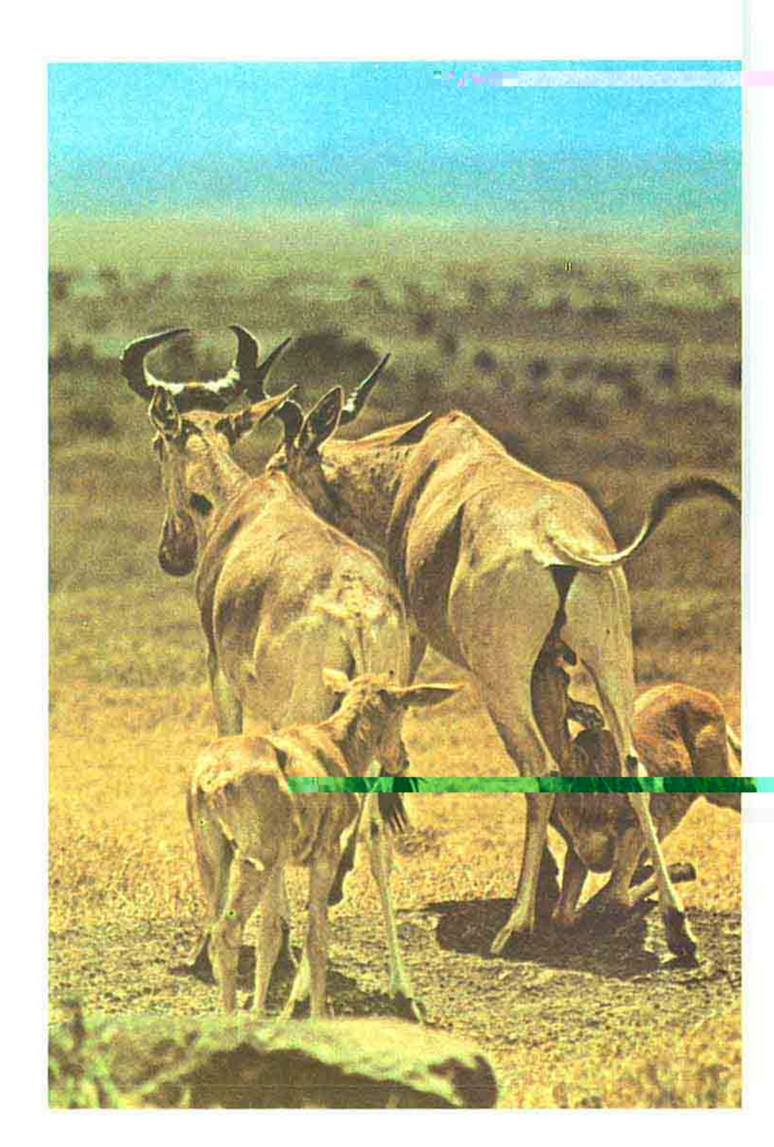
والزواحف عموماً تضع بيوضاً عدا بعض الثعابين والسحالي التي تلد التي تلد . . **والتمساح** هو الزاحف الوحيد الذي تضع أنثاه بيضها في حفرة في جوف الطين وتغطيها ، والتمساح الأميريكي تضع أنثاه من (٢٠ ـ ٨٠) بيضة في وكر من القش والأغصان ، ويفقّس البيض من جراء تحلل الأعواد ، وتخرج الصغار فتحملها الأم بين فكيها في جراب خاص على طول الشدق السفلي ثم تفلتها في المياه . . وكذلك تفعل أنثى تمساح النيل . . وثعبان البيثون تكوّم جسمها في لفّات حول البيض لتمنحه الحرارة وتبعده عن الأنظار . . أما بقية **السلاحف والسحالي والثعابين** فتخرج صغارها من فورها ساعية إلى رزقها ، ولا تطعم الأمهات هذه الصغار ، والبعض منها لا يرى صغاره إذ يتركه بيضاً في مكان مهجور كالسلحفاة البحرية .

والقوارض هي أقصر ذوات الثدي حملاً . . **فالفئران والجرذان** مدة حملها (٢١) يوماً ، وتلد صغاراً عمياً مرط لا شعر لهم ، أما **الأرانب الهندية** فتحمل الجنين نحو (٧٠) يوماً وبعد يوم واحد من وضعها تعدو خلف أمها ، **والقندس** يعيش مع زوجة واحدة طيلة عمره ويشاركه (٦ — ١٢) ولداً يتعاونون جميعاً في بناء السدود الكبيرة المشهورين بها ، **والشيهم** —حيوان كالقنفذ — يلد صغاره مفتّحة العيون يظهر شوكها بعد عدة أيام .

والحيوانات البرمائية — **الضفادع . العلاجم . السمندل** — تضع بيضها وتهمله ولا يفقّس منه إلا القليل . . أما الحيوانات ذات الجراب **كالكنغر والأبوسوم وقنفذ النمل** فمدة حملها (٤٠) يوماً وتضع أجنّتها التي لم تكتمل في جراب عند بطنها حيث تحضنها إلى أن يكتمل نموّها . . وفي العنكبيات نجد **العنكبوت** من أشفق الحيوانات على صغارها ، فهي تحمل بيضها في حقيبة من الحرير المنسوج ، فإذا جاء موعد تفقيس البيوض مزّقت الحقيبة ثم أحاطتها بخيوطها وظلت تحرسها إلى أن تسعى . وكذلك **العقارب** وهي من نفس الطائفة مدة حملها من (١٠٠ — ٣٥٠) يوماً وتضع من (٣ — ١٠٠) عقرب صغير وتحملها جميعاً على ظهرها إلى أن تقدر على السعي . وكذلك **الخفاش** فأنثاه شديدة الرعاية والحنان على صغارها فهي تضم أجنحتها عليها وتطير بها عند الشك بأي عارض قد يؤذيها .

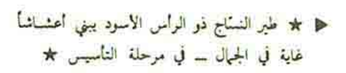
وبعض الحشرات عنده من الأمومة ما يوازي الثدييات ، فمنها من تغطي صغارها بجسمها ، ومنها من تحملها حول أعناقها أو تلمّها حولها . . ومنظر جميل أن ترى حشرة تقود صغارها وهي تنتقل من ورقة نبات إلى أخرى وتجمّعها بقرون استشعارها وتنهرها عن أي شرود . . فأنثى البق المائي مثلاً ، ترقد على الشاطئ تحت الأحجار ، وتلتف حولها الحوريات الصغار على شكل دائرة متجهات برؤوسهم جميعاً نحوها ، وعندما يتحرك الحجر لأمر ما فإن الأم تهرع إلى الصغار وتربت عليها بقرون استشعارها برفق ثم تنطلق وإياهم إلى الناحية الثانية للحجر . . وأنثى **صرصور الحقل** تحفر جحراً تحت الأرض تضع فيه بيضها ، وبعد التفقيس وتحولهم إلى يرقات تلقّهم حولها وتحملهم بين أجزاء فمها وتغذيهم بفتات الحشائش الغضّة ، وإذا ما حاول أحد الاقتراب منهم تبدي شراسة وتهاجم حتى الآباء . . وبعض أنواع **البق والصرصور** الجعّار الآسيوي يساهم الأب في حراسة البيض ورعايته حتى يفقّس . . وزيز الحصاد أغرب أنواع الحشرات تدفن بيضها في فنن من أفنان الشجر حيث يفقس عن يرقات تسقط على الأرض وتظل على هذا الحال مدة (١٧) سنة كاملة حتى تنشق اليرقة وتخرج حشرة بجناحين مستعدة للطيران تبق بعدها بضعة أسابيع للتناسل لتضع جيلاً جديداً من اليرقات ليبقى في الظلمات (١٧) عاماً . . وهكذا .

وبعكسها نجد أسرع الحشرات نمواً **حشرة الخنفساء** المسمّاة بالمحرقة ، فبعد أن تفقس البيوض عن يرقات تتسلق جذوع الأشجار وتصل إلى

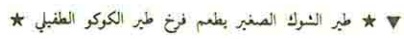




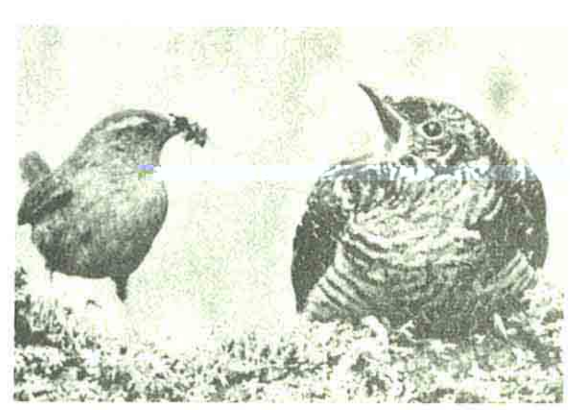
▲ ★ في الأعلى عش معلّق لطير صُغْراية وهو يطعم فراخه ★



▶ ★ طير النسّاج ذو الرأس الأسود يبني أعشاشاً غاية في الجمال ـ في مرحلة التأسيس ★



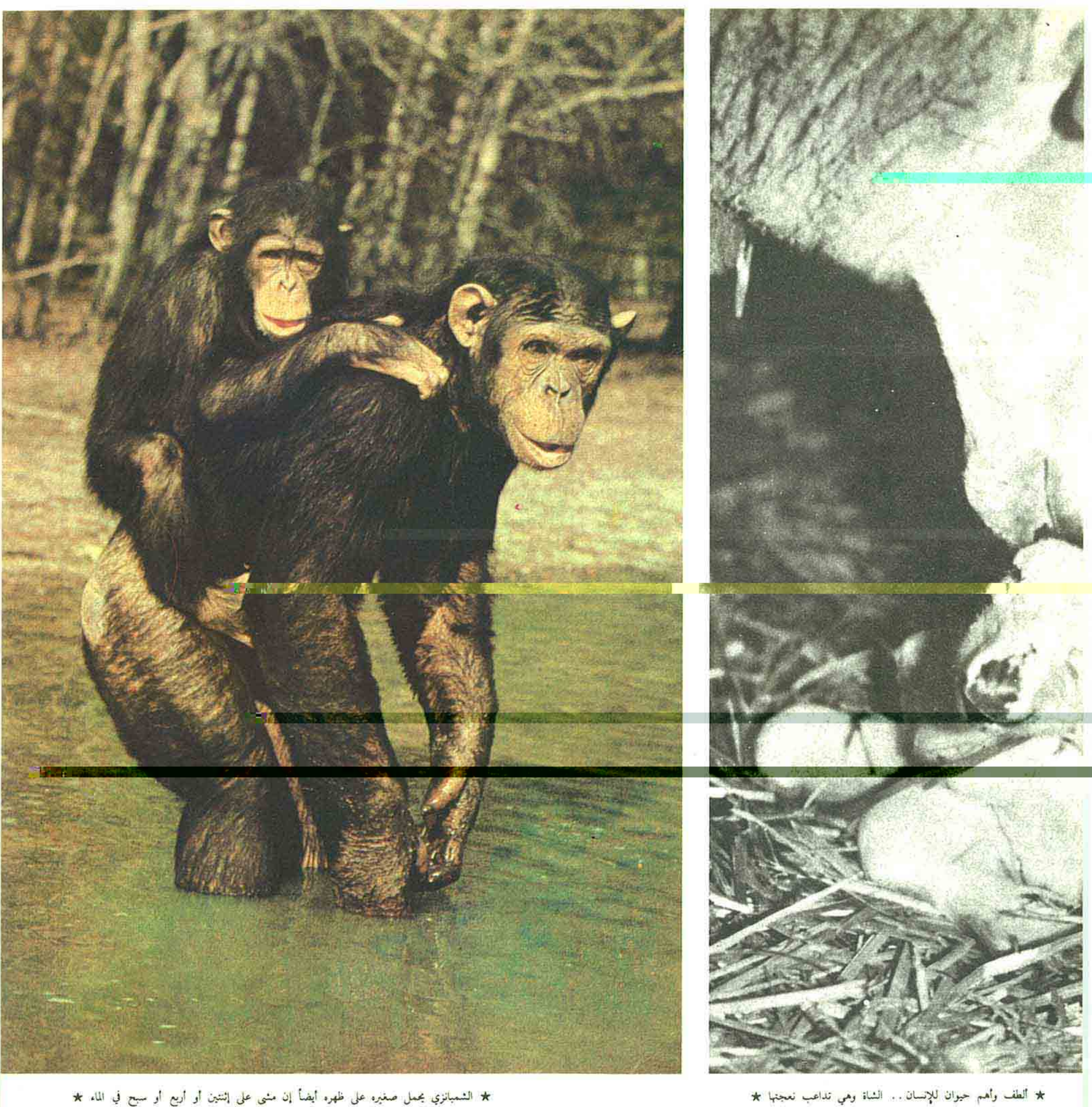
▼ ★ طير الشوك الصغير يطعم فرخ طير الكوكو الطفيلي ★





الزهر وتكمن هناك بانتظار **النحل** الذي سينقلها إلى ما تحب وتشتهي ـ فهي لا تتمتّع إلا بأكل بيض النحل ـ وعند قدوم النحل تمتطي ظهوره دون أن يشعر وترجع معه في رحلة العودة إلى الخلية حيث تحط رحالها وتتنعّم بالبيض اللذيذ وتتحول وهي في الخلية إلى عذراء ثم حشرة تسعى .. **والدبابير الحفّارة** تربّي صغارها في حفرة بعد تفقيس البيض .. ولكن قبل أن تضع البيض تذهب للبحث عن يرقات الحشرات ، ومتى وجدتها لسعتها بشكل يشل حركتها ولا يقتلها ، ثم تسحبها إلى الجحر وتضعها فيه وتبيض بيضة فوق كل يرقة مشلولة ، وبعد ذلك تسد الجحر بالطين وتمضي .. ويفقس البيض وتخرج اليرقات لتجد غذاءها جاهزاً .. وبقية الحشرات تضع بيوضها على النبات الذي يغذي يرقاتها حتى تتحول إلى حشرات كاملة .

والأسماك لا يبدو مطلقاً اهتمامه بصغارها عدا بعض الأنواع الكبيرة **كسمك القرش والراي والدلفين والحوت** التي ترعى صغارها وتظل تسبح بجانبها إلى سن الخامسة تقريباً .



★ ألطف وأهم حيوان للإنسان .. الشاة وهي تداعب نعجتها ★

★ الشمبانزي يحمل صغيره على ظهره أيضاً إن مشى على إثنتين أو أربع أو سبح في الماء ★

فالسمك تضع أنثاه البيض بالآلاف أو بالملايين فإما أن يطفو على سطح الماء أو يهبط للقاع حسب ثقله ، ويقوم الذكر بإفراز الحيوانات المنوية عليه لتخصيبه . وبعد التخصيب يطفو على سطح الماء لتفقّس البيوض عن أجنة صغار تستكمل نموّها . ونسبة إخصاب البيض واحد بالمليون تقريباً .

وبعض أنواع السمك يرعى صغاره **كسمك السالمون** والتراوت التي تتكاثر في مياه سريعة التيّار ، فتخفي بيوضها في الطمي في أعماق دغل من الأعشاب أو بين الحصى .. وكذلك الأسماك الفضية التي تضع بيوضها على سواحل **كاليفورنيا** عند ارتفاع المدّ في الربيع ومقدم الصيف .. ويظل البيض مدفوناً في الرمال حتى المد التالي الذي يخرجه إلى البحر حيث يفقّس .. وبعض أنواع السمك يحتفظ الذكر في فمه بالبيض المخصّب حتى يفقس ، ويظل في فمه لمدة شهر كامل ، ويسهر عليه لمدة أسبوعين آخرين .. وطوال هذه المدة لا يأكل الطعام .. وبعض أنواع السمك طفيلي كبعض أنواع الطيور ، وسمك الفظ الأوروبي يضع

بيوضه داخل المحار حتى يفقس . . ولا يخلو من مخالفة بيولوجية في نوع **سمك أبو زمّارة** الذي يعيش في مياه **السويد** حيث إن الذكر هو الذي يحضن البيض في كيس معدي .

أما الطيور فتشارك أكثر الذكور في عملية الحضانة ورعاية الصغار . . فذكر **النعامة** مثلاً ، يرقد على البيض في الليل ، والأنثى ترقد عليه في النهار ، وكذلك **ذكر الحجل** الذي يحضن بيضه لمدة (٦٥) يوماً ويرعى الصغار بعد التفقيس ، **وطير بوقير** تدخل أنثاه في نقرة شجرة وتضع بيضها فيأتي الذكر ويطلي النقرة بالطين ولا يدع إلا كوّة ضيّقة تكاد لا ترى ، تتسع لعنق أنثاه الحبيسة ليدخل منها الغذاء لها إلى أن يفقس البيض .

وأنثى **البطريق** تحمل بيضتها على قوائمها ، وإذا أرادت أن تذهب لتلتمس قوتها عهدت بها إلى الذكر ، وبعد الفقس وخروج الصغير يظل في نفس الوضعية ، وتتناوب الأنثى والذكر حراسته ، والبطريق يستميت في سبيل رعاية الصغير وأحياناً يقوم الذكر الواحد برعاية عشرات الصغار وترى المنظر وكأنه مدرسة حضانة .

وأقصر حضانة عند طير أبو الحناء الذي يحضن بيضه لمدة (١٤) يوماً ليطير بعد (١٤) يوماً أخرى ، ويبلغ تمام نموّه بعد أيام . . ولا ننسى نوعاً من الطير يضع بيوضه على الأرض كالبط وقانص المحار والقطا والقطقاط المطوّق ، وهذا عنده بعض المكر ، فهو عندما يحس باقتراب الخطر على صغاره يجري على الأرض وهو يجر جناحه المتدلي متصنّعاً الإصابة بعيداً عن العش ، وإلى أن يقطع مسافة يشعر فيها أن عشه صار في أمان يرفرف بجناحيه وينطلق هارباً .

والقردة بجميع أنواعها تعتني بصغارها عناية فائقة ولها عواطف كعواطف الإنسان . . **والغوريلا** حيوان مسالم هادئ خجول يعيش حياة أسرية كاملة مكوّنة من زوجة أو أكثر وبعض الصغار . . وكذا بقية القردة تعيش حياة اجتماعية ، تصيح وتتألم إذا اعتل أو جرح أحد صغارها ، وأكثر ما يظهر هذا في قرد الجيبون والبابون .

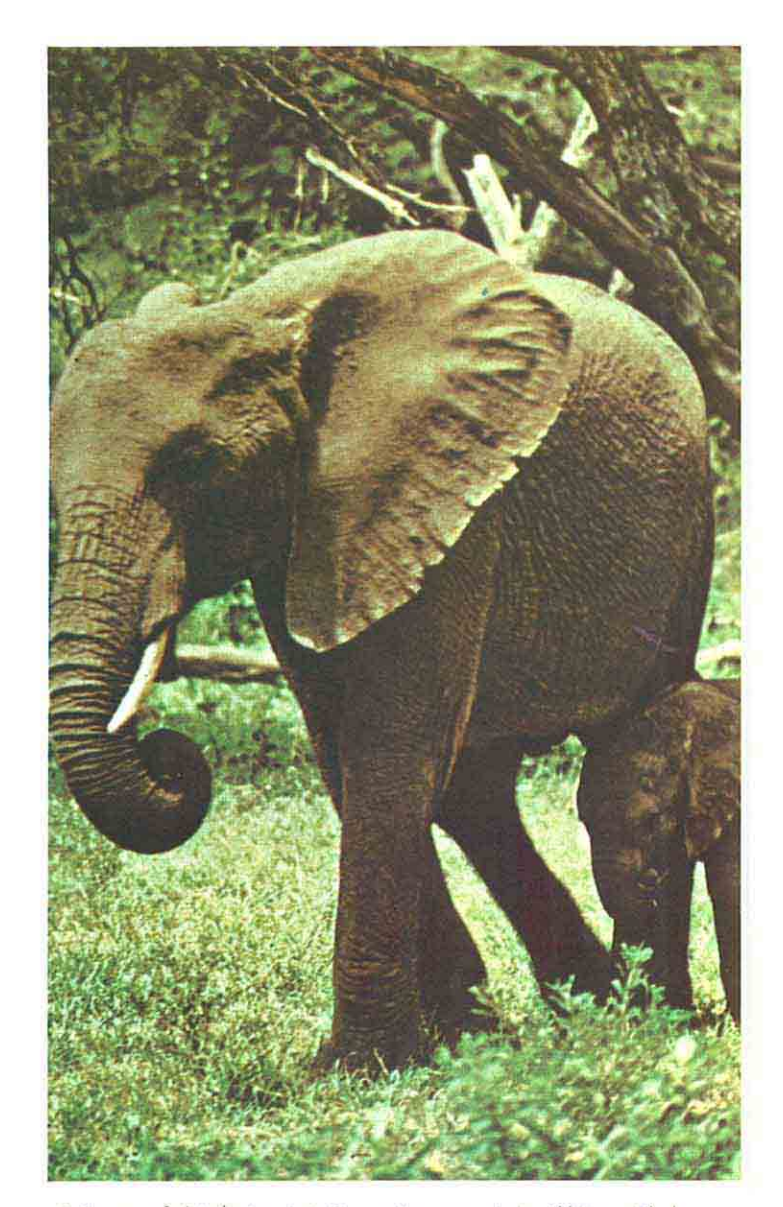
كيف تحمل الحيوانات صغارها ؟

حجم الحيوان ليس بالضرورة أن يكون له قدر يتناسب مع وليده . . فأنثى **عجل البحر** لا تزن أكثر من (٥٠) كيلوغراماً وتضع جنيناً وزنه (١٠) كغ ، بينما **أنثى القنفر** ــ وهي أضخم منها ــ تضع جنيناً في جراب **كالكنغر** طوله لا يتجاوز السنتيمترات ووزنه ١/٣٠٠٠ من وزن أمه ، **وأنثى الأبسوم** الأميركي من ذوات الجراب تضع (١٢) صغيراً يسعون جميعاً في ملعقة شاي صغيرة ، **والشيهم الكندي** من القوارض يضع مولوداً أكبر حجماً من صغار الدب ، ووزن الشيهم يساوي ١/٤٠ من وزن الدب . . **ولكن كيف يحمل الحيوان صغاره وقوائمه مشغولة ؟** .

الكلب يحمل صغاره بفمه ويلتقطها من الجنب الأيسر ، والقط أيضاً يحملها بفمه ولكن من قفا العنق ، والفأر تلتقطها من جانب الأذن . . وأنثى الدب تدخل رأس صغيرها كله في فمها الواسع الكبير ، **وأنثى السنجاب** تلتقطه بفمها من بطنه ، **وأنثى التمساح** تأخذ صغارها جميعاً في فمها حتى ليظهر أنها تأكلهم ، وأنثى دب الكوالا تحمل صغيرها على

★ بيض السمك الثقيل على شكل أشرطة يهبط للقاع ويعد بالآلاف والملايين ★





★ الفيل حيوان لطيف واجتماعي ويرعى صغاره .. وإذا ما وقع صغير في شرك تجتمع جميع الفيلة وتعمل على إنقاذه وقد تحطم كل ما حولها إكراماً لخاطره ★

ظهرها وهي تتسلق الأشجار . **والقضاعة** ـ كلبة بحر ـ تسبح على ظهرها وتضع صغيرها على بطنها ، وكذلك يفعل ثعلب الماء ، **والخفاش** تحمل صغيرها وتطير به بعد أن يلتصق بفرائها بأسنانه ، والعقرب تحمل صغارها جميعاً على ظهرها ، والكنغر تحمل صغيرها في جراب عند بطنها ، وجميع القردة تحمل صغارها عند التنقل على ظهرها ووقت الراحة تحملها بين يديها وكذلك يفعل آكل النمل والأبوسوم . أما الطيور والحيوانات الكبيرة فتسير صغارها بجانبها وبعض الطيور السباحة كالأوز العراقي تحمل صغارها على ظهرها وتسبح بهم .

التدريب على اكتساب المهارات الفردية

صغار الحيوان تبدأ حياتها باللعب لوحدها أو مع أقرانها كتصريف للطاقة وتمرين لمستقبل الأيام .. فصغار **القطط** مثلاً وجراء الكلاب وأشبال الأسد ودياسم الدببة تتسم بالفضول وحب الاستطلاع ، وبهذا الفضول والممارسة تكتسب قدرات وتنمّي ملكات تتبّع الرائحة واقتفاء أثر الفريسة إضافة لمساعدتها على اتقان المشي والجري والقفز والتسلق والعراك والصيد وكلما ازداد المران ازدادت المهارات المكتسبة نضوجاً واكتمالا .

والتركيب العضوي والوظيفي ينمو بالتلازم بعد الولادة ، واللعب يكمّل عملية النمو والنضج وهو بداية لأفعال تكملة الغرائز .. وألعاب الحيوان عموماً بدايات تمرين على ملكاتها المستقبلية ، فالقطة مثلاً تضرب أمامها كرة صغيرة ضرباً خفيفاً وتدحرجها وتنقض عليها وتحملها بفمها وكأنه تمرين لما ستفعله بفأر مستقبلاً .. والجرو يمسك بأسنانه قطعة خرق ويمزّقها إرباً وكأنه يمزّق قطعة لحم ، والجدي يبدأ بنطح جدي آخر حتى قبل أن تنمو له قرون ، والحمل يثب وينط ويحجل ، وشبل الأسد يناوش ويعارك ، والمهر يمرج حول أمه ، وهجرس الثعلب يحتال ويناور ، وصغار الحيوانات المائية تتشقلب في الماء وتغوص .

والأمهات حين تلحظ نمو صغارها تبدأ بإكسابها وتنمية مهاراتها .. فالقطة مثلاً تأتي لصغارها بفأر نصف ميت وتضعه أمامها ليتمرنوا به ، والقاقوم يأتي بفريسة جريحة ، والفهد يأتي لهم بظبي صغير ، والثعلب الماكر يخفي بعض الطعام قرب وكره ثم يعلم صغاره كيف تمكر وتتحايل لتحصل عليه ، وابن عرس يعلّم صغاره كيفية رفع الأحجار من مواضعها لتبحث تحتها عن سراطين البحر .

وصغار الحيوانات آكلة اللحوم يتعين عليها أن تتقن الصيد سريعاً ولذا تخرج مع أبويها في رحلات صيد وقنص وتقف بعيداً تتفرج على معركة حية ثم تقترب لتتناول الطعام . وأنثى الدب تأخذ صغارها إلى شاطئ النهر لتعلّمها صيد سمك السالمون وإذا ما أخطأ الصغير في تصرف تزأر في وجهه لتعلمه الحيطة والحذر . وأحياناً تذهب الدببة والصغار في رحلات تعليمية جماعية في مكان مشترك لتعلّم صيد السمك وتعقّب مصادر العسل ، والفيل يرافق أمه حتى سن متقدمة .

والطيور تقوم صغارها بحركات طيران وهي ما تزال في أعشاشها في بدائية وعدم اتقان ، ثم يمرنها الآباء على الطيران بإلقائها من علو لداخل العش .. فطير **البجع** مثلاً يعلم صغيره الطيران بشكل جيد لأنه سيطير لأيام طويلة في تنقلاته الموسمية ، فيمسك صغيره بمنقاره ويلقيه في الهواء حتى يتقن الطيران ، والتجربة خطرة وقد يقع الصغير ويموت ، ولا يسلم غير البجع القوي ، **والهدهد** يقتل أضعف فراخه ويمرّن البقية ، **وطائر القاوند** يمسك بالسمكة ويفلتها أمام صغاره فتقلّده ، والنسر والباز والصقر تدرّب صغارها تدريباً متدرجاً طويلاً نوعاً ما .. وإن كانت بعض أنواع الطيور تغادر العش فجأة وتطير بلا تدريب .

والقردة ـ وخاصة **قرد الأندريس** ـ تُخضع صغارها لتدريبات شاقة تتسم أحياناً بالخطورة لتعويدها على القفز والتأرجح ، فالأب والأم يتقاذفان الصغار فيما بينهما لبعض الوقت ، وإذا سقط أحدهما تخليا عنه نهائياً إذ يعتبر غير أهل للتربية .. والناجح في المران يلقى عناية غير عادية .

إنها عوالم ساحرة جذّابة ممتعة فيها من الدلالات الشيء الكثير .. لمتفكّر ومتدبّر .

جدول يبين فترة الحمل وعدد الصغار عند بعض الحيوانات

اسم الحيوان	عدد أيام الحمل	عدد الأولاد
السمّور	٢٧٠ ـ ٢٨٥	١ ـ ٤
غُرَيْر	٢٤٠ ـ ٣٠٠ أو (١٥٠ ـ ١٩٠)	١ ـ ٢
الأسد	١٠٥ ـ ١٦٣	٢ ـ ٦
النمر	١٠٥ ـ ١٠٩	١ ـ ٦
الدب الأسمر	٢١٠ ـ ٢٥٠	١ ـ ٣
أسد البحر	٣٣٠ ـ ٣٦٥	١ ـ ٢
حوت العنبر	٣٦٥	١
خنزير البحر	١٨٣	١
الفيل الإفريقي	٦٦٠	١
وحيد القرن الأسود	٥٣٠ ـ ٥٥٠	١
التابير (حيوان شبيه بالخنزير)	٣٩٠ ـ ٣٩٥	١ ـ ٢
الزرافة	٤٢٠ ـ ٤٥٠	١ ـ ٢
الجمل	٣٧٠ ـ ٤٤٠	١
آيل اليحمور	٢٨٠	١ ـ ٢
البقرة	٢٧٧ ـ ٢٩٠	١ ـ ٢
الظبي	٢٥٥ ـ ٢٧٠	١
النمر الأميريكي	٩٣ ـ ١١٠	٢ ـ ٤
الفهد	٩٢ ـ ٩٥	١ ـ ٤
قط الجبل	٦٨	٣ ـ ٦
كلب المنزل	٥٨ ـ ٦٣	٣ ـ ١٢
الثعلب	٥٦	٣ ـ ٧
فقمة (فيل البحر)	٣٣٠	-
الفقمة (عجل البحر)	٢٨٠	١ ـ ٢
حوت (هركول)	٣٠٥ ـ ٣٦٣	١
الفيل الآسيوي	٥١٠ ـ ٦٩٠	١
الحمار الوحشي المخطط	٣٦٥	١
الحصان	٣٢٩ ـ ٣٤٥	١ ـ ٢
فرس النهر	٢٣٧	١
الأيل	٢٤٣	١ ـ ٢
الخنزير ذو القرنين	١٧٠ ـ ١٧٥	٣ ـ ٤
ماعز الجبال	١٦٥ ـ ١٧٠	١ ـ ٢
الشاة	١٤٤ ـ ١٥٢	١ ـ ٢
الخنزير	١١٢ ـ ١١٥	٥ ـ ١٢
ماعز المنزل	١٤٧ ـ ١٥٤	١ ـ ٢
تاتو المدرّع (آكل نمل)	٢٦٠	٤ ـ ٨
آكل النمل	١٩٠	١
أرنب السباق	٣٠ ـ ٤٢	١ ـ ٤
أرنب عادي	٣٠ ـ ٣٢	٣ ـ ٨
القندس الكندي	١٢٨	١ ـ ٦
الشيهم	١١٢	١ ـ ٤
خنزير الهند	٧٠	٢ ـ ٦
المرموط	٣٥ ـ ٤٢	٢ ـ ٥
السنجاب	٣٢ ـ ٤٠	٣ ـ ٥
الفأر الأسود	٢١	٧ ـ ٩
فأر القرى	١٨ ـ ٢٠	٤ ـ ٧
سنجاب آسيا	٤٥ (+٥)	٢ ـ ٣
القنفذ	٣٤ ـ ٤٩	٤ ـ ٦
الخلد الأوروبي	٢٨ ـ ٤٢	١ ـ ٧
فأر الزّباب القروي	١٨ ـ ٢١	١ ـ ١٠
خفّاش العمّاش	٧٧ ـ ٨٤	١ ـ ٢
الوطواط	٧٠ ـ ٧٣	١ ـ ٢
وطواط روسية العملاق	٥٠ ـ ٧٠	١
القرد المقدّس	١٩٦	؟
قرد الماكي	١٢٠ ـ ١٣٥	١ ـ ٢
قرد طويل الذنب (راغوين)	١٤٠	١ ـ ٢
قرد المكاك	١٤٦ ـ ١٨٦	١ ـ ٢
القرد الأميريكي	١٦٨ ـ ١٨٢	١ ـ ٢
القرد المقلنس	١٨٠	١ ـ ٢
قرد الجيبون	٢٠٠ ـ ٢١٢	١ ـ ٢
الشمبانزي	٢٢٥	١
الغوريلا	٢٥١ ـ ٢٨٩	١
الإنسان	٢٨٠	١ ـ ٢

جاكوار ذات القوة الخارقة

مهما بحثت ، لن تجد سيارة أخرى تماثل جاكوار في أدائها.
فجاكوار اكس جي الجديدة من المجموعة ٣ تحقق سرعة ١٠٠كم/ساعة في أقل من ١٢ ثانية بينما تتجاوز سرعتها القصوى حدود ٢٠٠ كيلومتر بالساعة.

وهي الى جانب ذلك تستجيب استجابة تامة لتحكمك بها في كافة أحوال القيادة.
بينما يحافظ نظام التعليق المقاوم للهبوط في المقدمة على التوازن المنتظم حتى اثناء الكبح بالسرعات العالية. ولتأمين المزيد من السلامة والامان بالسرعات العالية، فان منصة قاعدة الهيكل الصلبة توفّر مركز ثقل منخفض، وهذا يعني بالحقيقة قدراً اكبر من الثبات والاستقرار على الطريق.

ان سيارة جاكوار اكس جي الجديدة من المجموعة ٣ تعكس دون شك، التقاليد العريقة لسيارات جاكوار الاصيلة.

اكتشف القوة الكامنة في سيارة جاكوار لدى وكيل جاكوار المعتمد في منطقتك.



أبو ظبي: الشركة المتحدة للسيارات والتجارة
البحرين: محمّد جلال وأولاده

الكويت: شركة السيارات الكويتية للتجارة ذ. م. م
المملكة العربية السعودية: شركة العليّان للمقاولات العامة
دبي: عبد الرحمن الزياني وأولاده

سلطنة عمان: محسن حيدر درويش
قطر: شركة الدوحة للسيارات والتجارة

لوحة وفنان

• المنشد •

● في هذه اللوحة تصور الفنانة « **المنشد** » في حي شعبي ، وتبرز من خلال تصوير موضوعها الطراز المعماري القديم الذي تتميز به منازل جدة ومكة ، وما تحتويه من مشربيات وأعمدة وزخارف جصية .

● أسلوب الفنانة ينتمي إلى الواقعية ، فهي تصور الواقع بكل تفاصيله ، وهي تهتم بإبراز تلك التفاصيل .. فتسجل التراث الفني لمجتمعها عن طريق تسجيل الطرز المعمارية المتميزة .. الأزياء .. عادات وتقاليد مجتمعها ، من خلال موضوعها ، وهذا هو الجانب الإيجابي في لوحتها .. وتلتقي الفنانة مع **المدرسة الواقعية** من الناحية الشكلية إلى حد ما ، ولكنها لا تلتقي معها في مفهومها .. فهي تفهم الواقعية على أنها مجرد تقليد حرفي أو كامل للواقع ، وليس المفهوم الحقيقي للمدرسة الواقعية باعتبارها إعادة تمثيل مشاهد من الحياة الوضعية .

● التزام الفنانة بتصوير الواقع بكل تفاصيله ودقائقه ، أفقدها القدرة على صياغة هذا الواقع بأسلوب تشكيلي ، فكانت اللوحة بمثابة نقل الواقع ، وليس إعادة صياغته ، فالفن هو الخروج على الواقع ، مع الاستلهام من هذا الواقع ، فالعملية الإبداعية في الفن هي عملية الابتكار والتجديد ، ولا نجد ذلك المفهوم في هذه اللوحة .

● تصور الفنانة الأشخاص طبقاً لقواعد المنظور حيث يبدو الأشخاص في مقدمة الصورة أكبر حجماً من الأشخاص في الخلفية ، في نفس الوقت تضيع النسب التشريحية لأولئك الأشخاص دون قصد أو تعمد « أي تشويه فني » حيث إن الفنانة تلتزم بنقل الواقع حرفياً ، وبالقواعد التقليدية للمنظور ... ويظهر هذا من الشخص الذي يحمل **المبخرة** في مقدمة اللوحة ، والشخص الذي خلفه مباشرة ، حيث أطالت الفنانة أجسامهم ، ونتج هذا عن ضعف النسب التشريحية في أسلوبها .

● التكوين الفني في اللوحة لا يقوم على أسس معينة في التصميم ، أو عن مجهود ذهني مسبق ، ولا تلتزم الفنانة بقواعد **الضوء والظل** ، ورغم أنها تصور مشهداً في وقت النهار حيث يجب أن تكون الظلال حادة ، فقد نجحت الفنانة في تحقيق **النسيج العضوي** في اللوحة عن طريق سيطرتها على المجموعة اللونية المستخدمة ، أي تحقيقها للهارموني اللوني المعتمد على إيقاع الألوان المتضادة .

• صفية سعيد بن زقر •

● ولدت في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية .

● تلقت تعليمها الابتدائي والمتوسط والثانوي في المملكة ، ثم عملت سكرتيرة ومترجمة في شركة والدها .

● ثم سافرت إلى القاهرة لدراسة الفن التشكيلي ، بعدها ذهبت إلى بريطانيا حيث درست في مدرسة « سانت مارتن » بلندن أصول فن الرسم لمدة عامين .

● أقامت أول معرض لها مع الفنانة السعودية « منيرة الموصلي » بمدرسة دار التربية بجدة عام ١٩٦٨ م .

● كما أقامت ثلاثة معارض في أوروبا (لندن ، باريس ، جنيف) ، كما أقامت عدة معارض فيما بعد بالمملكة العربية السعودية .

● ركزت بأسلوبها الواقعي على مظاهر الحياة الاجتماعية في المملكة ، فرصدت من خلال مجموعة من اللوحات بعض العادات والتقاليد ، مثل عادات الزواج ، والحفلات ، والأفراح ، وغيرها ، إلى جانب تركيزها على إبراز معالم المنازل القديمة ، والأحياء الشعبية .

● أصدرت كتاباً جمعت فيه مجموعة من لوحاتها بعنوان « المملكة العربية السعودية : نظرة فنان إلى الماضي » باللغة الإنجليزية . يقع الكتاب في (١٣٩) صفحة ، ويحتوي على (٦٣) لوحة .



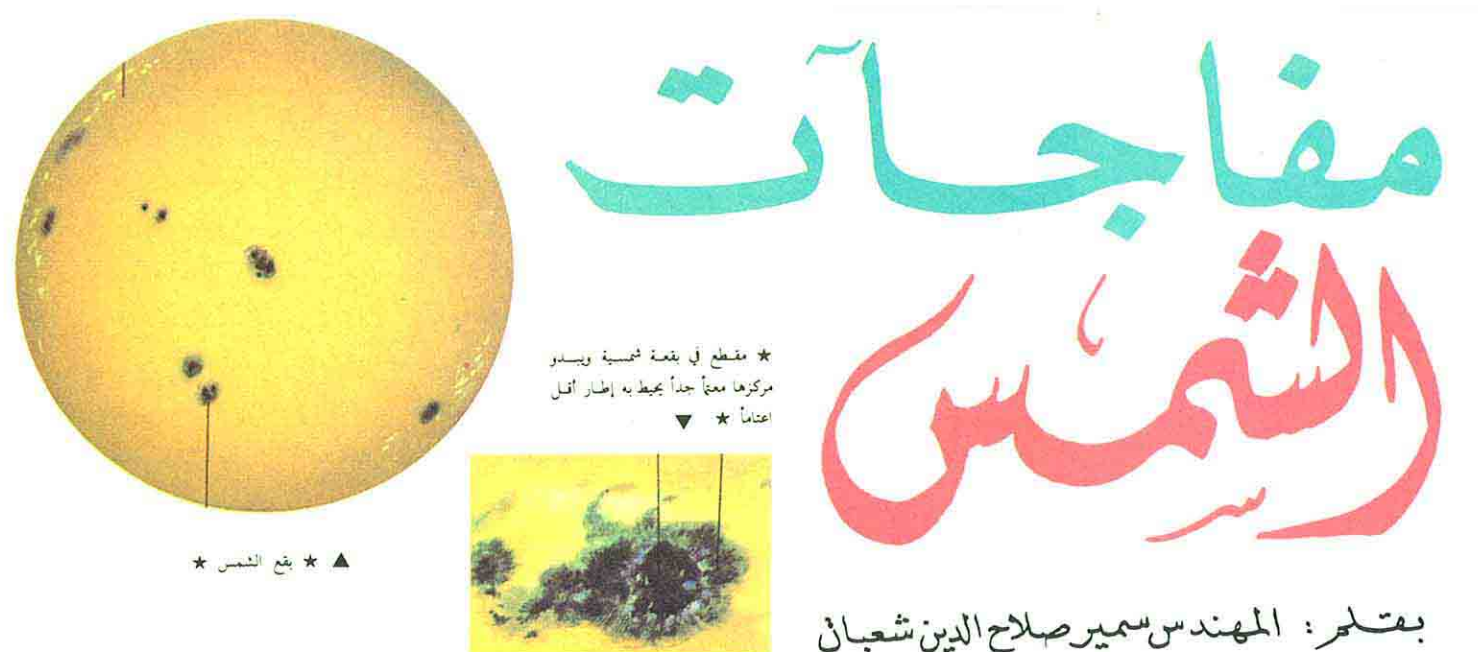
مقياس المتانة

الأناقة والجمَال مرادفان، وَمفهوم الجمَال
مطلق تماماً، فهو أكثر من تناسق في تركيب الالوان والشكل.
الجمَال في أسمَى معَانيه هو الكمَال، الكمَال في البسَاطة
والوضوح وفي التصميم والانطباع. لكن ما معنى الجمال إن لم يكن أبدي؟
لذلك تعمَل رادو بكل تركيز وديناميكية لبلوغ الكمال في خصائص
«داياستار» المقاومة للخدوش. إن اطارها المقاوم
للخدوش وَياقوتها الكريستال الأزرق
سَيحافظان على جمالها اليوم وغداً وأبَداً.

RADO رادو

مقياس الأناقة. مقياس المتانة. مقياس الزمن





مفاجآت الشمس

★ بقع الشمس ★

★ مقطع في بقعة شمسية ويبدو مركزها معتماً جداً يحيط به إطار أقل اعتاماً ★

بقلم: المهندس سمير صلاح الدين شعبان

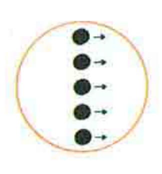
في الأعوام الأخيرة بدأ الناس يسمعون جملاً محيرة:

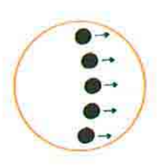
- **لقد جنت الشمس!**
- **إنها تطلق في الفضاء ألسنة من اللهب إلى ارتفاع يزيد عن ٧٠٠ كيلومتر!**
- **هذه الشعلات الشمسية تعيق استماع الراديو والاتصالات اللاسلكية!**
- **سيل غزير من الإشعاعات الشمسية يقصف الطائرات المسافرة فوق القطب!**
- **تكثر هذه الشعلات مع زيادة بقع الشمس، تلك اللطخ القاتمة العجيبة التي يتكرر ظهورها بشكل دوري على سطح الشمس كل (١١) سنة!**
- **بعض البقع الشمسية قادر على ابتلاع (١١) أرضاً!**
- **زيادة نشاط الشمس هو الذي أدى إلى سقوط سكاي لاب في تموز (يوليو) ١٩٧٩ م!**
- **تقلبات النشاط الشمسي هي التي تساعد الصحراء على الزحف على الأراضي الزراعية!**
- **الأرض ستتحول في المستقبل البعيد إلى كرة من الجليد أو إلى قِدْر من المحيطات التي يغلي فيها الماء!**



★ منظار فلكي خاص لرصد الشمس ★

★ مخطط يبين أن خط استواء الشمس يدور أسرع من قطبيها ★







يقول الفلكي الفيزيائي الإنكليزي المعروف **جون غريبين** في كتابه «**موت الشمس**»، إن الدفء الذي تستمتع به الأرض مؤقت لا يزيد عمره عن (١٥,٠٠٠) سنة، وإن هذه الفترة قد شارفت على الانتهاء. وإذا تسنى لنا النظر إلى الماضي البعيد، فسوف نجد أن تاريخ الأرض كان شديد التقلب: مرحلة دافئة لعدة مئات الملايين من السنين، يليها عصر جليدي يدوم عشرات الملايين من السنين، ثم دفء جديد فعصر جليدي.. وهكذا. وعليه يمكننا أن نتصور أننا ودعنا عصراً جليدياً، ودخلنا مرحلة دافئة ستسخن الأرض فيها بالتدريج، وأن علينا أن نتحسب لمرحلة حارة جداً ــ ربما بعد (١٠٠,٠٠٠) سنة ــ تذوب فيها الأقطاب الثلجية ويطغى الطوفان!

وحيث إن الأمر يمس مستقبل الإنسانية، فقد سارع علماء الطقس إلى حساب الآثار المترتبة على ازدياد نشاط الشمس بمقدار ٥٪ فقط، خلال القرون الخمسة القادمة: سيرفع ذلك ــ لو حدث ــ درجة حرارة سطح الأرض بمقدار ٢ ــ ٥ درجات مئوية. عندها ستذوب الأقطاب

الثلجية جزئياً مما يرفع مستوى جميع بحار العالم، فتطغى على الأراضي السهلية. أما إذا حدث العكس، وانخفضت طاقة الشمس الواصلة إلى الأرض بمقدار ٥٪، فإن النتائج ستكون أعنف وأعتى: سيعم الثلج المتواصل والجليد معظم أنحاء الأرض، لأن درجة حرارتها ستنخفض بمقدار ٥ ــ ٧ درجات مئوية.

ويذكّر أنصار الشمس «المتقلبة» أن **غاليلو** شاهد بمنظاره الفلكي منذ عام ١٦١٢م، بقع الشمس؛ فعلينا أن لا نعتقد أن الشمس كرة ملساء لا تتعرض للتغير والتقلب. ويضيفون أنها استمرت في الانكماش والتقلص حتى قبل (١٠٠) سنة. ويدعون أنها دخلت بعد ذلك مرحلة جديدة تتمدد فيها تارة وتتقلص تارة أخرى. وهم يردون كذلك تغيرات بريق الكواكب (ضوء الشمس المنعكس) مثل **اورانوس، ونبتون وتيتان** (أكبر أقمار زحل) إلى تقلبات في نشاط الشمس. ويذكرون أيضاً أن **سفينة الفضاء مارينر (٩)** تبينت أثناء دورانها حول **المريخ** أن سطح **الكوكب الأحمر** قد تعرض لظروف جوية قاسية أدت إلى تجفيف أنهاره (!!)، وأن الطقس كان يتذبذب بين الحار الرطب من جهة، وبين البارد الجاف من جهة أخرى، علماً أن **الجو السائد حالياً في المريخ هو البارد الجاف**. فهم يعتقدون أن أفضل تفسير هذه المشاهدات هو تذبذب طاقة الشمس الواصلة إلى المريخ بمقدار ١٠ ــ ١٥ بالمائة.

ويرجع بعض المتحمسين لنظرية الشمس المتقلبة **اختفاء الديناصورات** وانقراضها إلى تذبذب نشاط الشمس، بينما يعتقد آخرون أن انزياح القارات وحركتها هو السبب. وهناك فئة ثالثة تجعل تآزر حركة القارات مع تغيرات الشمس هي المسؤولة عن انقراض الديناصورات.

تدلنا مناقشة وضع انقراض الديناصورات، أن جميع الآراء السابقة لا تعدو كونها «خواطر»، لأن علاقتها بنشاط الشمس غير قطعية وتحتمل تأويلات عديدة.

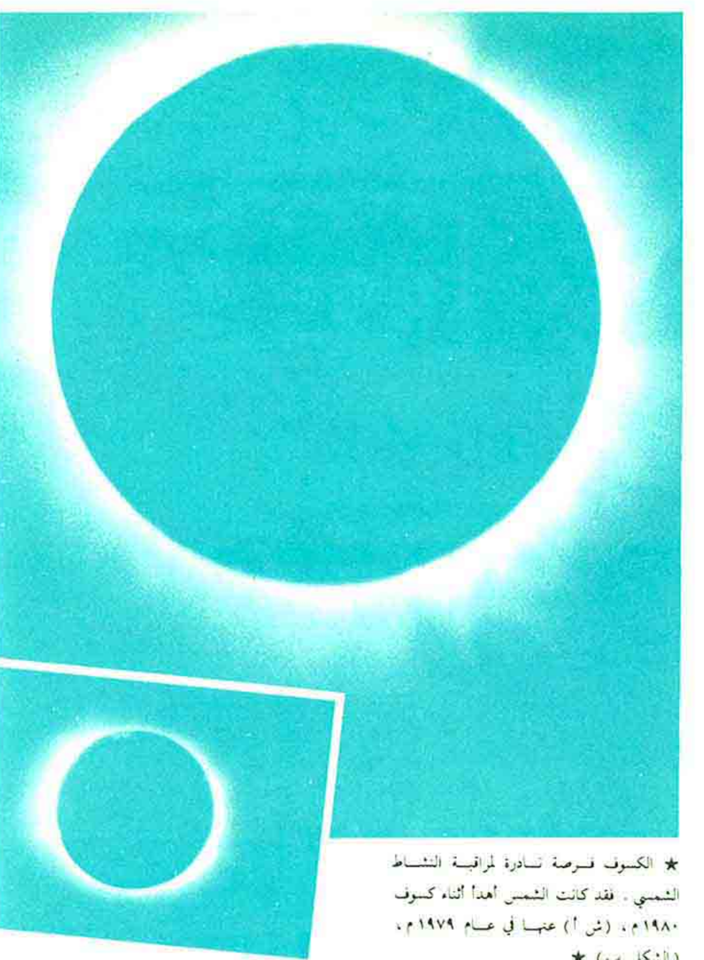
لكن ما عجز العلماء عن إثباته، تمكنت «**ريح الشمس**» من إنجازه. كيف؟

النتريفو.. وريح الشمس

بعد أن نجح الفلكيون والفيزيائيون في اكتشاف ريح الشمس، قامت كثير من المركبات الفضائية بدراسة مكثفة لهذه الريح. وقد تنبأ بعض الفيزيائيين بتشكل جسيمات من مكونات الذرة غير معروفة على الأرض حتى الآن ومنها «**النتريفو**».

عقد بعض العلماء آمالا كبيرة على النتريفو، حتى أن بعضهم تنبأ بظهور علم جديد اسمه «**علم فلك النتريفو**»، لأنه سيكون وسيلة البشر الأساسية لمراقبة ما يجري في «داخل» الشمس وسائر النجوم «الآن»، لما يتميز به من خصائص فريدة.

يولد النتريفو أثناء عمليات الالتحام النووي في مركز الشمس، أي أنه كلما زادت كمية الطاقة المولدة في مركز الشمس، ازداد عدد النتريفو



★ الكسوف فرصة نادرة لمراقبة النشاط الشمسي. فقد كانت الشمس أهدأ أثناء كسوف ١٩٨٠م، (ش أ) عنها في عام ١٩٧٩م، (الشكل ب) ★

تبعاً لذلك. لكن مركز الشمس يصدر عدداً كبيراً من الجسيمات، **فلماذا وقع الاختيار على النتريفو لقياس نشاط الشمس أو خمولها؟**

ذكرنا فيما مضى أن الطاقة المولدة في مركز الشمس تحملها الجسيمات الذرية إلى سطح الشمس في رحلة تستغرق حوالي (٢٠,٠٠٠) سنة، تتحول فيها من إشعاعات مميتة إلى حرارة وضوء. لكن النتريفو يتميز بمواصفات تؤهله لأن يكون مندوباً، يعلم البشرية عما يحدث في مركز الشمس في يومنا هذا وليس بعد مرور (٢٠,٠٠٠) سنة.

أفضل وصف للنتريفو هو أنه جسيم «بدون ملامح».. فهو لا يحمل أية شحنة كهربائية، وهو عديم الكتلة تقريباً، مما يجعله أكثر قدرة على اختراق جميع المواد الغازية وحتى الصلبة دون أن يتعرض لأية إعاقة. لذلك فهو يقطع الطريق من مركز الشمس إلى سطحها في أقل من ثانيتين، ويصل إلى الأرض ــ بسرعة الضوء ــ بعد حوالي ٨ دقائق. وهنا ــ على الأرض ــ يخترق أجسامنا وجميع المواد الصلبة، دون توقف.

ولكن كيف تمكن العلماء من كشفه ما دام بدون ملامح؟

المنظفات تكشف النتريفو

بعد حسابات وبحوث مضنية تبين العلماء أن النتريفو «يدور» حول نفسه. لذلك وجدوا أن إيجاد طريقة تتحسس بسرعة دورانه المتميزة هي

الطريق الوحيد للعثور على النتريفو .

في **ولاية داكوتا الجنوبية الأميريكية** وضع خزان ضخم مملوء **بالمنظفات الكيميائية** على الناشف **(فوق كلور الإيثيلين)** سعته (٤٠٠,٠٠٠) لتر ، في منجم عمقه عدة آلاف من الأمتار لتجنب حدوث أي تشويش خارجي : جميع الجسيمات الأخرى تمتصها الأرض ، لكن النتريفو الشمسية تشق طريقها بكل يسر إلى الخزان .

عندما يصل النتريفو إلى خزان المنظفات فإنه يقوم بتحويل **ذرة كلور** إلى **ذرة من غاز الأرغون** علماً أن العلماء يتمكنون من كشف ذرة أرغون وحيدة في مسبح أولمبي .

دلت الحسابات المبدئية أن هذا الخزان يجب أن يستقبل يومياً ـ استناداً إلى معلوماتنا عن كمية الطاقة التي تولدها الشمس ـ (٤) نتريفو . **فهل أيدت التجارب هذه المعلومات ؟**

فوجئ العلماء أن الخزان لا يكشف يومياً أكثر من نتريفو واحد . فأين يكمن الخطأ ؟ ربما تكون طريقة القياس خاطئة لكن معظم العلماء يستبعدون ذلك ، أو تكون نظريتنا عن الشمس ـ التي اكتسبناها بواسطة الحاسبات الإلكترونية ـ خاطئة . وهذا الأمر لا يمكن التسليم به بهذه السهولة ، لأنه يعني عدم مصداقية حسابات قامت بها أجيال من العلماء خلال مئات السنين .

إذا قبلنا بنتائج التجربة ، فمعنى ذلك أن صغر عدد النتريفو يدل على أن الشمس ـ الآن ـ أبرد مما تتوقعه النظريات . فإذا تمكنا ـ بطريقة ما ـ من معرفة درجة حرارة مركز الشمس ، وتبين لنا أنه يبرد ، عندها تنتصر نظرية الشمس المتقلبة .

وهنا خرج الفلكي جاك إدي (EDDY) على الملأ بنظريته التي نلخصها كما يلي : في القرون القليلة الماضية بدأت الشمس تنكمش على نفسها . وتماماً مثلما حدث عند ولادتها بدأت تصدر طاقة إضافية . الطاقة النووية التي تولدها الشمس في مركزها صغرت كذلك . ولكن المجموع الكلي للطاقتين بقي ثابتاً ، نظراً لأن الطاقة النووية تصغر من جهة وطاقة الانكماش تكبر من جهة أخرى ، لذلك بقيت درجة حرارة سطح الشمس ثابتة ، وكذلك كمية الطاقة الواصلة إلى الأرض . وهذا التوازن جعلنا لا نلاحظ أي تغير في سلوك الشمس . وبذلك فإن الشمس قد صغر حجمها وبرد مركزها . لذا لا بد من تخفيض درجة حرارة مركز الشمس بما يتناسب مع عدد النتريفو المكتشف في الخزان .

ولكن كيف عرف (إدي) أن الشمس تصغر تدريجياً ؟

جولة مع التاريخ

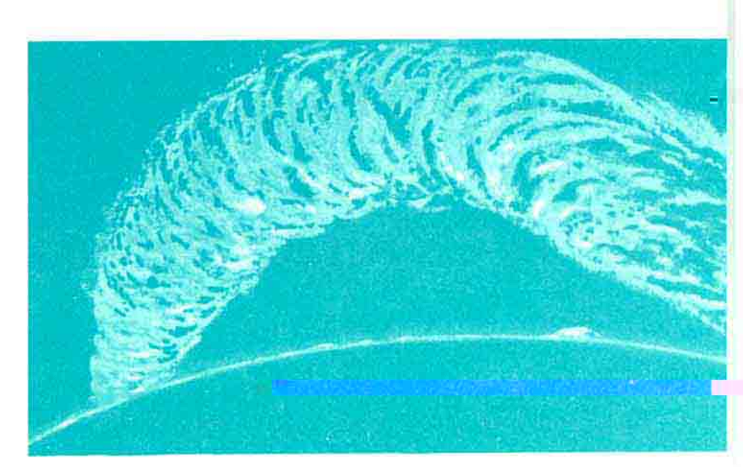
اعتمد **إدي** على سجلات **مرصد غرينيتش** بين عامي ١٨٣٦ و ١٩٥٤ م . فقد قام العاملون في هذا المرصد بقياس قطر الشمس (حجمها) أثناء عبورها أمام نافذة المرصد يومياً في نفس الوقت ، عن طريق تحديد الزمن الذي تستغرقه حتى تقطع النافذة من جانب إلى آخر بالاعتماد على الساعات التي كانت متوفرة وقتها .

درس **إدي** هذه الأرقام التي استمر تدوينها حوالي (١٢٠) عاماً ، فوجد أن قطر الشمس الذي يبلغ (١٣٩٢,٠٠٠) كم يصغر بمقدار (١٤,٥٠) كم سنوياً ، وهذا يؤيد نظريته .

لكن فرحة **إدي** لم تطل . إذ قام علماء آخرون بتدقيق صحة هذه الأرقام ، فتبينوا أن أخطاء المراقبين بلغت أحياناً « عشرات » الكيلومترات ، بالإضافة إلى استخدام ساعات بدائية لا تفي دقتها بغرض قياس هذه الفروق الصغيرة في قطر الشمس .

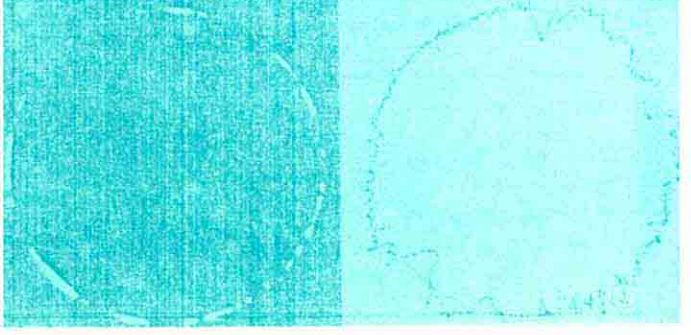
لم ييأس **إدي** ، بل أبرز مذكرات **الفلكي الإيطالي كريستوف كلافيوس** . ذكر كلافيوس أنه شاهد هالة كبيرة من الشمس تحيط بالقمر أثناء كسوف الشمس عام ١٥٦٧ م . واستطرد إدي ، إننا نلاحظ في أيامنا هذه أن القمر يغطي الشمس بشكل كامل ، بينما لم يكن يغطيها عام ١٥٦٧ م . وهذا يعني أن الشمس اليوم أصغر مما كانت عليه عندما شاهدها كلافيوس .

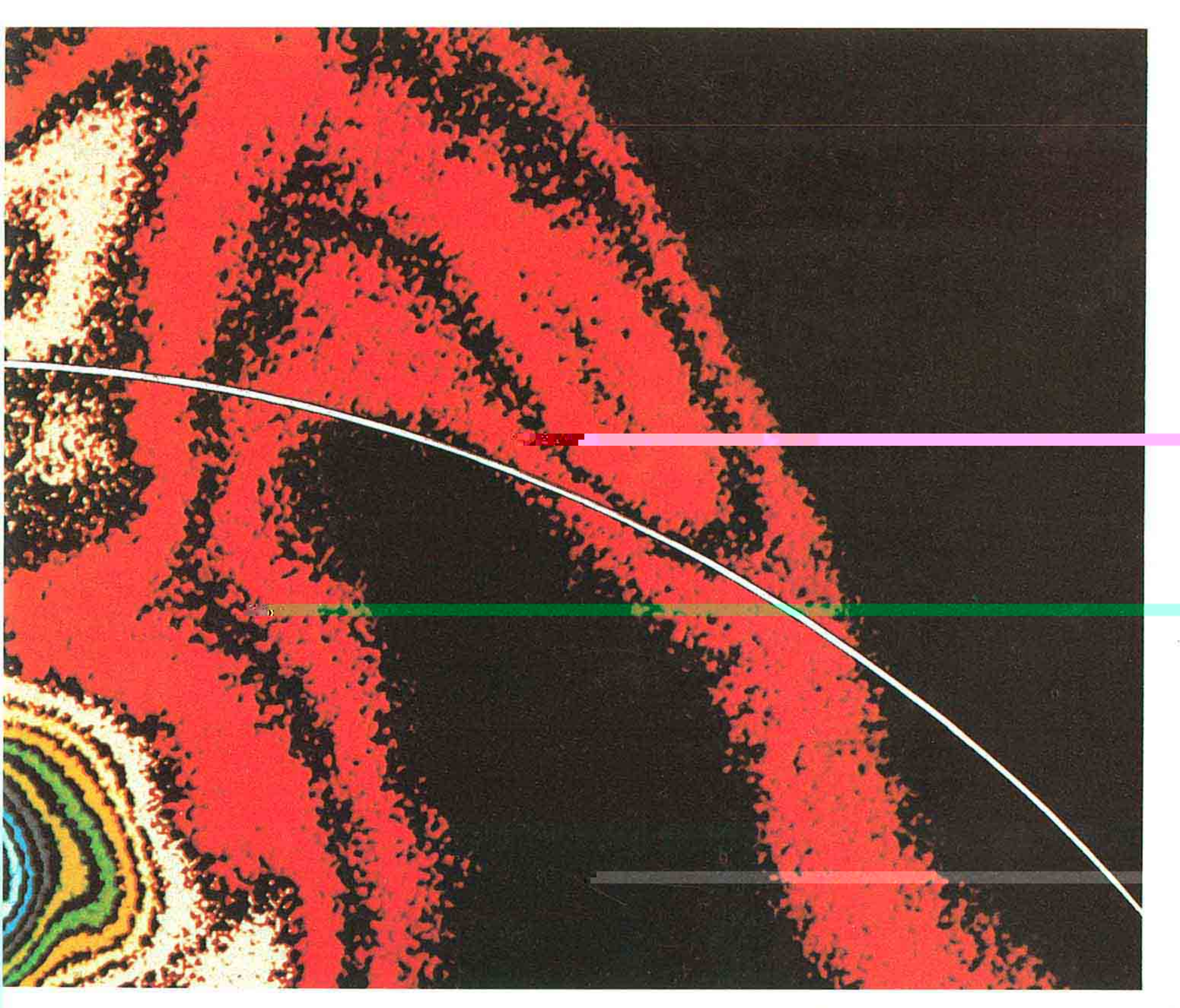
هذه المشاهدة حيرت العلماء منذ مدة طويلة جداً ، حتى قبل أن يخرج إدي بنظريته عن تقلص الشمس . تصدى **لسلي موريسون** ـ من مرصد غرينيتش ـ لهذه الأزمة وأجرى حسابات دقيقة لكسوف الشمس أخذ فيها بعين الاعتبار أن القمر ليس كرة ملساء ، بل يحتوي جبالاً ووديانا . أثبت موريسون بالحساب أنه « يستحيل » رؤية كسوف كامل للشمس مائة بالمائة ؛ فلا بد للمرء أن يشاهد بعض نور الشمس أثناء اختراقه « لوديان » القمر . **ما الدليل على صحة هذه الحسابات ؟**



▲ ★ أقواس اللهب التي تصدرها الشمس ★

★ أ) لوحة فوتوغرافية (فيلم) لكسوف ٢٠ أيار (مايو) ١٩٦٦م ، تظهر فيها بقع مضيئة نتيجة تسرب ضوء الشمس عبر أودية القمر .
ب) مخطط لتضاريس القمر . وهنا نجد أن مواقع الانخفاضات (الوديان) هي التي تقابل البقع المضيئة على اللوحة الفوتوغرافية المرافقة ★ ▼





★ الشمس تطلق ألسنة من اللهب والجسيمات (صورة بالأشعة السينية) ★

وفق **موريسون** في العثور على إحدى الصور الملتقطة لكسوف عام ١٩٦٦ م ، وفيها يبدو بشكل واضح أن الضوء يتسرب عبر وديان القمر من نقاط متباعدة نسبياً ، عندما يصل المرء بينها يحصل على « دائرة » من النقاط الضوئية (**انظر الشكل**) .

عند هذا الحد اضطر **إدي** إلى التراجع عن نظريته التي لم ينشرها إلا منذ عدة أعوام (١٩٧٦ م) . وهكذا هدأت عاصفة الشمس المتغيرة . . حتى حين . فمشكلة العدد الصغير للنتريفو الواصلة إلى الأرض ما زالت بحاجة إلى تغير مقبول .

وهنا أجمع معظم العلماء أن الأمر يتعلق بدقة إحصاء النتريفو وعدّها . لذا وضع خزان آخر يحتوي (٥٠) طناً من **معدن الفاليوم** ، للتأكد من صحة القياس . وفي هذه المرة إذا تم التوصل إلى النتائج نفسها ، عندها لا بد من إعادة النظر في فكرتنا عن الالتحام النووي والجسيمات المرافقة لحدوثه .

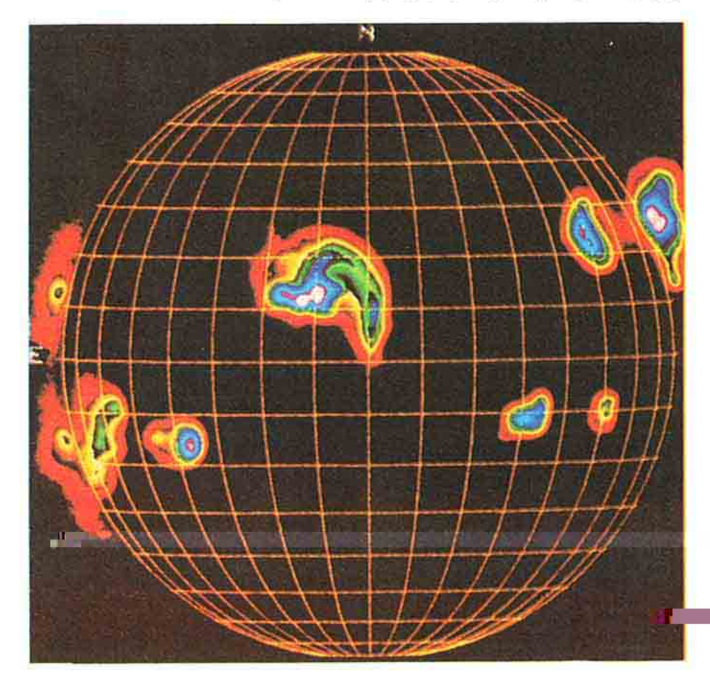
وبعد :

المسألة ليست عدد نتريفو ، بل وقوع حوادث غير متوقعة . فقد ادعى **هنري هيل** أن **خط استواء الشمس** الذي يدور أسرع من قطبها ، يؤدي إلى « تفلطح » الشمس وعندما حاول إثبات ذلك تبين أن الشمس تهتز (ترتجف) ، بحيث تتمدد حيناً ثم تنضغط حيناً آخر ، وأن زمن هذه الرجفة يتراوح بين عدة دقائق وعدة ساعات .

يتفاءل بعض العلماء بأن القمر الصناعي الذي أطلق في ١٤ شباط (فبراير) ١٩٨٠ م ، لدراسة الشمس أثناء قمة نشاطها ، سيأتينا بالقول الفصل في تقلبات الشمس أو استقرارها .

جميع العلماء متفقون أن الشمس لا يمكن أن تستمر في منح الأرض الطاقة والضياء إلى الأبد . فهل برزت نظرية الشمس المستقرة عن « حاجة نفسية » ؟

★ صورة بالأشعة السينية تبين ألسنة اللهب على سطح الشمس من مركز توليد القدرة (ذي الشكل المعقوف) في مركزها ★ ▼



كتب **المؤلف العلمي الأميريكي دي تريك تومسن** منذ عهد قريب : إن العيش بجوار نجم « متحول » أمر يثير الأعصاب ويدعو إلى القلق .

وقال **كينيث إنجل** إن فكرة ثبات الشمس قد نشأت ـ على الأرجح ـ من حاجتنا « النفسية » إلى أب سماوي موثوق ، أكثر من حاجتنا إلى مصدر ثابت للطاقة .

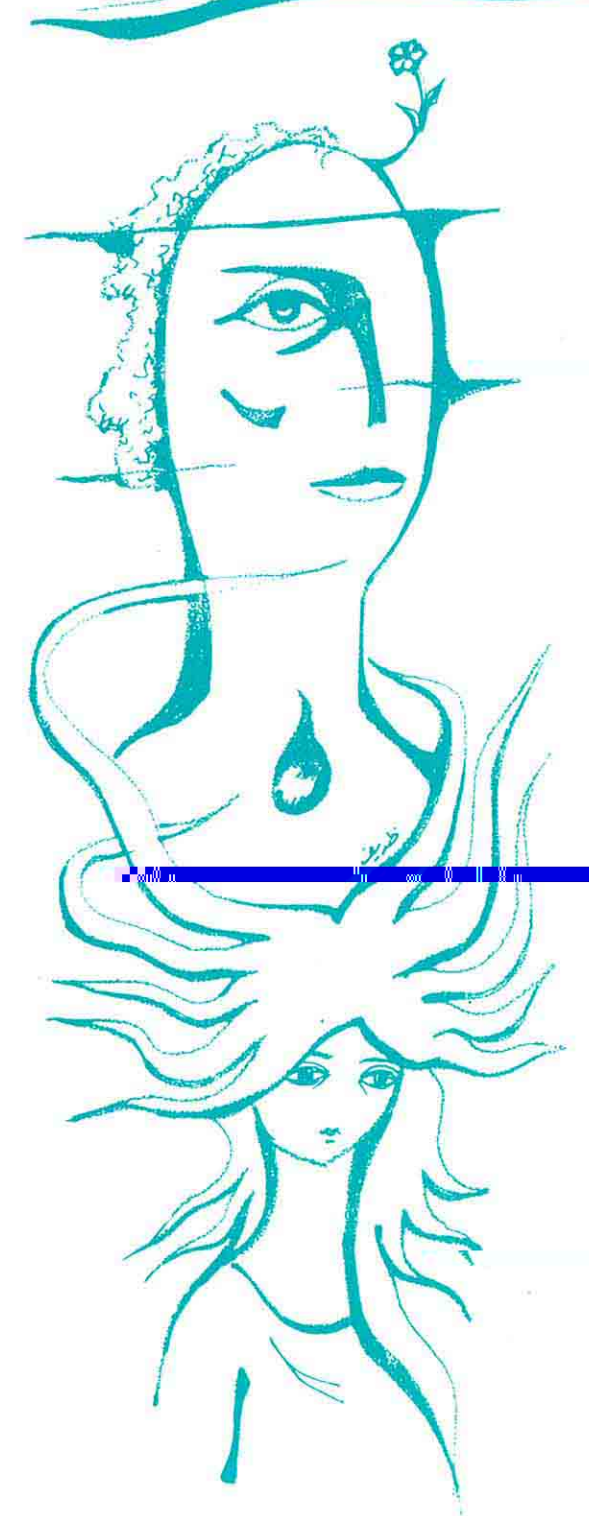
حملت إلينا **ريح الشمس** ذلك الزائر الجديد ، عديم الوزن والشحنة (النتريفو) ، ليزعزع ـ رغم صغره ـ أركان نظرتنا إلى الشمس ، التي بنيناها على سواعد العلماء منذ قرون عديدة ، ويدعوهم إلى مزيد من العمل والكشف من جديد .

ربما يهتف أحد العلماء في المستقبل : « شكراً لك أيها الضيف الخفيف (النتريفو) لقد أيقظتنا من سبات عدة قرون لنهتدي إلى الطريق السليم » .



هو العصر ..!!

شعر: أحمد مرتضى عبده



هـو العصرُ أم أمنياتُ المدى   تُطِلُّ وتملأ حولي الهواءْ
أم الموت يَسعى حثيثَ الصدى   ليطوي الزمانَ ويحسو الفضاءْ
أم الحلْمُ ، أم وشوشاتُ الصبا   وهُنَّ يناجينَ غيثَ السماءْ
أوّاهُ .. وما لي هنا حيلةٌ   سوى الصمتُ في نهنهاتِ البقاءْ

* .. * .. *

يعيشُ المُغنى ، صداهُ الهوى   وفي كلِّ شيءٍ يرومُ النقاءْ
يريدُ الشروقَ ، وفي عالم   يبضُّ على شاطِئيهِ البكاءْ
يحاورُ كلَّ الذي قد مضى   ولو يستطيعُ يُميتُ الفناءْ
ـهو الوهم يا صاحبي أننا   رحيلُ سرابٍ .. ورجعُ نداءْ
فعجّل بلحنك أو فاحتسبْه   صدىً من خيالٍ وصوت رجاءْ ؟؟

* .. * .. *

تمرُّ السنونُ وراء السنينْ   وأنتَ كما أنتَ دون نماءْ
نَمَتْ لحيةٌ كثَّ فيها الأسى   وراحَ ـ كما رحتُ ـ منها الرُواءْ
تدلى عليكَ هجيرُ البِلى   وثارَ على الصمتِ خوفُ الشتاءْ
تعالَ .. الطريقُ يضمُّ السُدى   ويحلو على جانبيهِ العناءْ
وغرّدْ برغم الذي تصطليهِ   لأنك أدركتَ كُنْهَ الشقاءْ
أدركت روح وحيس وفي   ومن ناظريك يشف العزاء
هو العصر لا أنتَ لا الأغنيا   تُ ستومي إليه بعَودِ الوراءْ
هو العصر صارَ لديهِ الهوى   مُريداً يضمُّ الجوى .. والعياءْ
فحاذرْ من الحزنِ أنْ يزفُ   إلى أن تعودَ لركبِ السماءْ

* .. * .. *

هو العصرُ آلاتنا الموبقة   عليها نعيشُ .. ومنها .. سواءْ







★ من أعلى إلى أسفل : خبيرة تفحص عن طريق شاشة تليفزيونية متصلة بحاسب إلكتروني دماغ مريض تراه في الصورة الوسطى داخل جهاز حديث لمسح كل نسيج في الدماغ ، وفي الصورة السفلى خريطة دقيقة لمخ ومنها يستطيع «العقل» الإلكتروني تحديد أي شذوذ ★

كل شيء يتطور بسرعة فائقة .. ومن وراء هذا التطور عقول باحثة ومنقبة عما وضع الله في خلقه من أسرار مذهلة .. فلعلماء الفلك «عيون» علمية جبارة تجوب السماوات ، لتكتشف أكواناً ، من وراء أكوان ، من وراء أكوان .. وهلم جراً ، وفيها جميعاً تتخبط العقول ، وتتوه في أسرار ليس لها من قرار .. وهذه العيون العلمية تتمثل لنا في المراصد الفلكية التي تضم مناظير أو تليسكوبات من كل شكل وحجم ونوع !.

ولعلماء الذرة «عيون» أخرى تكشف لهم ما غاب عن عيونهم القاصرة ، وبهذه العيون المتباينة توصلوا إلى حقائق ما كانت لتخطر لإنسان على بال .. فالذرة على ضآلتها المتناهية ، إنما هي بمثابة كون جد دقيق له نظمه وأحكامه ، وكلما تعمق الإنسان في أسرارها ، تكشفت له فيها نظم من داخل نظم من داخل نظم .. إلخ ، وفي هذه النظم أيضاً تتوه العقول .. أعظم عقول ﴿ **لو كنتم تعلمون** ﴾ !.

جواسيس تتسلط على أجسامنا.. فترى "ما لا عين"

ويأتي الإنسان لينظر إلى نفسه ، فتصبح المتاهات أعظم ، والأسرار أضخم ، والتكوينات أعقد .. فلا هو بقادر مثلاً على أن يعرف ما يجري في داخل مخه من أحداث هائلة ، وكأنما هي بمثابة بحور من أسرار متلاطمة .. ليس ذلك فحسب ، بل هو عاجز عن استيعاب كل ما تحتويه أية خلية من خلايا مخه أو جسمه ، ذلك أن كل خلية بمثابة «**مكتبة**» هائلة تضم بلايين فوق بلايين من المعلومات الدقيقة .. صحيح أننا عرفنا منها الكثير ، لكن هذا الكثير لا يزال ضئيلاً بالنسبة لما ظل خافياً عن عيوننا وعقولنا حتى وقتنا الحاضر ، وكأنما الإنسان بدوره كون عظيم ، ينطوي على أكوان أدق فأدق فأدق .. إلخ ، وما أجمل ما عبر عن ذلك **الفيلسوف الإسلامي المتصوف محيي الدين ابن عربي** :

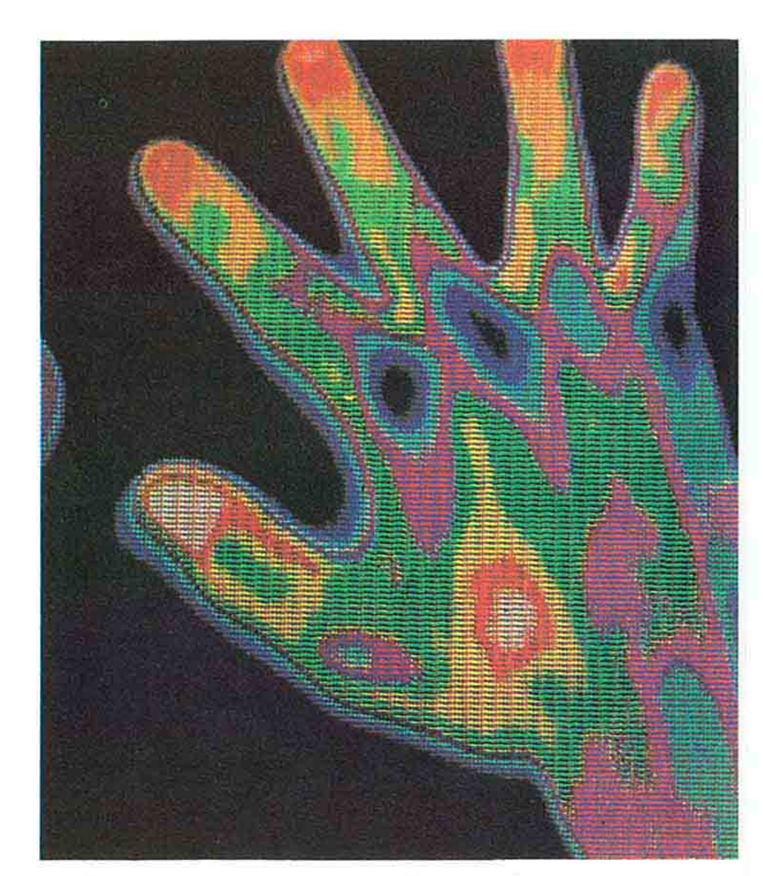
أتحسب أنك جرم صغير ‏ ‏ ‏ ‏ وفيك انطوى العالم الأكبر

وطبيعي أن الإنسان لا يعتمد على عينيه لكي يرى ما ينطوي عليه جسمه من أسرار لا أول لها ولا آخر ، ذلك أن العين لا تريه إلا ظواهر الأمور ، أما بواطنها فتحتاج إلى عيون علمية معقدة ومتطورة ، وبها يستطيع أن يرى «ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت» .

وفي هذه الدراسة المختصرة ، سوف نتعرض لبعض «**عيون التجسس**» **العلمية والطبية الحديثة** التي جعلت من الجسم البشري قارة مفتوحة ، بعد أن كانت أجسامنا مدثرة بالغموض والأسرار المجهولة التي ظلت خافية على الأجيال السابقة .

حسنة من حسنات غزو الفضاء

لا أحد يستطيع أن ينكر أن **غزو الفضاء** كانت له على الجنس البشري حسنات كثيرة لا يتسع المجال هنا لذكرها ، لكن مما لا شك فيه أن التطور الهائل في **العلوم الطبية** ، وما صاحب ذلك من أجهزة حساسة لتسجل ما يجري في أجسام رواد الفضاء من عمليات فسيولوجية ، كان نتيجة حتمية من نتائج غزو الفضاء ، وحسنة من حسناته التي لا تجحد !



★ صورة غريبة لليد البشرية تظهر هنا كخريطة جينة ، وهي نتيجة للتصوير بالأشعة تحت الحمراء (الأشعة الحرارية) . . واختلاف الألوان هو انعكاس لاختلاف النشاط الحيوي في كل جزء من اليد وللعلماء وللعقل الإلكتروني كذلك تفسير وتعليل ★



بقلم : د . عبد المحسن صالح

ولكي نوضح أكثر ، كان لا بد أن نذكر أن سيلاً من المعلومات الطبية عن حالة الرواد الذين ساروا على **سطح القمر** ، كان ينهمر على أجهزة استقبال خاصة مشيدة على الأرض ، ورغم أن **المسافة بيننا وبين القمر تبلغ ٤٠٠ ألف كيلومتر** ، إلا أن معدل نبض قلوب رواد القمر كان متاحاً للذين يرقبونهم من على سطح الأرض . . ليس هذا فحسب ، بل إن معدل التنفس ، ودرجات الحرارة ، وضغط الدم ، ونشاط المخ . . إلخ ، كانت تسجل أولا بأول ، وكأنما هؤلاء الرواد يعيشون بيننا ، رغم المسافات الهائلة التي تباعد بيننا وبينهم !

وطبيعي أن هذه التسجيلات الدقيقة ما كانت لتتم ، لولا التطور الضخم الذي حصل في الأجهزة الإلكترونية الحساسة التي تتصل بأجسام رواد الفضاء ، وتنقل لأهل الأرض صورة دقيقة لكل التغيرات الفسيولوجية التي تحدث في أجسامهم ، وكأنما هذه الأجهزة قد أصبحت بمثابة محطات إذاعة قائمة بذاتها ، فتحول النبض ودرجات الحرارة وسرعة التنفس . . . إلخ ، إلى موجات كهرومغناطيسية ذات ترددات خاصة ، فتنطلق هذه الموجات عبر الفضاء بسرعة ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية الواحدة فتلتقطها محطات استقبال أرضية ، وتحولها إلى « العقول » أو الحاسبات الإلكترونية ، وفيها تترجم الموجات إلى معلومات أو شفرات يعرف العلماء مغزاها ، ويتصرفون مع رواد الفضاء على هداها !

ومن حسنات غزو الفضاء أنه دفع العلماء إلى استنباط أجهزة صغيرة الحجم جداً مع كفاءة قصوى في الأداء ، وحساسية فائقة في التشغيل ، والسبب في ذلك لا يخفى على لبيب ، فمن المهم جداً أن تشغل هذه الأجهزة الصغيرة الحساسة أقل حيز ممكن في سفن الفضاء ، حتى لا تصبح عبئاً ثقيلاً عليها عند الانطلاق ، فالسفينة مزودة بمئات أو ربما آلاف الأجهزة التي تقيس وتسجل كل صغيرة وكبيرة ، ولهذا كان من الضروري أن يصبح كل جهاز ضئيل الوزن ، وصغير الحجم ، وبذلك تستوعب سفينة الفضاء ذات الحجم المحدود ما يمكن أن يستوعبه معمل كبير ، والفضل في ذلك يرجع إلى التكنولوجيا الحديثة التي نجحت في جعل كل شيء صغيراً . . فإلى عهد قريب كان جهاز الراديو يحتل في المنزل حيزاً كبيراً ، فأصبح من الميسور الآن أن تحمله في أحد الجيوب **(الترانزستور)** ــ كما أن **الحاسبات الإلكترونية** الضخمة التي كانت تحتل غرفة كبيرة ، قد أصبحت الآن في متناول كل إنسان ، ومن الممكن وضعها في جيب السترة دون أن نحس أننا نحمل شيئاً ذا بال .

والأمثلة بعد ذلك كثيرة . . **لكن الذي يهمنا في الموضوع أن الطب الحديث قد تزاوج مع التكنولوجيا الحديثة ، فاستفاد منها إفادة قصوى ، خاصة فيما يتعلق بالأجهزة الدقيقة التي تؤدي عمل الأجهزة الضخمة .**

محطات إذاعية وتلفزيونية

ولكي ندلل على ذلك ، فلا أقل من أن نقدم هنا عدة أمثلة قليلة ، لتوضح لنا بعض الإنجازات العلمية الحديثة . . فمن الممكن الآن أن يبلع الإنسان « **محطة إذاعة** » لا يزيد حجمها عن حجم حبة أو كبسولة دواء ، فتذيع من داخل المعدة والأمعاء ، بعض ما يتوق إليه الطبيب المعالج من أنباء . . وما الأنباء هنا إلا أنباء تغيرات في الأغشية المبطنة للجهاز الهضمي ، فيعرف الطبيب أية اضطرابات تشريحية أو فسيولوجية أو كيميائية ، وبذلك يستغني عن الوسائل التقليدية القديمة في تعليل الداء ، وبهذا أصبحت تلك المحطة الإلكترونية الدقيقة بمثابة «جاسوس» يتعرف على ما خفي عن عيوننا أو أحاسيسنا الأخرى القاصرة .

ولقد استخدم العلماء **الخلايا الكهروضوئية** في سفن الفضاء ، ومن خلالها **تتحول الطاقة الضوئية إلى طاقة كهربية** ، لتصبح مصدراً دائماً من مصادر الطاقة التي تعتمد عليها السفينة في تشغيل أجهزتها الإلكترونية ، ثم انتقلت هذه الفكرة من سفن الفضاء إلى جسم

الإنسان ، فبعد تحوير الفكرة وتطويرها بما يتلاءم مع أجسامنا ، أصبح من الممكن الآن تثبيت خلايا كهروضوئية دقيقة في أماكن مختلفة من الجسم ، فتذيع باستمرار ما تسجله عن كفاءة الدورة الدموية في أي عضو أو نسيج ، ليس هذا فحسب ، بل تعطينا صورة واضحة عن بعض التغيرات التي تحدث في الدم ، فتسجل مثلاً درجة تشبعه بغاز الأوكسيجين ، أو تركيز غاز ثاني أوكسيد الكربون . . . إلخ .

وكما تنقل أقمار التجسس سيلاً من المعلومات عن الأسلحة المخبأة ، أو التفجيرات النووية ، أو الثروات المعدنية والبترولية المدفونة في باطن الأرض ، أو التغيرات الحادثة في مناخ الكوكب ، أو هجرة أسراب الأسماك في البحار . . إلخ ، وذلك عن طريق أجهزة مختلفة وحساسة (**«عيون» تليفزيونية ومجسات الأشعة تحت الحرارية ، وحاسبات إلكترونية . . إلخ**) .

كذلك أصبح من الممكن الآن أن نرى ما يجري في داخل أجسامنا على شاشة كبيرة ، فلقد أمكن التجسس عليها — أي على أجسامنا — بكاميرات تليفزيونية دقيقة ، فتنقل لنا ما يجري في الباطن من أحداث نحن نشتاق إلى معرفتها أشد الاشتياق ، لأنها تعطينا فكرة دقيقة ، وحصيلة علمية عظيمة ، لنتعرف على المتاهات التي لا زالت كامنة في أجسامنا ، ونحدد الأمراض والاضطرابات التي تتعرض لها الخلايا والأنسجة والأعضاء ، وكلما تجسسنا أعمق ، عرفنا تفاصيل أدق وأعظم ، ومنها نتوصل إلى تشخيص الداء ، ووصف الدواء ، وبهذا نخفف معاناة البشرية من قائمة طويلة وعريضة من الأمراض التي تتعرض لها باستمرار .

جواسيس أعظم كفاءة

لقد كانت «عين» الأطباء العلمية التي تكشف لهم ما خفي عن عيونهم التقليدية تتمثل لنا في الأشعة السينية (**أو أشعة اكس**) التي تكشف لنا عن الكسور والحصوات والدرن الرئوي وبعض الأورام . . إلخ ، ولا زالت هذه الطريقة مستخدمة في كثير من المستشفيات المنتشرة في العالم ، لكن المستشفيات الحديثة قد استعاضت عن هذه الطريقة «بتكنيك» جديد أكثر تطوراً ، وأعظم توضيحاً ، ومن المنتظر أن يحدث ثورة في الكشف عن الأمراض التي عجزت الأشعة السينية عن توضيحها ، أو حتى عن إظهار صورة لها تقريبية ، لترشد الأطباء إلى الخبر اليقين ، أو التشخيص القويم .

في عام ١٩٧٩ م ، حصل اثنان من المغمورين على **جائزة نوبل في الفسيولوجيا والطب** ، والغريب أن كلا منهما ليس طبيباً ولا عالماً ولا باحثاً ، أولهما مهندس إلكترونات إنجليزي يدعى **جودفري هاونسفيلد** ، والثاني فيزيائي يدعى **آلان كورماك** ويعمل في إحدى الجامعات الأمريكية ، ولهما مع هذا الكشف المثير قصة طويلة وغريبة ، ونحن نرانا في حل من التعرض لها هنا لضيق المجال ، لكن يكفي أن نذكر أن الجهاز الجديد — الذي استحقا عليه جائزة نوبل — يستطيع أن يمسح كل تفاصيل الجسم مسحاً دقيقاً ، ويحدد الأمراض بدقة بالغة ، لدرجة أن كفاءته في التوضيح أكبر بحوالي ٢٥ مرة من كفاءة الكشف بالأشعة السينية .

والشيء الذي يجعل لهذا الجهاز الجديد جاذبية خاصة أنه متصل بحاسب إلكتروني ، وبجهاز تليفزيوني ، وبأشرطة «فيديو» تسجل عليها كل صغيرة وكبيرة ، وبحيث إذا دارت هذه الأشرطة (ملونة أو غير ملونة) ، فإنها توضح كل جزء في الجسم ، وكأنما نحن ننظر إلى خريطة دقيقة غاية الدقة ، ثم إن هذا الجهاز المثير يكتشف أي حيود أو شذوذ في الأنسجة المختلفة ، ويحدد موقعه بدقة تامة ، ويشخص نوع الشذوذ ، والواقع أن الحاسب الإلكتروني هو الذي يقوم بهذا العمل الضخم ، إذ يختزن سيلاً جارفاً من المعلومات ، ويجري عليها عشرات الألوف من الحسابات ، ثم يحدد كل صغيرة وكبيرة عن المرض المكتشف .

ولقد كانت كل هذه الأمور عويصة المنال قبل ظهور هذا الجهاز ، خاصة مع المخ الذي قد يصاب بورم ، أو بجلطة أو نزيف أو تصلب في شرايينه ، ثم تعجز الأشعة السينية عن تحديد هذا المرض أو ذاك ، لكن جهاز المسح التليفزيوني الإشعاعي بحاسبه الإلكتروني (أو «م ت اح» — أخذنا الحرف الأول من كل كلمة من باب الاختصار ليس إلا) ، يستطيع أن يقدم لنا صوراً كاملة لكل سنتيمتر من المخ سواء بالطول أو العرض أو في العمق ، ويوضح فيها الفرق بين الدم العادي والمتجلط ، والنسيج الدهني ، والنسيج المتورم ، أو المصاب بالتهاب ، ويوضح أيضاً إن كان **الورم السرطاني** لا يزال محدوداً في موضعه ، أو أنه قد انتشر إلى مواقع أخرى . . . إلخ .

لقد كان الطبيب أو الجراح يقف في أغلب الأحيان عاجزاً عن تشخيص أي نوع من هذه الإصابات في الأمخاخ ، وإذا راودته نفسه في معرفة ما يجري في أعماق المخ من شذوذ ، فلا بد أن يسلك في هذا السبيل طرقاً مجهدة لنفسه ولمريضه ، كأن يجري مثلاً عمليات استكشاف تتسم بالخطورة على المريض ، خاصة فيما يتعلق بأنسجة المخ الحساسة ،

لكن جهاز «م ت اح» يقدم له كل ما يتوق إليه من معلومات تمهد له الطريق إلى علاج أو جراحة تقوم على أساس . . لا على تكهنات غير مأمونة العواقب ، ولن يستغرق هذا المسح الدقيق سوى بضع دقائق قليلة ، بدلا من أيام طويلة قد يلزم فيها المريض المستشفى ، ثم ما يترتب على ذلك من نفقات باهظة !

إن هذا التطور العظيم في التجسس على ما في باطن المخ أو الكبد أو الكلى أو الرئتين أو الجهاز الهضمي . . إلخ . . إلخ بواسطة «م ت اح» ليس إلا خطوة متواضعة ، بدأت منذ سنوات قليلة ، ولا بد أنها ستتطور إلى ما هو أدق وأكفأ ، بحيث تؤدي إلى اكتشاف هذه الأكوان الصغيرة الحجم ، والعظيمة الشأن التي تتآلف في أجسامنا ، لتعزف فيها أنغام سيمفونية رائعة . . هي سيمفونية الحياة !

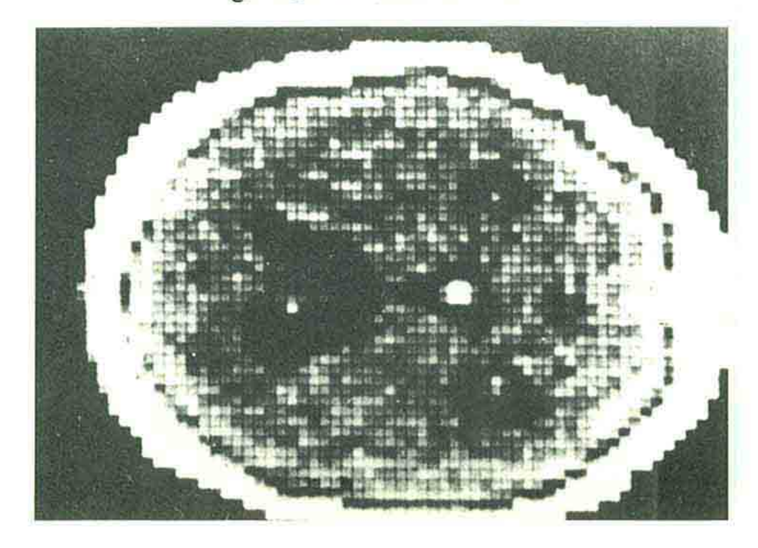
من موجات "فوق" صوتية "إلى" صور مرئية

ورغم أن الطرز المختلفة من أجهزة « م ت اح » قد طورت معارفنا عن الكثير من خبايا وأسرار أجسامنا ، إلا أنها تنطوي على بعض الأخطار الناتجة من تعريض الجسم لجرعات من الأشعة السينية ، لكن أخطارها لا تقارن بأخطار الورم الخبيث مثلاً . . فهي تستطيع أن تكشفه في مراحله الأولى . . أي قبل أن يستفحل خطره ، ويعم تدميره ، أضف إلى ذلك أن مثل هذه الأجهزة لا يُنصح باستخدامها في حالات السيدات الحوامل ، لأن تعريض الأجنة للأشعة السينية ، خاصة في مراحل النمو المبكر ، قد يؤدي إلى تشوهات لا تحمد عقباها ، لكن التجسس على ما تحتويه الأرحام بالموجات فوق الصوتية ، مثلاً ، لا يمثل أية أضرار على الأجنة ، أو على أي نسيج آخر في الأجسام الحية .

لقد ظهر التصوير الصوتي ـــ أي تحويل الموجات الصوتية إلى صور مرئية ـــ منذ فترة طويلة (أي في بداية هذا القرن) ، لكنه لم يستخدم كوسيلة فعالة للكشف عن الأمراض المختلفة إلا منذ عدة سنوات ، ففي السنوات الخمس الأخيرة مثلاً ، حدث تطور عظيم وسريع في التجسس على الجسم البشري **بالصدى الصوتي المرتد** ، فهناك طرازات مختلفة من الأجهزة المتطورة التي تستخدم فكرة توليد موجات فوق صوتية غير مسموعة للأذن البشرية ، ثم توجيهها إلى الجزء المصاب من الجسم ، فتخترقه دون ألم أو أذى ، ثم ترتد مرة أخرى إلى الجهاز ، فيقوم بتحليل الموجات المرتدة ، ويعطينا صورة واضحة عن الأنسجة المختلفة .



★ طراز آخر لجهاز « م ت اح » ، ليصور مخ المريض جزءاً جزءاً ، ثم يعطينا خريطة (إلى أسفل) للمخ تدخل « العقل » الإلكتروني ليحدد إن كان هناك ورماً أو جلطة أو تصلباً أو إصابة ميكروبية . . إلخ ★



والواقع أن التجسس على أسرار الجسم بالموجات فوق الصوتية قد فتح لنا الباب على مصراعيه للتطلع إلى عوالم خافية لا تتضح بأجهزة الكشف التقليدية ، فمن حيث كفاءة جهاز الصدى الصوتي في التشخيص ، فإن هذه الكفاءة قد تصل إلى ٩٥ ٪ ، أو ٩٩ ٪ ، أو حتى ١٠٠ ٪ . . كل هذا يتوقف على الجزء المراد اكتشافه .

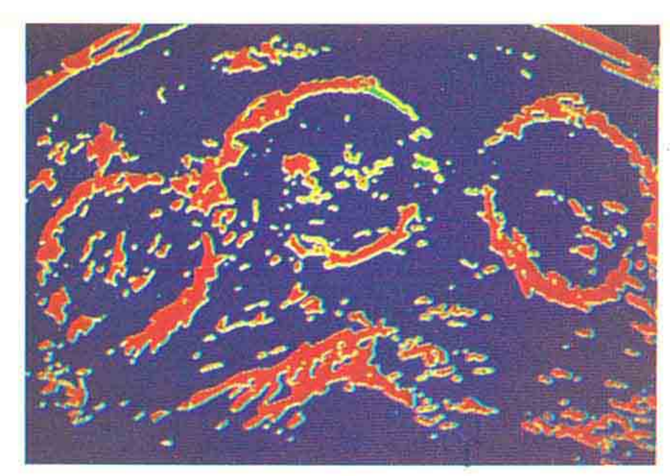
ومن حيث دقة **التشخيص** ، فإن الأمور تبشر بخير كثير ، إذ من الممكن مثلاً أن يكتشف الأطباء أي شذوذ في القلب ، حتى ولو كان هذا الشذوذ في قلب جنين لا يزال يتكون في رحم أمه . . **فبواسطة الصدى المرتد ، أصبح بالإمكان مثلاً معرفة إن كانت صمامات القلب في الجنين سليمة أو معطوبة ، وما هو نوع العطب** ، كما أن هذا « التكنيك » يوضح أيضاً أية تكوينات غير سوية في مخ الجنين ، فعلى سبيل المثال استطاع أحد الأطباء في **بوسطن** أن يكتشف وجود سائل متجمع في رأس جنين عمره حوالي خمسة أشهر ، وبالتحديد بين **غلاف المخ الخارجي أو الجمجمة** ، وبين نسيج المخ ذاته ، وهذا من شأنه أن يضغط على المخ فيمنع نموه إلى الدرجة المطلوبة ، فما العمل إذن في مثل هذه الحالة الخطيرة ، خاصة وأن الجنين لا يزال في رحم أمه ؟

لقد جاء جهاز التردد فوق الصوتي ليصبح عين الطبيب التي يرى بها ما في الباطن ، فبواسطة إبرة دقيقة وطويلة استطاع الطبيب أن يصل إلى مخ الجنين مخترقاً بذلك حواجز البطن والرحم وغلاف مخ الجنين حتى وصل إلى طبقة السائل المتجمع ، فسحبه بالإبرة ليعطي للمخ فرصة النمو الصحيح ، ولقد كانت مثل هذه العملية الدقيقة شبه مستحيلة ، لكنها أصبحت ممكنة بفضل هذا « الجاسوس » العلمي . . نعني جهاز التردد فوق الصوتي ، إذ كانت الموجات المرتدة من الإبرة أثناء اختراقها لجسم الأم الحامل ولرأس جنينها بمثابة المرشد أو العين التي توضح مسار الإبرة بدقة تامة ، حتى تصل إلى هدفها المنشود .

ولا شك أن الإنجازات التي حققها هذا الجهاز لا تعد ولا تحصى ، إذ هو بقادر على اكتشاف ما قد يتعرض له أي نسيج من شذوذ أو إصابة أو ورم أو خراج أو حويصلات . . إلخ ، ولقد بلغ من دقته أنه يستطيع أن يوضح إن كانت شبكية العين قد أصيبت بالانفصال ، وموقع هذا الانفصال ودرجته ، هذا بالرغم من أن شبكية العين رقيقة غاية الرقة ، ومن هنا كانت دقته أيضاً في تحديد أي ورم ليفي أو سرطاني في الأرحام والأثداء والكلى والكبد والمخ والرئتين والطحال . . إلخ .

رؤية مباشرة بمناظير ضوئية

رغم أن الصور التي تسجل على أشرطة ممغنطة بواسطة جهاز « م ت اح » أو تلك التي يرسمها **جهاز الصدى فوق الصوتي**



★ صورة للرحم وبداخله ثلاثة أجنة في الأسابيع الأولى من التكوين .. والصورة جاءت بجهاز الصدى فوق الصوتي المرتد الذي لا يحدث أية أضرار على الأجنة .. ورغم أن شكل الأجنة (الدوائر المكونة من خطوط متعرجة) قد لا يعني لنا شيئاً ، إلا أن الأطباء يقرؤونها بطريقتهم الخاصة ، فلكل خط أو مساحة أو لون سبب وتعليل ★

لا يعرفها إلا العلماء أو أطباء أخصائيون مدربون تدريباً حسناً ، ورغم أن بعض هذه الصور المعروضة مع هذا المقال قد لا تعني شيئاً بالنسبة للإنسان العادي ، إلا أنها في الواقع خرائط دقيقة تتكون من نقط أو خطوط منفصلة أو متلاحمة ، ومن الشكل العام لهذه الخرائط البيولوجية يمكن معرفة النسيج السليم من النسيج المعطوب ، وقد يتوه الطبيب مثلاً في تفاصيلها ، ومن أجل هذا صممت لها حاسبات إلكترونية خاصة تستطيع تحليلها بدقة بالغة ، ثم تعطينا في النهاية نتيجة يمكن الاعتماد عليها في تشخيص نوع المرض وموقعه بدقة تامة .

لكن الأمور تختلف مع المناظير الضوئية الحديثة التي شهدت بدورها في السنوات الخمس الأخيرة تطوراً عظيماً بفضل التقدم التكنولوجي في مجالات البحث العلمي .. فبواسطة هذه المناظير تستطيع أن ترى صورة حقيقية ومجسدة لبعض الأعضاء الداخلية بالعين المجردة ، أو قد يتصل المنظار الضوئي بجهاز تليفزيوني ملون أو غير ملون ، وعلى شاشته تظهر الأنسجة المبطنة للزور أو المريء أو المعدة أو الأمعاء أو المثانة .. إلخ .

فبفضل التطور الذي حدث في صناعة الألياف الزجاجية ، وأنابيب البلاستيك المرنة ، وعدسات التصوير الدقيقة ، والمصابيح الكهربية الصغيرة الحجم جداً ، وما يتصل بذلك من أجهزة إلكترونية ، وكاميرات تليفزيونية ، وأدوات جراحية .. إلخ ، أصبح من الممكن أن نستكشف عالمنا الداخلي دون اللجوء إلى عمليات جراحية نستكشف بها المستور عن عيوننا .. فمن خلال أية فتحة طبيعية في الجسم (مثل الفم والأنف والشرج والفتحات التناسلية .. إلخ) يمكن إدخال أنبوبة الجهاز لنرى عن طريقه التهتكات والأورام والجلطات والقرح والأجنة في الأرحام ، ليس ذلك فحسب ، فلقد أمكن مثلاً نقل فصيلة دم إلى جنين داخل رحم أمه (لأن فصيلة دمه كانت من ذلك النوع الذي يؤدي إلى تكوين بروتينات مضادة فيها خطورة على حياته وحياة أمه) .

وطبيعي أن ذلك ما كان ليتم ، لولا رؤية حقيقية للجنين وهو في ظلمات الرحم ، والفضل في ذلك يرجع إلى المنظار الضوئي الذي ينقل صورة الجنين على شاشة تليفزيونية ، ثم ما يتصل بهذا المنظار من أدوات دقيقة غاية الدقة ، ومنها الإبرة التي غرست في أحد الأوعية الدموية الرئيسية للجنين ، وعن طريقها تم نقل فصيلة الدم المطلوب .

أو قد يستدعي الأمر إجراء عملية جراحية بسيطة لعمل فتحة صغيرة ، ليلج منها المنظار الضوئي إلى أحد تجاويف الجسم (كالقفص الصدري أو تجويف البطن) ، فيضيء ما في الباطن ، وينقل صورة حقيقية للعين ، أو قد يظهرها على شاشة تليفزيونية ، وحيث يتحرك المنظار في الداخل ، وتتحرك معه الأدوات الطبية الدقيقة ، يستطيع الطبيب الجراح أن يحقن دماً ، أو يحصل على عينة صغيرة من نسيج تحتاج إلى تحليل ، أو يزيل قرحة ، أو يستأصل زوائد غير مرغوب فيها ، أو يغرس مادة مشعة في ورم سرطاني .. إلى آخر هذه الأمور التي يتشعب فيها الحديث ويطول .

جواسيس أخرى

وبجوار هذا توجد وسائل كثيرة « لترينا ما لا عين رأت » .. فهناك مثلاً **التصوير بالأشعة تحت الحمراء** ، والتصوير من خلال المواد المشعة المحقونة في الجسم ، لتتجمع في أماكن محددة منه ، فتطلق إشعاعاتها ، أو توضح مساراتها ، وكأنما هي تعيد إلى أذهاننا تلك القصة الأسطورية التي تحكي أن الفئران قد عقدت اجتماعاً لتضع في رقبة قط مفترس جرساً يرن كلما تحرك القط وسار ، وبهذا تحذره الفئران ، لكنها اختلفت فيما بينها على أمر جوهري ، فمن ذا الذي يستطيع أن يعلق الجرس في رقبة القط دون أن يفترسه ؟

لكن العلماء فعلوها .. ليس مع قطط أو فئران وأجراس .. بل مع مواد مشعة تنبئ عن مسيرتها في الجسم بإشعاعات تطلقها ، فتلتقطها أجهزة قياس الإشعاع وتحدد موقعها ومسارها ، أو قد يمكن تصويرها بأجهزة خاصة .. مثال ذلك **أن الأورام السرطانية قد تنتقي من الدم مركبات تحتاجها ، فلماذا إذن لا « نعلق » ذرات مشعة على متن هذه المركبات لتنتقل معها إلى الورم ، وتتركز في النهاية داخله ، فتبيده بإشعاعاتها قبل أن يبيد السرطان الجسم ذاته ؟** .. وقد كان !

هناك أيضاً طرق التجسس بإشعاعات من الجسيمات الذرية .. فالتصوير النيوتروني والبوزيتروني لا يزال في مراحله الأولى ، ويأمل العلماء في تطويره ، إذ إنه يبشر بمستقبل زاهر في مجال البحوث الطبية .

ذكرنا في صدر هذه الدراسة أن كل شيء يتطور إلى الأكفأ والأتقن بسرعة فائقة ، فلكي نلج إلى المجهول ، ونتعرف على خباياه ، فلا أقل من أن نتسلح بأدوات العلم الحديثة التي توضح لنا أموراً نقف أمام أسرارها كالعميان الذين يتخبطون على غير هدى ، لكن عيون العلم قد منحت عيوننا القاصرة أبعاداً ورؤى جديدة لأكوان لا زالت مجهولة في أجسامنا ، وبالعلم يبلغ الإنسان ما يريد .. **﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾** .. وفي هذا الكفاية لقوم يدركون .

Paul Buhré

بول بوريه

من كبار صانعي الساعات في العالم منذ عام ١٨١٥م .





المركز الرئيسي : جدة - شارع المطار وشارع الأشراف ص.ب : ٣٤٩٨

الرياض : شارع الملك عبدالعزيز وشارع الناصرية

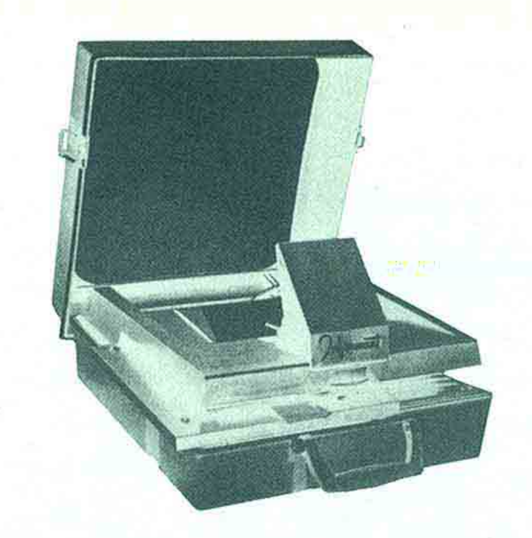
[illegible]

المدينة : شارع السنبلية وشارع الملك عبدالعزيز



شعر: محمد صهيهود النايف

يحنّ إلى ذكراكِ في لوعةٍ قلبي
فيذكرُ أيام الصبابة والحبِّ
وهل تمنحي . . . والروح تشتهي جذورها
لتبسمَ كالأزهار في صُبْحها الصَبِّ
وكيف قضيناها نساهرُ ليلنا
وننثر فجراً باقةَ العشقِ في الدربِ
ستسألنا الأيام يأس : ونسألكم . . ؟
وقد يُحْتُمُ ما في القلوب إلى الصَّحْبِ
وكيف نُخَبِّيهِ ، وشمسٌ مروجُهُ
وهل يختبي نورُ العيونِ عن الهُدْبِ
وتلك رياحينُ الدُنا لو تجمَّعتْ
لما بلغتْ ما فاح من طيبه العَذْبِ
تذكَّرْتُها يوم التقينا بنظرةٍ
غزتْ أضلُعي واستوطنتْ داخلَ القلبِ
فَرَقَتْ لها الأضلاعُ إذْ ماس عودُها
فأحنته تكريماً وحيَّتْ على الرَّحْبِ
وقد حفِظَتْ تلك السنون عهودنا
وخضّر عودُ الآس في الموقع الجَدْبِ
وقد كنتِ مدَّ العين . . لو زارني النوى
وكنتِ نديمَ الروحِ في البعدِ والقُرْبِ
يدقّ فؤادي لو ذكرتُ ندى الصِّبا
وميلادَ سرٍّ ظل لليوم في الجنْبِ
وتجفلُ أنفاسي إذا مرَّ طائرٌ
به طيفُ ذكرى لا تضيع من الهُدْبِ
أيا مولداً عزّتْ عليَّ طيوبُهُ
تمنيتُ أنّي وَسْط منبعِهِ العَذْبِ
لأحملَ أطلالَ السنين التي مضتْ
وأحفظها بين الجوانح واللُّبِ
أحنّ إلى ذكراك لو طوّل النوى
فإنّ الهوى يسمو بمرْبَعِهِ الخصْبِ



★ جهاز قراءة ميكروفيش متنقل (حقيبة) ★



المصغرات الفيلمية

بقلم: محمد عوض العايدي

تتزايد حركة النشر في العالم في الآونة الأخيرة تزايداً كبيراً حتى بلغ ما يصدر اليوم من الكتب ما يقرب من ٦٠٠,٠٠٠ كتاب بعدد من النسخ يتراوح بين ٥ ــ ٨ بلايين نسخة، ويصدر أيضاً حوالي مليون دورية توقف نصفها تقريباً عن الصدور.

وتنوعت أشكال الأوعية الفكرية وتطورت عبر العصور، فبعد أن كانت عبارة عن مواد بدائية كالحجارة والعظام والجلد والبردى والرق **أصبحت أشكال الأوعية الفكرية اليوم تعد بالعشرات يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسيين:**

١ ــ **المواد المطبوعة: Printed Materials** وتشمل الكتب Books والدوريات Serials والتقارير Reports والرسائل الجامعية Dissertations والمواد الأرشيفية Archival materials ومحاضر الجلسات Proceedings وغيرها من المواد المطبوعة.

ب ــ **المواد السمعية والبصرية: Audio-visual materials** وتشمل الخرائط Maps والأفلام Films والشرائح Slides والأسطوانات Discs والأشرطة Tapes وأفلام الفيديو Videotapes والفيلمات Filmstrips وغيرها من المواد السمعية والبصرية.

وأمام هذا الانفجار الهائل من المعلومات وتعدد أشكال الأوعية الفكرية **وتزايد حركة النشر بهذه الصورة واجهت المكتبات ومراكز المعلومات مشاكل الحيز الذي يمكن أن تحفظ فيه هذه المواد مما أدى إلى ظهور قسم ثالث جديد يمكن أن نضيفه إلى القسمين السابقين وهو المصغرات الفيلمية بأشكالها المتعددة.**

ولكن ما الأسباب التي أدت إلى ظهور كل هذه الأهمية لتلك المصغرات وما فوائدها؟

فائدة المصغرات الفيلمية

في الواقع إن تزايد الحاجة إلى المصغرات الفيلمية والإحساس العميق بمدى أهمية هذا الاختراع لم يأت من فراغ، وإنما جاء نتيجة مشاكل الحيز التي تعانيها المكتبات حيث أصبحت مساحات الفراغات في المكتبات، ومراكز المعلومات، تضيق عن استيعاب ما ترغب المكتبات في اقتنائه. ولكن مع تحميل تلك المعلومات على وسائط مصغرة أصبح في الإمكان مواجهة هذا النمو الهائل للمطبوعات حيث يصل التوفير في الحيز إلى ٩٨٪، ويمكن أن نتصور ذلك إذا علمنا أن **الميكروفيلم الواحد بطول ٣٠ متراً يمكن أن يستوعب حوالي ٨٠٠٠ صفحة**، وأن **الميكروفيش** في حالة التصغير المتناهي Ultra high reduction قد يستوعب حتى ٣٠٠٠ صفحة وهذا يوضح لنا مدى التوفير في الحيز.

ومن **فوائد المصغرات** الفيلمية أيضاً المحافظة على الكتب النادرة، والمخطوطات من التلف بسبب كثرة الاستخدام من جانب القراء، فيمكن تحميل هذه الأصول على مصغرات فيلمية وتحفظ الأصول في خزائن خاصة ويتاح للقراء النسخ المصغرة فقط.

ومن الأسباب التي أدت إلى تزايد الحاجة إلى المصغرات الفيلمية تعرض الوثائق والكتب النادرة **للحرائق**، ولكن مع تحميلها على مصغرات فيلمية وحفظها في خزائن خاصة يمكن أن يحفظها من الحرائق في حالة وقوعها.

وكذلك فإن الحاجة إلى حفظ الصحف والمجلات لفترات طويلة يعتبر من الأسباب التي أدت إلى تزايد أهمية المصغرات الفيلمية حيث يمكن تحميل تلك الدوريات، وخاصة القديمة منها على وسائط فيلمية يمكن تجديدها كلما طرأ عليها تغيير مادي.

على أننا لا يمكن أن نغفل عاملاً أساسياً من عوامل تزايد الحاجة إلى المصغرات الفيلمية وهو **العامل الاقتصادي**، حيث إنه من المؤكد أن تكاليف إنتاج المصغرات الفيلمية أرخص من تكاليف إنتاج الوسائط المطبوعة وذلك بسبب انخفاض أسعار المادة التي تصنع منها.

كما أنه في بعض الأحيان لا يتاح في الأسواق غير النسخ المصورة على مصغرات فيلمية في حالة نفاد الطبعات وخاصة بالنسبة للكتب النادرة والوثائق والمطبوعات الحكومية وغيرها من المواد ذات الأهمية الخاصة.

أشكال المصغرات الفيلمية

وقد تنوعت أشكال المصغرات الفيلمية Formats وتعددت وأصبحت تتميز فيما بينها وتنفرد بخصائص في استخدامها كل عن الآخر. وأول هذه الأشكال وأقدمها على الاطلاق هو **الميكروفيلم** Microfilm وهو عبارة عن فيلم تصوير مثل ذلك النوع المستخدم في كاميرات التصوير المتداولة، وهو مصنوع من مادة البلاستيك أو الأسبتات، وأفضل أنواع هذه الأفلام هو النوع المسمى **بالفيلم الفضي** Silver film لأن هذا النوع من الأفلام شديد الحساسية بالنسبة للتصوير العادي. وتتاح هذه الأفلام في الأسواق بعروض مختلفة وهي ٨ مم، ١٦ مم، ٣٥ مم، ٧٠ مم، ١٠٥ مم، ولكن أكثرها استخداماً هو ١٦ مم، و٣٥ مم، ويقاس الفيلم باللفة Roll التي عادة ما يكون طولها ١٠٠ قدم، وقد يتاح إما على **بكرة** Reel وهي بكرة مفردة يلف عليها الفيلم، أو على **كارتردج** Cartridge وهي عبارة عن علبة أو صندوق صغير مقفل من البلاستيك به بكرة واحدة بمقياس الميكروفيلم، وذلك لحفظ وصيانة الفيلم من التلف، أو يتاح على **كاسيت** Cassette وهي عبارة عن علبة أو صندوق صغير مقفل من البلاستيك ولكن به بكرتان بمقياس الفيلم، وهي أكثر حفظاً للميكروفيلم من كل الأشكال الأخرى، حيث لا تستدعي ظروف استخدام الفيلم ضرورة خروجه من العلبة، وبالتالي سيكون أكثر سهولة في التداول.

ويتوقف اختيار المكتبة لأي من هذه الأشكال على نوع الأجهزة المتاحة نفسها. ويستوعب الفيلم الواحد بطول ١٠٠ قدم ما بين أربعة آلاف إلى ثمانية آلاف صفحة ويتوقف ذلك على عرض الفيلم نفسه، وعلى حجم الصفحات المحملة أو المصغرة وكذلك على درجة التصغير Reduction ratio. وتتفاوت درجات التصغير حسب قرب الكاميرا من الكتاب المصور أو بعدها. **والمعروف حتى الآن أربع درجات من درجات التصغير وهي:**

١ ـ Low reduction وهي التي يصغر فيها العمل إلى أقل من ١٦ مرة،

٢ ـ High reduction وهي التي يصغر فيها العمل ما بين ٣١ ـ ٦٠ مرة،

٣ ـ Very high reduction وهي التي يصغر فيها العمل ما بين ٦١ ـ ٩٠ مرة،

٤ ـ Ultra high reduction وهي التي تزيد فيها درجة التصغير عن ٩٠ مرة.

وتستخدم درجات التصغير هذه في كل أشكال المصغرات الفيلمية. ويتميز الميكروفيلم بأنه يصلح لتحميل **المواد الأرشيفية** Archival materials وكذلك أنواع معينة من الكتب والمخطوطات، وبصفة عامة يصلح لتحميل المواد التي يراد حفظها على المدى البعيد، ولا يرجع إليها إلا على فترات متباعدة ويقل استخدامها، ومن أهم مميزاته أيضاً رخص تكاليف إنتاجه عن أي نوع من أنواع الاستنساخ سواء المطبوعة Inkprint أو المصغرة. ويمكن إعادة تحميل الميكروفيلم مرة أخرى حيث إن عمر الفيلم لا يزيد عن ١٥٠ سنة، وقد يقل عن ذلك بسبب كثرة الاستخدام مما يعيب الفيلم بسرعة. **ويستخدم الفيلم بواسطة جهاز قراءة** Reader وهو عبارة عن جهاز به عدسة مكبرة ومصدر ضوء قوي يسلط على النص فتظهر صورة النص كبيرة على الشاشة. ويوجد من هذا الجهاز نوع آخر يعرف باسم **جهاز قراءة وطباعة الميكروفيلم** Microfilm Reader Printer يمكن أن يمد القارئ بصورة من الصفحة التي يريد الحصول عليها.

أما الشكل الثاني من المصغرات الفيلمية هو **الميكروفيش** Microfiche وهو عبارة عن بطاقة فيلمية شفافة وتتاح بأحجام مختلفة ٣ × ٥ بوصة، ٦ × ٨ بوصة ولكن أكثرها انتشاراً هي ٤ × ٦ بوصة (١٠٥ مم × ١٤٨ مم) وقد تتسع البطاقة لعدد من الصفحات قد يصل في حالة التصغير الشديد جداً إلى حوالي ٣٠٠٠ صفحة، وتسمى البطاقة في هذه الحالة **أولترافيش** Ultrafiche. **والميكروفيش الواحد به درجتين للتصغير**، درجة تصغير شديدة جداً لتصغير النص، ودرجة تصغير عادية للعنوان حتى يمكن التعرف عليه بسهولة. **ويتميز الميكروفيش برخص تكاليف إعادة تحميله، كما أنه يمكن تغليفه، وإرساله بالبريد إلى أي مكان** مما يسهل عملية تداوله وانتشاره، **ويتميز أيضاً بطول عمره إذ يصل إلى حوالي ٢٥٠ سنة، كما أن أجهزة القراءة الخاصة به متاحة في الأسواق بأثمان زهيدة وبعدة أشكال.**

أما **الشكل الثالث** من المصغرات الفيلمية فهو **الميكروكارد** Microcard وهو عبارة عن بطاقة بيضاء مصقولة من الورق الحساس المستخدم في طبع الصور الفوتوغرافية. ويستوعب الميكروكارد عدداً من الصفحات قد يصل إلى ٤٠٠ صفحة تبعاً لحجم الصفحات، ودرجة التصغير. ويتاح الميكروكارد بأحجام قياسية ٣ × ٥ بوصة أو ٤ × ٦ بوصة. **ويتميز الميكروكارد بأن عمره أطول من المصغرات الأخرى إذ يصل عمره إلى عدة قرون.**

و**الشكل الرابع** من أشكال المصغرات الفيلمية هو **الفيلموركس** Filmorex وهو عبارة عن فيلم تصوير من النوع المتاح في الأسواق، يتم تصويره بصورة متصلة، ثم يتم تقطيعه إلى شرائح يتراوح طولها بين ٣ - ٦ سم، وتحمل هذه الشرائح بمعلومات قائمة بذاتها، وتحفظ هذه الشرائح بترتيب معين في حوافظ Jacket، وتتسع الحافظة الواحدة لحوالي ١٥٠ شريحة.

أما **الشكل الخامس** من أشكال المصغرات الفيلمية هو **الميكروأوبيك** Micro-opaque وهو عبارة عن صورة فوتوغرافية على ورق حساس مأخوذة عن فيلم نيجاتيف أي أن الكتابة ستكون بيضاء وخلفية الصورة معتمة أو مظلمة (بعكس الميكروكارد تكون الكتابة سوداء

وخلفية الصورة بيضاء) ويستخدم الميكروأوبيك بواسطة جهاز قراءة Reader مثله في ذلك مثل بقية المصغرات الفيلمية ويتاح في الأسواق حالياً أجهزة قراءة يمكن بواسطتها قراءة كل من الميكروفيش والميكروكارد والميكروأوبيك. **وبسبب استحالة إعادة تحميل الميكروأوبيك مرة أخرى فإنه لم ينتشر استخدامه في المكتبات بصورة كبيرة.**

و الشكل السادس من أشكال المصغرات الفيلمية هو **البطاقات المعتمة** Aperture Cards أو **البطاقات ذات الفتحة** وهي عبارة عن بطاقات مزودة بفتحة مستطيلة تتوسط عرض البطاقة، وهي مخصصة لتثبيت لقطة مصغرة واحدة تغطى بطبقة من البلاستيك الشفاف لوقايتها. وكان يتم تثبيت الفيلم بالبطاقة يدوياً إلى أن أمكن إنتاج بطاقات مزودة بأفلام خام يتم تحميل المعلومات عليها. ويستخدم هذا النوع من المصغرات في تحميل الخرائط والرسوم الهندسية. واللقطة الواحدة قد تتسع لعشر صفحات كما أنها تتميز بقلة تكاليف إنتاجها وسهولة ترتيبها واسترجاع المعلومات المحملة عليها.

إنه من الضروري لكل مكتبة ترغب في اقتناء مجموعات من المصغرات الفيلمية أن تتعرف أولا على أدوات الاختيار الخاصة بها، وسوف نلقي الضوء بصورة سريعة على بعض هذه الأدوات:

أدوات الاختبار

١ ـ Microforms Market Place :

ويتوفر على إصدار هذه الأداة مؤسسة Microform Review منذ عام ١٩٧٤ / ١٩٧٥ م، حتى الآن. وهي تعتبر من الأدوات الهامة في إمداد المكتبات بالمعلومات الكاملة عن أسماء ناشري المصغرات الفيلمية Micropublishers وتحتوي هذه الأداة على كشاف موضوعي وكشاف جغرافي علاوة على المتن المرتب ترتيباً هجائياً بأسماء الناشرين. وهي تعطي نجمة Asterisk أمام أسماء الناشرين الذين يقدمون خدمات فيلمية علاوة على تسويقهم لها.

٢ ـ Micropublisher's Trade List Annual (MTLA) :

ويتوفر على إصدار هذه الأداة مؤسسة Microform Review منذ عام ١٩٧٥ م حتى الآن، وهي عبارة عن قائمة بما يصدره حوالي ٣٠٠ من ناشري المصغرات على ميكروفيش.

٣ ـ Dissertation Abstracts International :

ويتوفر على إصدار هذه الأداة University Microfilms منذ عام ١٩٣٨ م، وكانت تصدر تحت عنوان Microfilm Abstracts في الفترة من ١٩٣٨ ـ ١٩٥١ م، ثم تغير عنوانها من ١٩٥٢ ـ ١٩٦٩ م، إلى العنوان الحالي. وهي تحتوي على كشافات ومستخلصات لحوالي ٣٥,٠٠٠ رسالة كل سنة معظمها رسائل محلية محملة على ميكروفيلم، وتصدر في أعداد شهرية في مجلدين منفصلين، المجلد الأول عن الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، والمجلد الثاني عن العلوم والهندسة. وقد صدر المجلد رقم ٣٧ ككشاف للرسائل التي نشرت في هذه الأداة.

٤ ـ Guide to Microforms in Print (GMP) :

ويتوفر على إصدار هذه الأداة مؤسسة Microform Review منذ عام ١٩٦٠ م، حتى الآن. وهي تشبه إلى حد بعيد الأداة الشهيرة Books in Print للمطبوعات، تصدر سنوياً وتحوي كل ما يصدره الناشرون في الولايات المتحدة الأمريكية عدا الرسائل الجامعية على مصغرات فيلمية بكافة أشكالها. وهي مرتبة ترتيباً هجائياً بالمدخل الرئيسي، وتحوي أيضاً قائمة محدودة ببعض الصحف مرتبة بالولايات ثم بالمدينة. وتعطي عن كل مادة من المواد المعلومات الآتية: سعر المادة، اسم الناشر، الطريقة المستخدمة لإنتاج المصغرات. وفي طبعة عام ١٩٧٤ م، صدرت الأداة وهي تحتوي على ٢٢,٠٠٠ مادة هي حصيلة إنتاج ١٠٨ من الناشرين استخدموا ١٣ طريقة مختلفة لإنتاج المصغرات الفيلمية بكافة أشكالها. وحيث إن هذه الأداة مرتبة ترتيباً هجائياً بالمدخل الرئيسي، فإن القائمين على إصدارها رأوا ضرورة إصدار قائمة موضوعية منفصلة هي: Subject Guide to Microforms in Print وهي تحتوي على نفس المواد، ولكنها مرتبة تحت موضوعات مصنفة تصنيفاً واسعاً.

٥ ـ International Microforms in Print: A Guide to Microforms of Non-United States Micropublishers (IMP) :

ويتوفر على إصدار هذه الأداة مؤسسة Microform Review منذ عام ٧٤ / ١٩٧٥ م، حتى الآن. وهي عبارة عن قائمة بالمصغرات الفيلمية التي يصدرها الناشرون خارج **الولايات المتحدة الأمريكية** مرتبة ترتيباً هجائياً بالمدخل الرئيسي مع ترتيب موضوعي. وتحتوي على الصحف والمجلات والمطبوعات الحكومية والمواد الأرشيفية فضلاً عن الكتب. وقد احتوى العدد الأول على حوالي ٨١٠٠ عنوان لحوالي ٤١ ناشراً موزعون كالآتي: **٢١ من المملكة المتحدة، ٩ ناشرين من أوروبا، ٧ ناشرين من كندا، ناشران من اليابان، ناشر واحد من كل من أستراليا وإفريقيا.**

٦ ـ Microform Review :

وهي تصدر فصلية منذ عام ١٩٧٢ م حتى الآن، وتقدم صورة نقدية عن الكتب المحملة على مصغرات فيلمية.

٧ ـ National Register of Microform Master (NRMM) :

وقد توفرت **مكتبة الكونجرس** على إصدار هذه الأداة منذ عام ١٩٦٥ م، حتى الآن وهي تصدر سنوياً. وفي عدد سنة ١٩٧٢ م، احتوى العدد الأول على حوالي ٥٣,٠٠٠ مدخل. وتضم فقط بيانات ببليوجرافية عن النسخ الأصلية للمصغرات الفيلمية التي بواسطتها يمكن إنتاج نسخ من المصغرات الفيلمية، وتضم أيضاً نوعاً آخر من المصغرات الفيلمية التي تقاوم الحرائق. وهي بذلك لا تحتوي على المصغرات الفيلمية التي تقتنيها المكتبات، والتي تستخدم لخدمة القراء. وتغطي هذه الأداة الكتب والدوريات في ترتيب هجائي واحد. وكل مادة تعطي عنوان العمل مختصراً، ثم بيانات النشر كاملة، ثم الوصف المادي لها. وكانت

ترتب البيانات في بداية إصدار هذه الأداة تحت رقم بطاقة مكتبة الكونجرس، معنى ذلك أنه للوصول إلى عنوان محدد لا بد من المرور بمرحلتين، **الأولى** معرفة رقم بطاقة مكتبة الكونجرس، **والثانية** البحث في الأداة نفسها، ولكن اعتباراً من عام ١٩٧٠م، أصبح الترتيب الهجائي هو الترتيب المتبع.

٨ ــ The Bulletin :

وهي تصدر عن **جمعية الميكروفيلم التابعة للمجلس الدولي للوثائق**. وهي تعطي تقارير مفصلة عن نشاطات تفليم الوثائق.

٩ ــ Union List of Microfilms, 1942 – 1961 :

وقد توفر على إصدار هذه الأداة كلًا من : Philadelphia Bibliographic Centre، و Union Library Catalogue. وبدأ صدورها عام ١٩٤٢م، مع خمسة ملاحق سنوية ١ ـ ٥ (١٩٤٣ ـ ١٩٤٧م) ثم صدرت تجميعة لها عام ١٩٥١م، تحت عنوان جديد هو : Union List of Microfilms, Revised, Enlarged and Cumulative Edition، ثم تبعها إصدار ملاحق سنوية من ١٩٤٩ ـ ١٩٥٢م، ثم من ١٩٥٢ ـ ١٩٥٥م. ثم صدرت في عام ١٩٦١م، التجميعة الأخيرة من ١٩٤٩ ـ ١٩٥٩م، وتحتوي على أكثر من ٥٢,٠٠٠ مدخل عبارة عن إضافات جديدة لأكثر من ٢١٥ مكتبة في الولايات المتحدة الأميريكية وكندا.

وهي بطبيعة الحال لا تحتوي إلا على المواد المحملة على ميكروفيلم ولا تضم الصحف والرسائل الجامعية. وعلى الرغم من أن هذه الأداة قد توقفت عن الصدور إلا أنها في بعض الأحيان تجيب على أسئلة المكتبيين عندما تعجز الأدوات الجارية عن ذلك.

١٠ ــ Union List of Publications in Opaque Microform :

وقد توفر على إصدار هذه الأداة Scarecrow Press بتجميع من Eva Maude Tilton عام ١٩٥٩م، ثم صدر لها ملحق عام ١٩٦١م، وطبعة منقحة عام ١٩٦٤م. وترتب المواد داخل هذه الأداة ترتيباً قاموسياً. وعلى الرغم من أن هذه الأداة قد توقفت عن الصدور، إلا أنها ما زالت حتى الآن ذات قيمة جيدة لمن يريد أن يبحث عن عناوين معينة محملة على ميكروأوبيك.

١١ ــ Foreign Newspaper and Gazette Report :

وهي تصدر عن مكتبة الكونجرس منذ عام ١٩٧٤م، حتى الآن، وتصدر ثلاث مرات في السنة وتقدم معلومات عن الصحف الأجنبية المحملة على ميكروفيلم، وبها قسم خاص يسمى Clearinghouse on Library Microform Project تسجل به قائمة بالعناوين الجديدة.

١٢ ــ Newspapers in Microform : United States :

وقد توفرت مكتبة الكونجرس على إصدار هذه الأداة منذ عام ١٩٤٨ ــ ١٩٧٢م، تحت عنوان Newspaper on Microfilm (NOM). ومنذ عام ١٩٧٣م، وهي تصدر تحت العنوان الحالي، وهي تضم كل ما نشر من تقارير في NOM بالإضافة إلى التقارير التي نشرت حتى صيف ١٩٧٢م. وتحتوي على حوالي ٣٤٢٨٩ مدخلاً للصحف التي نشرت في الولايات المتحدة الأميريكية.

١٣ ــ Newspapers in Microform : Foreign :

وهي تصدر أيضاً عن مكتبة الكونجرس منذ عام ١٩٤٨ ـ ١٩٧٢م، تحت عنوان Newspaper on Microfilm (NOM). ومنذ عام ١٩٧٣م، وهي تصدر تحت العنوان الحالي، وهي تضم كل ما نشر من تقارير في NOM بالإضافة إلى التقارير التي نشرت حتى صيف ١٩٧٢م. وتحتوي على حوالي ٨٦٢٠ عنواناً للصحف الأجنبية.

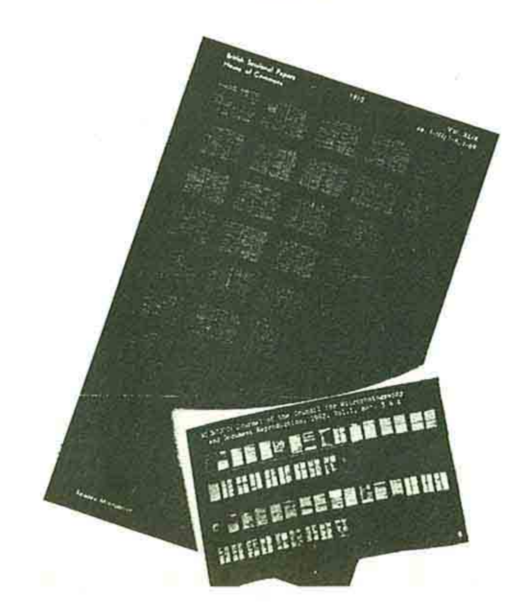
وتعطي الأدلة والأدوات السابقة في مجموعها صورة سريعة عن أدوات الاختبار اللازمة للمكتبات، وقد حاولنا أن تغطي هذه الأدوات معظم أشكال المصغرات الفيلمية من ميكروفيلم وميكروفيش وميكروأوبيك، كما حاولنا أيضاً أن تغطي كافة أنواع المطبوعات من كتب ودوريات، ومطبوعات حكومية، ورسائل جامعية، وصحف، ومواد أرشيفية، وغيرها. وتعطي هذه الأدلة، والأدوات بيانات أساسية لكل مكتبة تريد الحصول على مجموعات مصغرة، لأنه لا بد لكل مكتبة أن تحدد قبل أن تقوم بالشراء الفعلي طبيعة المواد ونوع وشكل المصغرات التي تتناسب مع الأجهزة التي تقتنيها بالفعل.

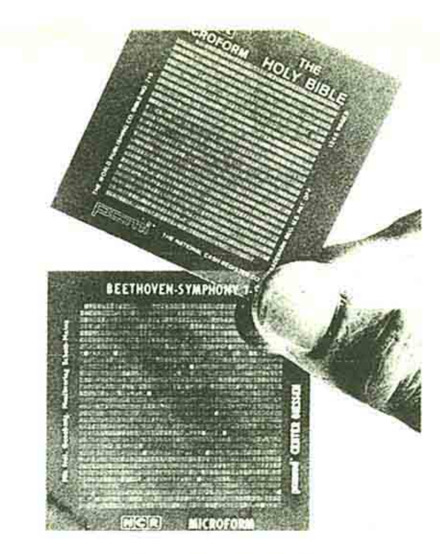
معلومات عن المجموعات

والواقع أن **المعهد الأميريكي للمعايير القومية** American National Standards Institute (ANSI) قد ألزم ناشري المصغرات بضرورة تقديم معلومات أساسية عن مجموعاتهم حتى تكون عوناً للمكتبات في تحديد طبيعة هذه المجموعات نوجزها فيما يلي :

١ ــ العنوان والعنوان الفرعي والسلسلة إن وجدت.
٢ ــ مكان نشر المصغرات.
٣ ــ قائمة بأسعار المجموعات.
٤ ــ الحسم على الطلبات المسبقة الدفع إن كان هناك حسماً.


★ أولترافيش ★





★ ميكروكارد وميكروبرنت ★

٥ ـ جداول بتاريخ صدور المجموعات الحالية والمتوقعة .

٦ ـ حجم وشكل المصغرات الفيلمية (ميكروفيلم ، ميكروفيش . . . الخ) .

٧ ـ درجة التصغير المستخدمة في المجموعات .

٨ ـ طبيعة ونوع الأفلام المستخدمة .

٩ ـ مدى مطابقة المجموعات للمعايير التي أصدرها المعهد الأمريكي للمعايير القومية ANSI أو الجمعية القومية للمصغرات Natioanl Micrographics Association أو مكتبة الكونجرس Library of Congress .

وإذا كان المعهد الأمريكي للمعايير القومية قد ألزم الناشرين بضرورة تقديم حد أدنى من المعلومات عن مجموعاتهم تعين أمناء المكتبات في عملية الاختيار ، فنحن من جانبنا نقدم بعض الإرشادات لأمين المكتبة قد تساعده في عملية التزويد .

إرشادات لأمين المكتبة

● **أولا : يجب على أمين المكتبة أن يتوخى الآتي قبل أن يبدأ في إرسال طلبات مجموعات المصغرات .**

(أ) التأكد من إمكانية الحصول على الخزائن والدواليب والأرفف التي تناسب المصغرات .

(ب) امكانية الحصول على المواد والأدوات البيليوجرافية الكافية لأداء العمل بصورة جيدة مثل **الفهارس المطبوعة** Printed indexes **وبطاقات الفهارس** Catalog Cards .

(ج) إمكانية الحصول على أجهزة القراءة المناسبة لكل شكل من أشكال المصغرات .

(د) التأكد من سمعة Reputation الناشرين ، ومستوى أدائهم ، قبل التعامل معهم ، كذلك معرفة طاقاتهم الإنتاجية من المصغرات والمعايير Standards التي يتبعونها .

(هـ) التعرف على الناشرين الذين يقدمون ضماناً لإنتاجهم Micropublisher's guarantee والتأكد من أن الضمان حقيقياً وليس وهمياً .

(و) مقارنة الأسعار عند أكثر من ناشر حيث إن هناك تفاوتاً كبيراً بين أسعار الناشرين .

(ز) أن يبقى أمين المكتبة على علم مستمر ومعرفة دائمة بما يصدر من معايير جديدة في عالم المصغرات والاطلاع على نشرات المعهد الأمريكي للمعايير القومية ANSI .

● **ثانياً : يجب على أمين المكتبة أن يراعي النقاط التالية عند إجراء عمليات التزويد الفعلية للمكتبة :**

١ ـ لا بد أن يحدد بادئ ذي بدء الموزع أو الناشر الذي سيتعامل معه واضعاً في اعتباره أن معظم الناشرين يقومون بتوزيع إنتاجهم بأنفسهم وعليه أيضاً أن يتصل بأكثر من ناشر عندما يقوم بشراء مجموعات كبيرة من المصغرات حتى يحصل على أفضل عرض .

٢ ـ لا بد أن يتضمن طلب الشراء معلومات دقيقة Accurate data ومحددة للمواد التي يطلبها ، حتى لا يحدث اضطراب وخاصة عند التعامل مع ناشرين من خارج البلاد حيث يصعب رد المواد إليهم ثانية ولذلك يجب أن يتضمن طلب الشراء المعلومات الآتية :

أ ـ **الوصف الببليوجرافي الكامل للأعمال الأصلية** Original work على أن تتضمن كحد أدنى اسم المؤلف ، عنوان العمل ، بيانات النشر كاملة .

ب ـ **تحديد شكل المصغرات** Formats المطلوب بالتحديد : ميكروفيلم ، ميكروفيش ، ميكروكارد . . . الخ .

جـ ـ **درجة التصغير** Reduction ratio المطلوبة .

د ـ **عدد الوحدات** Units المطلوبة : عدد اللفات أو البكرات أو الكاسيت أو البطاقات . . . الخ .

هـ ـ **نوع الفيلم** Film type المطلوب : Siver أو Diazo أو Vesicular .

و ـ **طبيعة الفيلم** Film polarity المطلوب : سالب Negtive أو موجب Positive .

ز ـ **تحديد عدد النسخ** Number of copies المطلوبة من العمل .

ح ـ **تحديد عدد النسخ المطلوبة من الفواتير ، وعنوان المكتبة بالتحديد .**

ط ـ **رقم وتاريخ طلب الشراء** Purchase order .

٣ ـ في حالة دفع قيمة المجموعات مسبقاً Advance payment للناشر لا بد من الرجوع إلى الإدارة المالية الخاصة بالمكتبة ، حتى لا تحدث مخالفات مالية ، وخاصة في حالة عدم وفاء الناشر بالتزاماته في الوقت المحدد من ناحية ، وإجراء الحسم المقرر على الدفع مسبقاً من ناحية أخرى .

٤ ـ في حالة الاشتراك Subscription في الدوريات التي تصدر على مصغرات لا بد أن يتوقع التأخير في وصولها إلى المكتبة ما لا يقل عن

ستة شهور ، وهو الوقت الذي تستغرقه عملية التحميل ، علاوة على أنه في بعض الأحيان لا بد من عمل اشتراك جاري في الأصل المطبوع .

٥ ــ تتبع نفس الاجراءات الخاصة بالمطالبات Claims للأعداد الناقصة ما يتبع في حالة الدوريات المطبوعة .

٦ ــ **في حالة إلغاء** Cancellation طلبات الشراء لا بد أن يتم ذلك بوسيلة اتصال سريعة ، وقبل أن يتم نسخ المصغرات وإلا فإن الناشر سوف لا يقبل الإلغاء .

٧ ــ ضرورة فحص المصغرات عند استلامها فحصاً مادياً Physical inspection دقيقاً ، والتأكد من مطابقتها لطلبات الشراء والفواتير من جهة ، وأنها في حالة مادية سليمة من جهة أخرى ، وضرورة التأكد من وصول الكشافات والفهارس الخاصة بها .

٨ ــ **في حالة إعادة المصغرات إلى الناشر يجب أن يتم ذلك بصورة سريعة مع بيان أسباب عدم قبولها (عدم مطابقتها لطلبات الشراء ، عدم وصولها بحالة مادية سليمة ... الخ) وفي هذه الحالة على أمين المكتبة اتباع الآتي :**

(أ) إرسال خطاب إلى الناشر مع المصغرات المعادة يوضح أسباب رفضها .

(ب) إعادة المصغرات على الحالة التي تم استلامها عليها .

(جـ) إرسال صورة من طلب الشراء في حالة عدم مطابقتها لطلبات الشراء ليتأكد الناشر من ذلك .

(د) إيضاح ما إذا كانت المكتبة ترغب في نسخة بديلة Replacement أو اعادة المبالغ إليها .

٩ ــ لا تختلف الإجراءات المالية وطريقة الدفع في حالة المصغرات عنها في حالة المطبوعات .

والمصغرات الفيلمية مثلها في ذلك مثل المطبوعات إذا لم تنظم وتفهرس وتصنف فإنها ستصبح عبئاً كبيراً على المكتبة ، خاصة مع اختلاف الطبيعة المادية Physical Formates لكل شكل من أشكال المصغرات الفيلمية ، وبالتالي إذا كانت المطبوعات يتم فهرستها وتصنيفها ليسهل الرجوع إليها وقت الحاجة ، وتقديمها لمن يطلبها في أسرع وقت ممكن ، فإن الضرورة تحتم فهرسة وتصنيف المصغرات الفيلمية أيضاً . وعلى الرغم من أن طبيعة المصغرات الفيلمية تختلف عن المطبوعات من حيث التجليد أو التغليف (علب ، كاسيتات ، بكرات أو أظرف للبطاقات) تقتضي فصلها عن المطبوعات ، وحفظها وتخزينها في أماكن خاصة ، بعيداً عن المطبوعات إلا أن ذلك لا يعني إهمالها وعدم فهرستها وتصنيفها .

ومن حيث فهرسة المصغرات الفيلمية فهرسة وصفية ، فمن المعروف أن المصغرات الفيلمية ما هي إلا نسخاً مصورة أخذت عن أصل مطبوع سواء كان ذلك الأصل دورية أو كتاباً أو رسالة جامعية أو في أي شكل من أشكال المطبوعات ، لذلك فإننا عند فهرستنا لهذه المصغرات سوف نتبع نفس القواعد المتبعة في فهرسة المطبوعات مع بعض الاختلافات البسيطة . **ففي فقرة المدخل** يتبع في شأنها ما يتبع في فقرة المداخل في الكتب والدوريات والرسائل الجامعية ، فإذا كان للأصل المطبوع المأخوذ عنه النسخة المصغرة مؤلفاً سواء كان مؤلف شخص أو مؤلف هيئة أدخل هذا العمل باسم المؤلف وإذا لم يكن هناك مؤلفاً يكون المدخل الرئيسي بالعنوان . أما عن **فقرة العنوان** فليس هناك اختلاف بينها وبين فقرة العنوان في حالة الكتب سوى أن نذكر صفة الوسيط (ميكروفيلم ، ميكروفيش ، ميكروأوبيك ... الخ) وبين قوسين بعد العنوان مباشرة . ثم تتوالى بعد ذلك بيانات التأليف وبيانات النشر Micropublishing وهي لا تختلف كثيراً عنها في حالة الكتب . أما عن **فقرة الوصف المادي** Collation **فهي** مصدر الاختلاف الظاهر بين فهرسة المصغرات والمطبوعات ، ففي هذه الفقرة نذكر عدد الوحدات المكون منها العمل (٢ ميكروفيلم ، ١٣ بطاقة معتمة ، ٥ ميكروفيش ... وهكذا) ثم نذكر طبيعة الفيلم Film Polarity إن كان سالباً أو موجباً ثم نذكر بعد ذلك الايضاحات Illustrations إن وجدت ثم يذكر بيان أبعاد العمل بالسنتيمتر أو بالبوصة حسب المقاس المستخدم في المكتبة ثم في نهاية فقرة الوصف المادي يذكر **بيان السلسلة** إن وجدت . بعد ذلك **فقرة الملاحظات** وفيها كما هو الحال في حالة المطبوعات يسجل المفهرس كل ما يراه ضرورياً ولم يستطع إدراجه في الفقرات السابقة ثم يلي ذلك **فقرة المتابعات** Tracings .

أما عن الفهرسة الموضوعية للمصغرات فإنه يمكن استخدام نفس قوائم رؤوس الموضوعات المستخدمة من قبل المكتبة في حالة الكتب عند فهرسة المصغرات حتى نحافظ على وحدة الإدراك لدى القارئ ، حيث إن القارئ الذي يبحث في موضوع معين فإنه لا يعنيه أن يجد المعلومات التي يريدها في مطبوعات أو على مصغرات فيلمية . وعلى الرغم من اختلاف آراء المفهرسين حول طريقة تنظيم المصغرات الفيلمية وتصنيفها ، إلا أنه في نظرنا أن استخدام نفس خطة التصنيف المستخدمة في المكتبة هو الأسلوب الأمثل ، وأن هذا التوحيد Uniformity سوف يجنب القارئ كثيراً من الاضطراب من ناحية ، ومن ناحية أخرى سوف يساعد على سهولة أداء العمل في قسم الفهارس ، حيث يمكن في حالة اقتناء المكتبة لنسخة من العمل على كتاب ونسخة أخرى مصغرة أن يعاملا معاملة واحدة من حيث الفهرسة والتصنيف ، وأن تعد لهما بطاقة واحدة على أن ينوه عن ذلك في **فقرة الملاحظات** بأن العمل متاح أيضاً على ميكروفيلم also in microfilm أو أنه متاح أيضاً في كتاب also in book form على أن يعطي رقم الطلب في نفس الفقرة ، وبذلك نوفر كثيراً من الجهد والوقت للمفهرسين . ويرى بعض المفهرسين أنه يمكن إضافة حروف مختصرة أو استهلالية إلى **رقم الطلب** Call Number لتفريق أشكال المصغرات الفيلمية عن بعضها ، فيمكن أن توضع الحروف م . ف للميكروفيلم ، يقابلها في **البطاقات الأجنبية** MF والحروف م . ك للميكروكارد ، ويقابلها في البطاقات الأجنبية MC والحروف م . أ للميكروأوبيك ، يقابلها في البطاقات الأجنبية MO ، وهكذا على أن توضع هذه الحروف بين قوسين لتمييزها عن الحروف المستخدمة في رقم الطلب ، وتوضع هذه الحروف فوق رقم الطلب الذي سوف يتكون في

هذه الحالة من :

أ) الحروف المختصرة المميزة لشكل المصغرات الفيلمية .

ب) رقم التصنيف حسب خطة التصنيف المستخدمة في المكتبة .

جـ) الحروف الأولى لاسم المؤلف أو لاسم المؤلف والعنوان حسب النظام المستخدم في المكتبة .

وذلك لسهولة تحديد مكان العمل حيث إن كل شكل من أشكال المصغرات يحفظ في مكان منفصل عن الآخر . وعلى أي حال فإن استخدام أية طريقة من طرق تنظيم المصغرات الفيلمية أفضل بكثير من تركها أكواماً غير مرتبة .

والمصغرات الفيلمية تحتاج إلى أسلوب مناسب في التخزين والحفظ والتداول ، وإذا كانت معظم المصغرات الفيلمية تستطيع أن تقاوم عوامل الزمن أكثر من الأوعية الورقية ، إلا أن ذلك لا يعفينا من مسؤولية إتاحة وتحقيق أفضل الوسائل لحفظ هذه المواد حتى تبقى في حالة مادية جيدة أطول وقت ممكن .

والواقع أن طريقة حفظ وتخزين المصغرات يختلف باختلاف نوع كل جيل Generation من المصغرات من ناحية ، ومدة الحفظ المطلوبة من ناحية ثانية . فهناك **النسخة الأصلية (الأم)** Master Copy وهي غالباً لا تتاح في المكتبات للاستخدام ، حيث إنها النسخة السالبة ، أو النسخة التي تلي السالبة مباشرة ، وهي عادة تحفظ لآماد طويلة ، ولا يسمح بتداولها على الاطلاق لأهميتها الكبيرة إلا في حالة الضرورة القصوى . وهناك **النسخة البديلة (الوسيطة)** Intermediate Copy وهي النسخة التي تلي النسخة الأم مباشرة ، وهي أيضاً لا تقتنى بواسطة المكتبات حيث إنها النسخة التي تستخدم في نسخ النسخ المتداولة Use Copy ، ويمكن أن تحفظ منها نسخة أخرى توضع في مكان تبادلي مع النسخة الأم كتصرف وقائي عند تعرض النسخة الأم للتلف . والنسخ الأم والتبادلية المفروض أنها تحفظ لمدد طويلة تزيد عن الخمسين سنة ، وعليه **يجب وضع الأفلام داخل علب معدنية مع تثبيت حافة العلبة بشريط لاصق لمنع تسرب الأتربة والرطوبة ثم توضع العلب المعدنية داخل علب ورقية ، ويسجل عليها البيانات الببليوجرافية الخاصة بالأفلام ، ثم تحفظ بعد ذلك في خزائن معدنية تتميز بمقاومتها للحرائق ، مع مراعاة أن تكون الخزائن خالية من أي مواد عازلة مثل الدهان حتى لا ينتج عنها عند تسخينها بخار ماء قد يفسد الأفلام ، كما يجب أن يكون المكان المحفوظ به الخزائن مزود بأجهزة إنذار أوتوماتيكي للحريق يبدأ العمل في إطفاء الحرائق بمجرد وقوعها** . على أن يراعى أن تكون **درجة الحرارة** في مكان حفظ هذه المصغرات في حدود ١٥ درجة مئوية **ودرجة الرطوبة** Humidity في حدود ٣٠ ٪ . أما النسخ المتداولة Use Copy أو النسخ التي تحفظ حفظاً مؤقتاً ، وهي عادة النسخ التي تستخدم في المكتبات من قبل القراء فإنها إذا حفظت في درجة حرارة مناسبة ٢٠ ـ ٢٥ درجة مئوية ، ودرجة رطوبة مناسبة ٥٠ ٪ ، واستخدمت استخداماً جيداً يمكن أن تعيش بحالة مادية جيدة فترة طويلة لأن سوء تشغيل الأفلام ، خاصة في درجة حرارة عالية ، ودرجة رطوبة غير مناسبة تسرع في تلف الأفلام وتعريتها Degradation ، فدرجة الرطوبة المرتفعة والتي تزيد عن ٦٠ ٪ تساعد على نمو الفطريات التي تهاجم الأفلام بعد ذلك وبالتالي تؤدي إلى تشويهها . وإذا صاحبت درجة الرطوبة المرتفعة ارتفاع في درجة الحرارة فإنها ستؤدي إلى التصاق الأفلام ببعضها وتلفها . وتؤدي درجة الرطوبة المنخفضة إلى تقصف الأفلام وتقوسها ، وبالتالي صعوبة ضبط البؤرة في أجهزة القراءة . على أننا يمكن أن نقول بصورة عامة إن درجة الحرارة العادية ودرجة الرطوبة العادية التي يمكن أن يتحملها الإنسان العادي يمكن أن تحفظ فيها الأفلام دون أي تلف ولفترة طويلة . **ومراعاة العوامل الآتية يمكن أن يساعد على إطالة عمر المصغرات المتداولة وسهولة استرجاعها :**

١ ـ حفظ الأفلام والمصغرات في علب وحوافظ خاصة شديدة الإحكام سوف يحافظ عليها من التلف المادي Physical والكيمائي Chemical على أن يراعى أن تكون العلب مصنوعة من مواد لا تحتوي على أحماض Acid أو كبريتات Sulphur .

٢ ـ فصل وحفظ كل شكل من أشكال المصغرات في مكان منفصل كل على حدة يساعد على سهولة الرجوع إليها .

٣ ـ استخدام خزائن ودواليب خاصة تتناسب مع كل شكل من أشكال المصغرات الفيلمية ، وهناك أنواع عديدة من هذه الدواليب مقسمة بطريقة تتناسب مع كل شكل وتحفظها من الأتربة والهواء الفاسد .

٤ ـ عدم تخزين الأفلام في دواليب أو خزائن متآكلة Corrosive ويفضل استخدام الدواليب والخزائن المصنوعة من الصلب الذي لا يصدأ (**استانليستيل**) أو الألومنيوم أو الحديد المدهون بطبقة ثابتة من الدهان مع مراعاة عدم حفظ الأفلام بها قبل أسبوعين من الدهان حتى يجف تماماً .

٥ ـ لا ننصح باستخدام المحاليل التي تحافظ على نسبة الرطوبة Humidity Stabilization Solution في الخزائن ، وخاصة مع وجود أجهزة حديثة لذلك ، لأن هذه المحاليل نفسها تفسد الأفلام .

٦ ـ يجب حفظ الأفلام والمصغرات في الرفوف العليا من الدواليب حتى لا تكون عرضة للتلف في حالة تسرب مياه في غرف التخزين .

٧ ـ ينصح باستخدام أجهزة إنذار ذاتي ضد الحرائق في حالة حدوثها مع أجهزة إطفاء أوتوماتيكية .

٨ ـ ينصح بمسك الأفلام من أطرافها حيث إن عرق الإنسان يفسدها .

٩ ـ ينصح بفحص واختبار الأفلام بصورة دورية على أن تبدأ كل ستة شهور ، ثم كل سنة ، أو كل سنتين ، حتى في حالة حفظ الأفلام في ظروف مثالية ، حتى لا تفاجأ المكتبة بتلف الأفلام ، ولتقليل المجهودات والتكاليف المبذولة في عملية الفحص يمكن اختيار عينات عشوائية لذلك .

استخدام النباتات البرية

بقلم
د. محمود عبد القوي زهران

تشغل الأراضي الصحراوية، والمستنقعات المالحة جزءً كبيراً من جملة مساحة الأراضي بالبلاد العربية، حيث تنمو أنواع كثيرة من النباتات البرية المعمرة ذات قوة التحمل العالية للجفاف أو الملوحة بالتربة، وكذلك يمكنها أن تعيش تحت ظروف جوية متطرفة ويتمركز نمو هذه النباتات في مجاري مياه الأمطار (الوديان)، وفي الواحات والمنخفضات حيث المياه الجوفية قريبة من سطح الأرض، وبالمستنقعات المالحة الساحلية والداخلية، وعلى سفوح الجبال، وكل نوع من هذه النباتات له مواصفات مورفولوجية، وتشريحية، وفسيولوجية خاصة، تمكنه من تحمل ظروف البيئة المحيطة به.

لم يخلق الله سبحانه وتعالى هذه النباتات البرية إلا لحكمة أرادها سبحانه وتعالى، وترك للإنسان أن يبحث ويوضح ويبيّن سر خلقها، وقد اهتدى الإنسان من قديم الأزمنة إلى فوائد أنواع عديدة من النباتات التي كانت تنمو بالفعل نمواً برياً، واستأنسها وتعرف على تاريخ حياتها، وسبل زراعتها، فاستكثرها واستغلها استغلالا طيباً، ومن أمثلة ذلك **نباتات المحاصيل والفواكه والخضر المعروفة لنا في هذه الأزمنة**، ومن ثم فإن **كل النباتات البرية التي نراها حولنا بالصحارى والبراري والجبال والمستنقعات المالحة لا بد وأن تكون ذات فائدة اقتصادية ما**. وهذا ما أوضحته الدراسات البيئية التي أجريت على تلك النباتات ومن نتائجها أنه **أمكن تقسيمها إلى أربع مجموعات أساسية تبعاً لفائدتها الاقتصادية كما يلي**:

(١) نباتات مراعي.
(٢) نباتات طبية.
(٣) نباتات ألياف.
(٤) نباتات وقود وأخشاب.

تشير المراجع العلمية أن هناك دراسات عديدة أجريت على أنواع كثيرة من نباتات المراعي البرية التي تتحمل الجفاف والملوحة، وذلك لزراعتها في المناطق التي لا تتوفر فيها المياه العذبة، ويسودها الطقس الحار لتكون محصولا خضرياً لتغذية الحيوان في تلك المناطق، وهناك أمثلة عدة مثل **نباتات القطف** Atriplex SPP. شديدة التحمل للملوحة **ونباتات كلوريس** Chloris SPP **والبانيكام** Panicum SPP شديدة التحمل للجفاف وغيرها. وقد نجحت تجارب التوسع في زراعة هذه الأنواع في **سورية** حيث أصبح محصول القطف **نوع ميميولاريا** A. Mimmularia محصولا أساسياً لتغذية الحيوانات في هذا القطر العربي، وكذلك نجحت بعض التجارب الحقلية في **جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية** على أنواع أخرى من القطف.

أما **النباتات الطبية البرية** فعددها لا حصر له، وقد تم بالفعل استخلاص المواد الفعالة من كثير منها، واستخدمت على المستوى التجاري في صناعة الأدوية، ولا تزال الدراسات والبحوث تضيف إلى معلوماتنا الكثير عن القيمة الطبية والاقتصادية لهذه النباتات.

لم تكن **نباتات الألياف البرية** موضع اهتمام إلا عدد قليل من البحاث العرب الذين أجروا دراساتهم المحدودة على ألياف بعض **نباتات الفصيلة العشارية والنجيلية**، واستخدم بعضها مثل **الحجنة** في صناعة الورق **بالجزائر** في نطاق محدود.

ولكن كل نباتات الألياف التي تمت دراستها تتميز بألياف قصيرة، ولذا فإن أهميتها الاقتصادية ليست كبيرة، إذاً لا بد من أن يخلط لبها بلب الخشب لإنتاج الورق، وهذا يعني أن تظل المصانع بالبلاد العربية أسيرة استيراد لب الخشب من البلاد المصدرة، وهذا ما يجب أن يوضع في الاعتبار خاصة بعد أن حذر علماء البيئة في جميع أنحاء العالم من مشكلة التصحر التي تزداد حدتها بقطع أشجار الغابات لصناعة الورق وخلافه.

في صناعة الورق

بالبلاد العربية

وبالطبع فإن البلاد المصدرة للأخشاب ستصل حتماً إلى درجة لا تستطيع عندها تغطية حاجة كل البلدان التي تستورد منها لب الأخشاب لصناعة الورق المتزايدة تزايداً كبيراً مع تطور العلم والمدنية، وازدياد الحاجة لأنواع الورق المختلفة **ولهذا فإن الدول العربية (وكلها مستوردة إما للورق أو للب الورق) يجب أن تبحث عن بديل محلي يغطي جزءً كبيراً من احتياجاتها لصناعة الورق وهذا لا يتأتى إلا بالبحث عن ثرواتها الطبيعية من النباتات البرية بالصحارى والمستنقعات المالحة والجبال** ... إلخ، وهذه تحتوي على عدد كبير من نباتات الألياف يمكن الاستفادة منها كمادة أولية محلية في صناعة الورق والحرير الصناعي ... إلخ، إذا كانت كمياتها النامية برياً كافية لتغطي حاجة البلاد أو إجراء الدراسات للتوسع في زراعتها تحت ظروف بيئية مماثلة لتلك التي تنمو عليها وتسودها، وهذا يعني أن تستغل ثرواتنا النباتية استغلالا راشداً.

استرشاداً بما سبق قام كاتب هذا المقال بدراسات حقلية وبحوث معملية وصناعية على **نباتات السمار المر** نوعي **Juncus rigidus** and **Juncus acutus** وذلك بغرض استخدامه كمادة أولية في صناعة الورق. ونبات السمار المر الذي يطلق عليه أسماء مختلفة في البلاد العربية مثل سمار حصر ـ قش الحصر ـ بابر ـ السمراء ـ السكولون ـ ديس ـ سخونوس ـ الأسد ـ البوط.. إلخ، هو أحد نباتات المستنقعات المالحة ويتميز بقوة تحمل عالية للملوحة بالتربة وله سوق أرضية (ريزومات) تتعمق في باطن الأرض إلى حوالي ٢٠ سم، وأفقياً إلى مسافات طويلة، ويعطي كل برعم من الريزومة سيقاناً هوائية خضراء لها الصفات التشريحية للأوراق، ولذا يطلق عليها السوق الورقية التي تصل أطوالها إلى أكثر من ١٥٠ سم، والتي تحتوي على نسبة عالية من الألياف وهذا هو الجزء الذي يستخدم في صناعة الورق وقد أثبتت الدراسات البيئية أن هذا النبات ينتشر في معظم البلاد العربية (**مصر ـ السعودية ـ العراق ـ ليبيا ـ سورية ـ المغرب ـ الجزائر ـ اليمن ـ السودان ... إلخ**)، وأوضحت الدراسات التشريحية أن أطوال ألياف السيقان الورقية تتراوح ما بين ١,٥ ـ ٢,٤ مم، وهذا عامل مشجع ودلالة هامة على إمكانية إنتاج لب الورق منها، وبالفعل أجريت التحاليل الكيميائية في معامل **مصنع شركة الورق الأهلية بالإسكندرية بمصر** وكانت النتائج مشجعة حيث وجد أن السيقان الورقية لنبات السمار المر تحتوي على نسبة عالية نسبياً من **السليلوز** (٣٩,٧٪) ونسبة قليلة نسبياً من **اللجنين** (١٣,٥٪).

وكما هو معروف فإنه كلما ارتفعت نسبة السليلوز وانخفضت نسبة اللجنين كان لب الورق الناتج ذو صفات جيدة، وقد أجريت في نفس المصنع المذكور تجارب نصف صناعية باستخدام طن واحد من نبات السمار دون خلطه بلب الخشب المستورد، وأنتجت ورقاً جيداً له مواصفات طبيعية وكيميائية عالية.

وبناء على هذه النتائج يجب توفير كميات كافية اقتصادية من نبات السمار المر حتى تتمكن المصانع بالبلاد العربية من إحلاله كمادة أولية لإنتاج الورق الجيد بدلا من استيراد لب الورق من الخارج أو على الأقل الاستغناء عن جزء كبير مما نستورده وذلك يتأتى إما بالاعتماد على الإنتاج الخضري من السمار المر من عشيرته النامية برياً بالمستنقعات المالحة بالعالم العربي أو إجراء دراسات حقلية للتوسع في زراعته في أراضي مالحة لا تصلح للزراعات التقليدية أو بأراضي رملية مروية بمياه البحار أو المياه الجوفية المالحة مباشرة.

وحيث إن المساحات التي تغطيها عشيرة السمار المر بالعالم العربي

ليست كبيرة وكثير منها بعيدة عن مراكز صناعة الورق ولذا فإن استغلال الكميات النامية منه برياً لن تكون اقتصادية ، ومن ثم ونظراً للفائدة الاقتصادية والقومية المرتقبة لنبات السمار المر في صناعة الورق فقد قام كاتب هذا المقال بالإشراف على الدراسات والتجارب الحقلية لإمكانية التوسع في زراعته في أراضي مالحة قريبة من مناطق التصنيع على نوعي السمار المر **ريجيداس وأكيوتاس** باستخدام ريزوماتها التي جمعت من مناطق نموها الطبيعي ، ونقلت إلى منطقة التجارب في الأراضي المالحة المتاخمة **لبحيرة المنزلة في دلتا النيل بمصر** ، وكانت النباتات تروى بمياه مأخوذة من نهاية **فرع دمياط لنهر النيل** التي تحتوي على نسبة عالية نسبياً من الأملاح (حوالي ٤٠٠ جزء في المليون) ، وقد تم تسميد الجيل الجديد من نباتات السمار المر بمخاليط من أسمدة النترات والفوسفات لمعرفة مدى تأثير هذه الأسمدة على كميات المحصول الخضري للسوق الورقية (التي تستخدم مباشرة في صناعة الورق) وكذا على أطوال أليافها ومحتواها من السليلوز واللجنين والبنتوزان . . . إلخ .

أثبتت نتائج التجارب الحقلية والتحاليل المعملية لهذه الدراسة ، التي كانت موضوع رسالة ماجستير تمت في **قسم النبات - كلية العلوم - جامعة المنصورة بجمهورية مصر العربية** أن زراعة نبات السمار المر في الأراضي المالحة ممكنة ، وأن تسميد هذه النباتات بمخاليط من أسمدة النترات والفوسفات أدت إلى زيادة ملحوظة في المحصول الخضري خاصة عندما كانت كمية النترات كبيرة ، أما زيادة كمية الفوسفات فقد أدت إلى زيادة أطوال الألياف ، ونجح الباحث في معرفة أنسب مخاليط الأسمدة لإنتاج أوفر من المحصول الخضري مع أطول الألياف ، وأعلى نسبة من السليلوز ، وأقل نسبة من اللجنين ، أي كل الصفات الطبيعية والكيميائية المطلوبة لإنتاج الورق الجيد .

بالإضافة إلى ما سبق فقد أثبتت الدراسات الحقلية أن زراعة نباتات السمار المر بالأراضي المالحة تقلل من نسبة الملوحة بالتربة ، أي يمكن استخدامها لإصلاح التربة المالحة بيولوجياً ، وثبت كذلك أن السمار المر نوع ريجيداس يفضل زراعته واستخدامه في صناعة الورق عن نوع اكيوتاس .

وهكذا أمكننا بعون الله وبالبحث العلمي والجهود المخلص أن نتعرف على الفوائد الكبيرة لأحد النباتات البرية التي تنمو بكثرة في أراضينا العربية وإنني لآمل أن نكتب قريباً عن نباتات برية أخرى ثبت نجاحها في المجالات الاقتصادية المتعددة لتزيدنا قوة ومنعة واعتماداً على الله ثم على النفس ... والله ولي التوفيق .

الورق وأهم مكوناته

يتركب الورق العادي من عدد كبير جداً من الألياف الرقيقة التي تشبه الشعيرات ، وهذه الألياف متداخل بعضها في بعض ، ومتلاصقة ، بحيث تكون سطحاً متصلاً أملس ، ويمكن رؤية هذه الألياف بالعين المجردة عند تمزيق قطعة من الورق فتبرز الألياف من حواف الورقة .

تتركب جميع هذه الألياف من **السليلوز** وهو مركب من ثلاثة عناصر رئيسية هي **الكربون والهيدروجين والأكسجين** ، وتعمل على بنائه الخلايا الحية في النباتات بطريقة معقدة ، وتعد ألياف القطن أنقى الصور التي يوجد عليها السليلوز في الطبيعة .

والورق كما نعرفه الآن عبارة عن رقائق مستوية تتكون من ألياف قصيرة من السليلوز وإذا أضيفت للألياف بعض المعادن **كالطفل الأبيض ومسحوق الحجر الجيري** مع بعض **الراتنجات** فإن هذه المواد تسد مسام الورق وتجعله قابلاً للصقل وصالحاً للكتابة والطباعة عليه .

وعلى ذلك فألياف السليلوز القصيرة هي أهم مكونات الورق ، ولا بد من توافر مصدر مناسب لهذه الألياف حتى يُحضَّر منها الورق بعد خلطها بمواد التجهيز فيصبح صالحاً للكتابة ولغير ذلك من الأغراض ، ويمكن الحصول على الألياف السليلوزية بطرق مختلفة ، وتوجد هذه الألياف بنسب مختلفة في أخشاب الأشجار والأجزاء النباتية ، وتتوقف قيمة أي ورق على درجة نقاء مادة السليلوز الموجودة فيه ، هذا وكان **قدماء المصريين هم أول من صنعوا الورق من نبات البردي الذي كان يغزر نموه في مصر حينئذ .**



بقلم: إسماعيل ولي الدين

الكبير و الصغير

الزحام في كل بقعة من الحديقة .. عائلات كثيرة افترشوا الأرض .. خلعوا الأحذية .. فردوا ورق الكوتشينة .. نشروا الأكل والفاكهة .. والضحك والصخب .. والصوت المرتفع .

بجانب قفص الخرتيت .. اختارت أسرة مكانها ، كانت قد جاءت متأخرة ، لم تجد مكاناً في الحدائق الكبيرة .. وجدت بقعة ظل قريبة من مكان الخرتيت .. أنزلت (**السَّبَت**) الكبير ، وأكياس الفاكهة ، والإبريق الكبير .. نشروا ملاءة ملونة ..

وجلست الزوجة ـ الأطفال ـ والعمة العجوز التي أصرت على أن تشاهد القردة قبل أن تجلس .. وذهب الزوج بكرشه الضخم ورأسه الصلعاء .. يكور نفسه في حلقات بطيئة .. ناحية الماء .. يملأ الإبريق .. زعقت الزوجة النحيفة في الخادمة الصغيرة ، عندما رأتها تواصل اللعب مع الأطفال .. ألم يكفها اللعب طول اليوم؟ سارت الخادمة القصيرة .. النحيفة .. وراء سيدها .. تحمل عنه الإبريق .

عندما عاد الزوج ، كانت الزوجة تقلب في (السبت) الكبير .. تفتح الورق الصغير المبلل بمياه الطرشي .. والورق الملوث بالزيت .. وتعد السميط .. وتبحث عن فتاحة العلب الضائعة .

وخلع الأولاد صنادلهم البلاستيك .. وجروا إلى اللعب ، وأشاروا للخادمة التي قامت في خجل وانكسار حتى ابتعدت عن العيون .

لعبت الخادمة مع الأطفال ، وخبطت الكرة وجه الولد الكبير ، فانفجر الأطفال في ضحك وسخرية .. ووقفت تضحك معهم .. بصوت مرتفع .

صرخت فيهم الزوجة عدة مرات .. وقت اللعب انتهى .. أقسمت إن قامت لهم .. لتشق الكرة نصفين .. الكرة التي تلهيهم عن الغداء .

جلس الأطفال في دائرة مع العمة العجوز .. تجلس منتظرة نصيبها من علب السردين المفتوحة .. تجلس على راحتها في ردائها الأسود .

يخلع الزوج قميصه .. ليظهر الكرش بوضوح .. في انتظار الوجبة التالية .. شخطت العمة العجوز في الأطفال الذين جلسوا ساعتين .. لم يبدأوا بعد الأكل .. خبطت أقربهم إليها في صدره .

ووزعت الزوجة الفاكهة التي أحضرتها .. كل حسب نصيبه .. أعطت الزوج نصيب الأسد .

ونظرت إلى الخادمة التي جلست بجانب أحد الأطفال .. تتكلم معها .. تداعبها في قدميها .. نهرتها عن العبث .. أعطتها رغيفاً وقطعة جبن وبعض الزيتون .. وجمعت فرط العنب وكومته فوق الرغيف .

ابتسمت الخادمة .. [illegible] لهم بطول البقاء كما تعودت أن تقول عند كل وجبة .. ورجعت تجلس بجانب الطفلة على الحشيش .. ولكن الزوجة سريعاً ما عادت إليها عصبيتها وشخطت في الطفلة أن تكمل غذائها .. وفي الخادمة أن تجلس هناك بعيداً .. في محاذاة قفص الخرتيت .

ونظر الأطفال في صمت .. وشرب الزوج من القلة .. وعدّلت العمة العجوز جلستها .. شدت الجلباب الأسود على رجلها .. تغطي نفسها .

جلست الخادمة الصغيرة ، تشاهد الخرتيت .. لم تكن تعرف اسمه .. حيوان ضخم مكتنز .. جلده أسود سميك .. أذناه على شكل نفير صغير .. تأملته وهو يأكل العشب بفك كبير في وجه غريب .. له قرن كبير ضخم .

ابتسمت وهي تراه يقترب منها .. لا يفصل بينهما إلا الحاجز .. فرحت وهي تشاهد شخيره .. وهو يعود بالهواء الذي تنفسه .

ذعرت الطفلة لمرأى الحمام الكثير الذي ينزل على الأرض .. بجانب الخرتيت .. ليبحث مثله عن غذاء .. قامت في ذعر ـ على الحاجز الحديدي ـ تحاول أن تنبه الحمام المسكين .. الذي يسير بهدوء بجانب أرجل الخرتيت الهائلة .

[illegible] في خوف وهلع .. أما الذي سيحدث للحمام الصغير .. بعد دقائق من الخوف .. عادت تجلس في مكانها .. تجلس على الحشيش الأخضر ، مقتربة جداً من قفص الخرتيت . تقطم العيش وتضع الزيتون في فمها تمتص طعمه الحادق .. الخرتيت يأكل مع الحمام .. يحاسب عليه .. ابتسامة تهل على وجهها .. وهي تتأمل الحيوان الكبير والطائر الصغير .. ضحك الأطفال مع الخادمة الصغيرة .. عندما جاءوا حولها .. وهي تشير لهم إلى الخرتيت الهائل يسير حوله .. حمام صغير .. يطير .. ويعود إلى الأرض .



قصة قصيرة

من قصص الخيال العلمي
ترجمها بتصرف : هشام أبو عودة

عيون من الكوكب البعيد

منذ بضعة شهور بدأت تصلنا بعض الرسائل الغريبة من السيد « رالف جونسون » من لاكروس بولاية وسكونسن ، وقد كان من الصعب قراءة هذه الرسائل ، حيث إن السيد جونسون قد كتبها بخط مضطرب ، فحسبنا أول الأمر أنها تصلنا من شخص مجنون ، فأهملناها ووضعناها في ملفات رسائل القراء . كان أمامنا أمور أكثر جدية وأبحاث أكثر خطورة من موضوع هذه الرسائل .

ولكن الحوادث التالية جعلتنا نعود مسرعين إلى ملفاتنا لنلقي نظرة جديدة على رسائل السيد **جونسون** ، لكي نجمع سلسلة الحوادث التي أوصلتنا إلى واحد من أكبر الاكتشافات في هذه الحقبة ، وجعلتنا نتعرف إلى واحد من أكبر التحديات التي تواجهنا على هذا الكوكب .

كان السيد **جونسون** يكتب لنا رسائل متقطعة ، فهو واحد من أقدم المشتركين في مجلتنا تلك ، كما سبق له اكتشاف مجموعة من الأجسام الطائرة المجهولة الهوية (**يوفو**) ، ولكن لسوء حظه ، كنا نعرف عنه كثرة المبالغة في وصفه لمشاهداته وكثيراً ما شط به الخيال ، ففي إحدى رسائله السابقة ، حدثنا عن مشاهدته **لرجال خضر جاءوا من النصف المظلم للقمر بدون رداء الفضاء المعروف .**

كانت رسائله لنا قليلة الفائدة .. ولكن أول رسالة غريبة تلقيناها من السيد **جونسون** وصلتنا في أواخر شهر أكتوبر (تشرين الأول) أخبرنا فيها عن الأهوال التي تحدث في مزرعته .. يقول في رسالته :

« في الليلة الماضية جلست على مقعدي الخشبي قرب بيتي في المزرعة لأراقب السماء كعادتي كل مساء .. فلفت انتباهي صوت قرض يأتي من الحظيرة ... جريت إلى الحظيرة وفتحت الباب .. كانت هناك آلاف من الفئران الكبيرة جداً والصغيرة .. نظرت إليها ، فنظرت إلي بدورها ، كان يبدو عليها أنها تريد أن تتحدث إلي .. ثم في لحظة واحدة .. استدارت وهربت بعيداً .. فهرولت إلى منزلي لإحضار البندقية ، ولما عدت لم أعثر لها على أثر » .

بعد عدة أيام تلقينا رسالة أخرى من السيد **جونسون** يقول فيها :

« أخذت هذه الفئران اللعينة الكثير من محصول الذرة .. والشعير .. يبدو أنها تنتظر حلول الليل وتنتظر ساعة نومي قبل أن تتسلل إلى الحظيرة .. أعرف أنها نفس الفئران التي كان لي شرف مقابلتها من قبل . أعرف أنها سوف تأكل كل محصول الذرة إذا لم أحصل على مساعدة للقضاء عليها ... » .

ــ في ٢٦ أكتوبر (تشرين الأول) .. وصلتنا رسالة ثالثة تقول :

« حاولت أن أبقى متيقظاً في الليلة الماضية ، شربت كثيراً من القهوة ، وأخذت غفوة بعد الظهر ، ولكن بحلول الواحدة بعد منتصف الليل ... بدأ النعاس يداعب جفوني ، فاستسلمت للنوم ... بعد ذلك استيقظت

فجأة ، فشاهدت الفئران تغزو محصول الـذرة ، فقـررت أن أضـع لهـا السم » .

ــ وفي ٢٨ أكتـوبر (تشريـن الأول) : « **لم تمس الفئران الـذرة المسمومة ، كما أن كل المصائد التي نصبتها انـطبقت دون أن تحتوي على أي فأر .. إن محصـول الـذرة يتناقص بسرعـة** ، لذلك وضعت أنواراً باهرة لإبعاد الفئران عن المحصول بعد فشل الـوسائل الأخرى . . » .

ــ أول نوفمبر (تشرين الثـاني) : « **إنهـا الآن في مـنزلي .. لقـد هاجمت مخزون البطاطا وقضت على معظمه** » .

ــ ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) : « إنني أسمعهـا تـزحف حـول البيـت عندما أكون في سريري . . **إنها تأتي إلى غرفة نـومي وتنصت مـن خلف الباب** . . تسللت من فراشي دون إحـداث أي صـوت ، ولـكنها سمعتني فهربت . اكتشفت أن الفئران الضخمة منها قد أتـت على معـظم مخزون الدقيق ، فأقفلت عليها باب مخـزن المؤن ولـكني اكتشـفت أنهـا **قرضت الباب الخشبي وهربت** » .

ــ ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) : « اعتدت الذهاب إلى المدينة المجـاورة كل يوم لأشتري الطعام . . إن رجال الشرطة الأغبياء لا يـريدون تصـديق روايتي . . لقد اختفى كل محصول الـذرة الآن وكل محصـول الشـعير وكل المواد الغذائية الجافة . . لهذا سوف تبحث الفئران عن مكان آخـر يـوجد به طعام . . لم أشاهد أي واحد منها خلال أيام » .

ــ ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) : « ها هي مرة أخـرى . . **إنـني أرى الفئران الضخمة القائدة للمجموعة ، يبلغ طول الواحد منها قدمين .. له رأس كبيرة .. أسمعهـا** تجـري في السـاحة . . أضـاءت مصباح الساحة الخارجي فتوقفت الفئران الضخمة أما كل الفئران الصغيرة فهربت خوفاً من الضوء . . **يبدو أن الفئران الضخمة تتحدث مع بعضها البعض** . . ثم استدارت وذهبت إلى حـال سبيلها . . **لا بـد أن هذه الفئران القائدة غزاة من الفضاء الخارجي من كوكب آخر غير كوكبنا ومن مجرة غير مجـرتنا جـاءت إلينـا بـواسطة الأطباق الطائرة** » . .

ــ ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) : « أول كرة ثلج كبيرة تتسـاقط خـلال هذا العام . . لقد امتلأت الطرقات بالثلج والطريق الوحيد الذي يوصلني بالمدينة سدّته الثلوج . . لقد حوصرت أنا وفئراني اللعينة » .

ــ ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) : « نفـد الـطعام كلـه في المنزل . . **أخذت الفئران تـأكل الأسـلاك الـكهربائية .. انقـطعت الكهرباء .. كما استطاعت الوصول إلى التلفون** . . لن أستطيع النوم هذه الليلة . . إنها سوف تهاجمني ولا شك . . **فـلا يـوجد طعام لها غيري** » .

ــ ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) : « **لقـد استطعت قتـل قـائد الفئران** . . فهو أكبر الفئران التي شاهدتها . . لقد وجدت ثمانية منهـا في قبو المنزل اجتمعت في شكل دائرة ليدفئ بعضها الآخر . . فوجئت بي . . بحلقت فيّ الفئران لمدة دقيقة كاملة فدار رأسي وأصابتني دوخة وقشعريرة وكدت أسقط أرضاً . . ولكن فتحت زجاجة من النشـادر كانـت بـالقرب مني . . فعدت إلى رشدي وتوقفت الفئران عن البحلقة بي فصفـا ذهـني مرة أخرى . . تمالكت نفسي **وأطلقت النار على ثلاثة مـن كبـارها فقتلتها في الحال** . . وهرب الباقون . . أخذت الفئران الميتة ووضـعتها في الثلاجة القريبة وأغلقتها بسـلسلة حـديدية . . دع رجـال الشرطـة



يكذبونني هذه المرة .. **فالدليل معي الآن** ».

وختم السيد **جونسون** رسالته بنداء حار : « **أرجوكم أن ترسلوا أحد مراسليكم إلى مزرعتي ليشاهد الفئران الثلاثة الضخمة** ».

وانتهت الرسالة .

لقد كانت مجرد صدفة أن أحد مراسلينا كان في طريق عودته إلى موطنه لقضاء عطلته مع ذويه .. كان هذا المراسل يستعد للذهاب إلى (**وينسوما**) بولاية **مينيسوتا** فاقترحنا عليه أن يقف عند مزرعة السيد **جونسون** لكي يتحرى هذه القصة الغريبة .. وبعد تردد وافق .

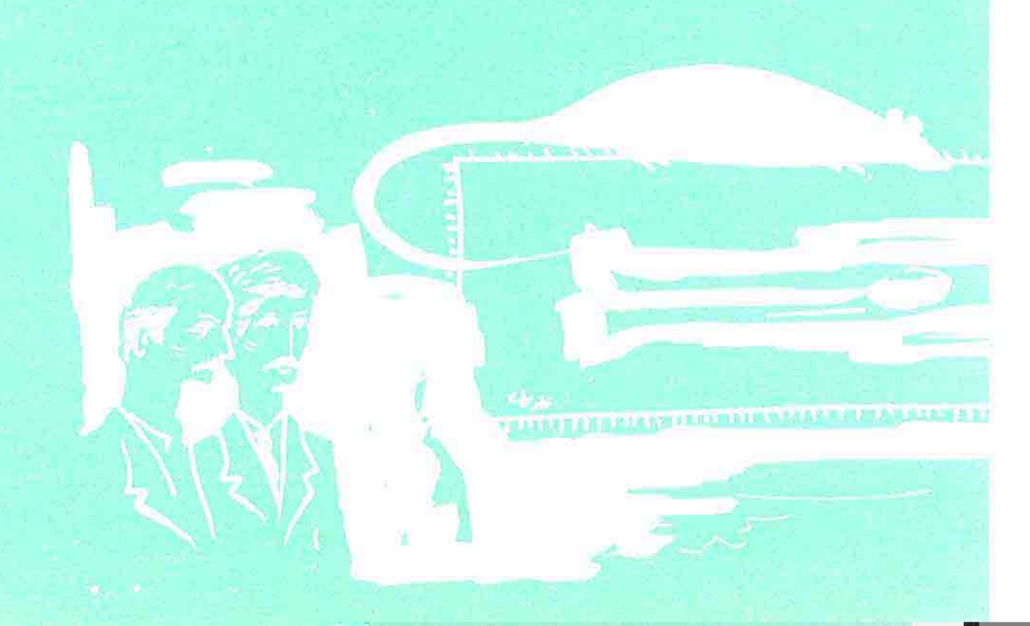
بعد نهاية إجازة مراسلنا أرسل لنا تقريره الذي يقطر رعباً وقال لنا إنه لن يعود هنا مرة أخرى .. دعونا نرى ماذا يقول مراسلنا في تقريره .

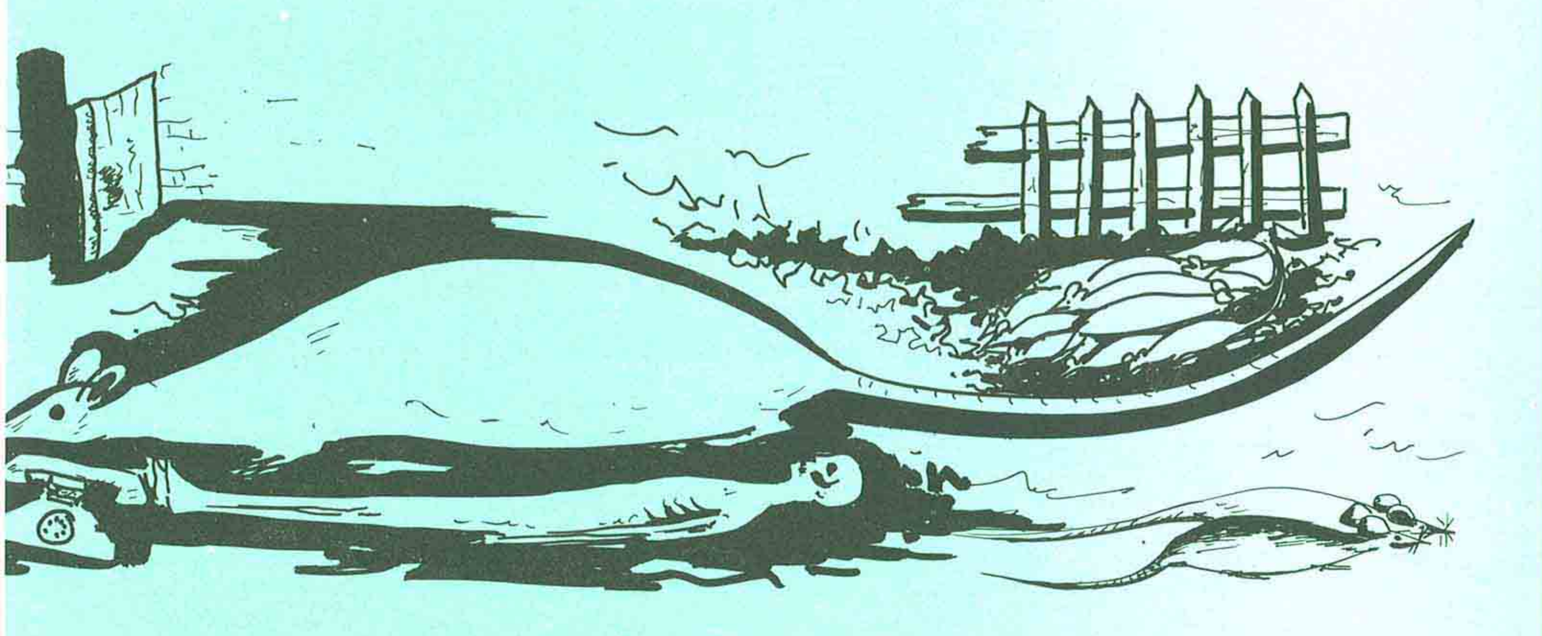
توقفت في « **لاكروس** » لكي أسأل عن الاتجاه إلى مزرعة السيد جونسون .. لقد أخذ مني ذلك بعض الوقت ، وفي النهاية وجدت مخزناً للأدوات الثقيلة التي يستخدمها مزارعو المنطقة .. أعطاني صاحب المخزن خريطة تحدد الاتجاه إلى المزرعة وقال لي إن الشخص المذكور اعتاد أن يشتري أدواته من مخزنه .. ولم يفتني أن أسأله عما يعتقده في السيد **جونسون ، فأخبرني أنه يعيش وحيداً فقد توفيت زوجته منذ بضعة أعوام ورحل أولاده الكبار إلى أماكن عملهم** ، ونادراً ما يتصلون بوالدهم العجوز .. وتبرع صاحب المخزن بالقول بأن السيد **جونسون قد أصيب بلوثة في عقله** .. ولقد سمع بقصة الفئران الضخمة .. وكانت دهشتي كبيرة عندما علمت أن السيد **جونسون** لم يأت إلى المدينة منذ هبوب العاصفة الثلجية .

توجهت بعد ذلك متبعاً الخريطة .. ما زال الثلج يتساقط .. وبعد عدة انعطافات وصلت إلى الممر الذي يتفرع إلى المزرعة من الطريق العام فوجئت بأن السيد **جونسون** لم ينظفه من الثلوج .. وهكذا أُجبرت على الوقوف بسيارتي والسير على قدمي بقية هذا الطريق .. خضت في الثلج حتى الركب .. وعندما وصلت البيت توقف قلبي لعدة ثوان **عندما شاهدته حطاماً مشتعلاً .. نصف البيت كان محترقاً خلال الأيام الماضية وما زال الدخان يتصاعد من الرماد المشتعل** .. كنت مشتتاً بين الرجوع إلى المدينة وبين إكمال التحقيق ، وتغلبت غريزة الصحفي على الرغبات الأخرى ، فتوجهت إلى البيت المتفحم .

كانت ساحة المنزل ساكنة سكوناً مميتاً .. تكوّم الثلج في كل الأرجاء وذاب جزء منه بفعل النار .. صرخت بأعلى صوتي .. على السيد **جونسون** ولم أتلق أي جواب .. استجمعت شجاعتي ونظرت من بقايا نافذة غرفة المعيشة .. وفجأة هوى قلبي حتى أحسست به يصل إلى أصابع قدمي الباردة .. من خلال الدخان استطعت رؤية جسد السيد **جونسون .. لقد انحشر تحت السقف المنهار وظهرت يداه الممتدتان تحت السقف** .. عندما سقط السقف يبدو أن الثلج المتساقط قد أوقف زحف النيران عن التهام بقية البيت الخشبي .

إن رؤية جسد محترق لمنظر مرعب لن تنساه ، وليته وقف عند هذا الحد ، إذ إنني سرعان ما اكتشفت أن الجسد قد حدثت له أشياء أخرى ، **إذ إن اللحم لم يكن موجوداً على الذراعين والرأس** ، كما أن الجمجمة تبتسم ابتسامة الموت **ومحجري العينين الفارغتين من عبوتها ما زالا يذرفان دموعاً من الدم الجاف** .. قفزت راجعاً عن الشباك نصف مجنون .. وبيأس جريت أعب في الثلج إلى سيارتي غير





مصدق أنني سوف أصل إليها .. وعدت بكل ما أسعفني وقود السيارة من سرعة حتى وصلت إلى أول محطة للوقود في الطريق إلى المدينة.

أخبرت صاحب المحطة بقصتي، فاتصل بالشرطة والمطافئ. وبينما كنت جالساً على مقعد قديم كانت أسناني تصطك من البرد والرعب .. وصل رجال الشرطة فجعلتهم يسبقونني إلى مسرح الكارثة لأعطيهم وقتاً كافياً لاكتشاف الجثة ولم يفتني أن أخبر مدير الشرطة عن سبب زيارتي للمزرعة وعما شاهدته عندما وصلت المزرعة .. **أخبرني المدير بأنهم لم يجدوا الجثة** فقدتهم إلى النافذة حيث وقفت وأجبرت نفسي على النظر من النافذة وكما قال لي **لم أجد الجثة**.

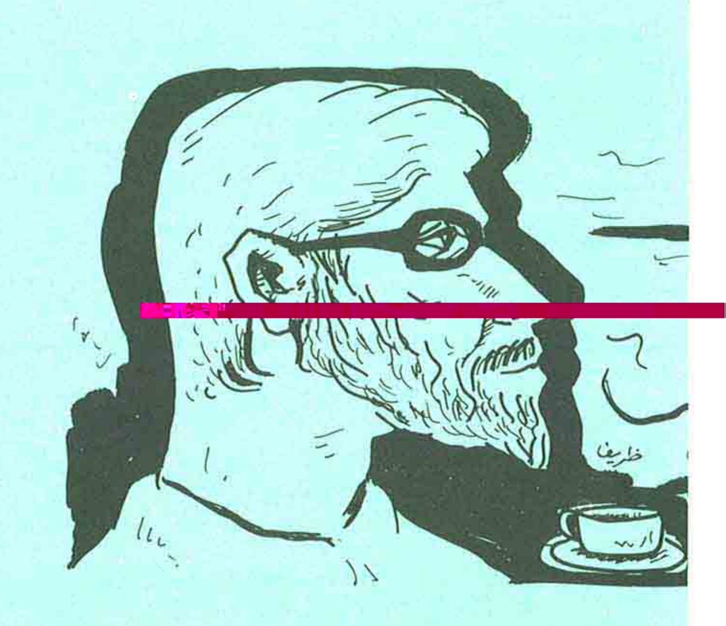
وبعد الانتهاء من إطفاء النار، دخلت الشرطة للبحث وسمحوا لي بالدخول معهم، وفتشوا الرماد المتبقي فوجدوا كثيراً من بقع الدم على أرضية الغرفة وفي المطبخ وعلى ممرات الأبواب، ثم استطاعوا التأكد من أنه كانت هناك جثة على السجادة في وقت ما من الأثر المطبوع على السجادة.

نظر إليّ رجال الشرطة بعيون مملوءة بالشك متسائلين عما إذا كنت قد نقلت الجسد .. وبدأت أصابع الاتهام الخفية تشير إليّ .. فأقسمت لهم بأني بريء كل البراءة .. وأصررت على البحث حول المزرعة **حتى وجدنا الجسد .. لقد سُحب بطريقة ما إلى الحظيرة**، وحتى رجال الشرطة لم يكونوا مهيئين لرؤية الجسد المخيف .. لقد كان **من الواضح أن حيوانات ما قد أكلت أجزاء من جسد السيد جونسون** .. لقد حفرت **ثقوب كبيرة في بطنه الخالية من الأجزاء الداخلية وما زال هيكله محتفظاً بقليل من اللحم.**

شك البوليس في الذئاب، ولكن آراءهم كانت متضاربة .. ولم أذكر لهم شيئاً عن آراء السيد **جونسون** بشأن الفئران الضخمة .. بحثت عن الثلاجة تحت السقف المحترق فوجدتها ما زالت مقفلة بالسلاسل التي كانت عليها آثار قرض ولكنها كانت قوية بحيث احتملت ذلك .. وبعد نصف ساعة كاملة استطاع واحد من رجال المطافئ نشر السلاسل .. **نعم كانت هناك ثلاثة فئران عملاقة المقاييس** .. بحلقنا في الجثث الثلاثة بدهشة ظاهرة .. ولكني على وجه الخصوص كنت مصعوقاً لأني أعرف كل القصة .. اقترحت على مدير الشرطة أن آخذ هذه المخلوقات إلى قسم البيولوجيا في جامعة الولاية .. فوافق، وسرعان ما تبعت سيارة الشرطة متجهين إلى الجامعة.

ذهل أستاذ البيولوجيا عندما شاهد الفئران الثلاثة .. ولم يتردد في أخذ واحد منها إلى المختبر لإجراء الاختبارات اللازمة. سألته عما إذا كان باستطاعتي البقاء معه أثناء عمله فوافق .. أخذت عملية التشريح ساعات طويلة .. فقام بقياس ووزن هذا المخلوق ثم قال بأنه **على الأقل أكبر بعشرين مرة في حجمه من أكبر فأر أو جرذ على وجه الكرة الأرضية شوهد من قبل** .. وأشار إلى السيقان القوية وإلى الرأس الضخم .. وتعجب من أن مثل هذا المخلوق يمكن أن يوجد على سطح الأرض ولم يشاهد من قبل .. وكان يأمل في الحصول على جائزة نتيجة هذا الاكتشاف العلمي الجديد .. وكان لي خوفي الصامت .. وعندما وصل إلى الجمجمة فتحها فوصل إلى المخ فصعق أستاذ البيولوجيا وقال:

«إنه متطور مثل مخ الإنسان .. لا شك أنه على درجة كبيرة من الذكاء».



لم تكن هناك أوتار صوتية في حنجرته ولكن توجد في المخ مناطق للاتصال وهذه بدورها متطورة جداً . . كما أن منطقة الشم متطورة هي الأخرى .

وبقي الأستاذ يتعجب باستمرار ويطلق صيحات الدهشة كلما اكتشف شيئاً وفي النهاية قال كلمته الفصل بأن **هذا المخلوق يعتبر متطوراً جداً جداً** . . وقطعنا هذه الاختبارات لتناول بعض القهوة . . ألححت على الأستاذ لكي يكشف لي المزيد مما وجده ولكنه كان متردداً . . والشيء الوحيد الذي كان متأكداً منه هو أن هذه الحيوانات قد طورت ذكاءها إلى المستوى الذي تصل به إلى مستوى ذكاء الإنسان ويبدو أن تطور أدمغتها قد جاء في فترة قصيرة وسريعة لأن أجسادها كانت ضعيفة بالنسبة لحجم الدماغ . ومثل هذا التغير في الفئران من شأنه أن يستغرق في المعتاد ملايين السنين ما لم تكن هناك معونة على الطريق لها . . **والسؤال الآن . . من أين تأتيهم المعونة ؟**

عدنا لاتمام الفحوصات . لاحظت ، وموجة من البرد قد سادت المختبر ، أننا نسينا الشباك مفتوحاً فأقفلت النافذة . . شهق الأستاذ عندما اكتشف العضو الذي يفرز « المسك » ، لقد كان كبيراً ومنتفخاً . . قال الأستاذ : « باستطاعة هذا العضو أن يفرز روائح عديدة ، كما أن باستطاعته أن يفرز « **الفريمونات** » ومثل هذه المواد ليس لها استعمال ضروري في هذا المخلوق إذ إنها تستعمل فقط عند التزاوج أو لإعطاء تحذيرات للوظائف الطبيعية الأخرى في جسد الفأر . . ولم أشاهد طوال حياتي مثل هذه الغدد المتضخمة » .

أثار انتباهنا أصوات صادرة من الغرفة المجاورة ، كان الأستاذ يخشى أن تكون بعض فئران المعمل قد هربت من أقفاصها وسرحت في الغرفة . . فذهب ليفتح الباب ولكني قذفت نفسي عليه وحلت بينه وبين الباب ،

لا أدري ما السبب ، قد يكون الخوف ، أو الحاسة السادسة . أخبرته أن يبلغ الشرطة في الحال ، وبدأ يدير قرص الهاتف ، فما كان مني إلا أن لففت جسد الفأر العملاق في عطفي . فالتفت إليّ الأستاذ قائلاً **إن الهاتف قد تعطل فجأة** . . طلبت منه أن يحضر معطفه لنغادر البناية في الحال . ولكن كان الوقت متأخراً ، لقد كانت البناية مهجورة تماماً .

وبحذر فتحت الباب وتلصصت بنظري إلى الصالة ، فتوقف قلبي لما شاهدته . . **آلاف مؤلفة من الفئران تأتي صاعدة على السلالم عبر الردهة . . في المقدمة فأر عملاق يقود جيوش الفئران . . رآني الفأر القائد فدس ساقه الخلفية إلى الوراء ورش مادة صفراء في الهواء فتوقفت طوابير الفئران من خلفه ، وبدأ الفأر القائد يمشي الهوينا في اتجاهنا ، كانت عيناه تبحلق فيّ باستمرار . . شعرت برأسي يدور** . . وبدأ الخدر يتسلل إلى جسدي المتثاقل . . جذبني الأستاذ إلى الداخل وأغلق الباب . . فتمالكت نفسي مرة أخرى . . **لقد حوصرنا** . . كان كلانا مصاباً بحالة هستيرية . . بحثت في أرجاء المعمل عن سلاح أستخدمه ضد هذه الفئران . . وبدأ الأستاذ يفلسف الوضع . . من المؤكد أن الفئران القائدة تسيطر على الفئران الصغيرة باستخدام « الفريمونات » التي تعتبر بمثابة أوامر صامتة . . يبدو أن الفئران قد طورت نوعاً من الاتصال الذهني أو السيطرة العقلية على الناس . . فمن شأنها التأثير على إنسان غير حذر بمنتهى البساطة .

لم يكن في المعمل أي سلاح فعّال ضد هذه الفئران القائدة والقطعان التابعة لها . . **تناهت إلينا الأصوات عن آلاف الأسنان الحادة وهي تقرض الباب الخشبي الفاصل بيننا وبينها** . . وهذا يعني أنها سوف تصبح قادرة على المرور خلال هذا الحاجز بعد لحظات قليلة . . أسرعت إلى النافذة ونظرت فعرفت أننا في الطابق الثالث والقفز من هذا الارتفاع قد يكون قاتلاً . . وفجأة قفز عليّ شيء ما وقد أطلق هذا الشيء صوتاً قصيراً حاداً يشبه الصرير . **وشعرت بأسنان حادة تنغرس في ذقني** . . أبعدت الفأر الصغير . وبدأت الفئران الأخرى تزحف على النافذة من الخارج فأقفلت النافذة بسرعة . . هوجمت أنا والأستاذ بعدد قليل من الفئران التي استطاعت التسلسل ولكننا بعد فترة قصيرة استطعنا القضاء على هذه **الغيلان الصغيرة** .

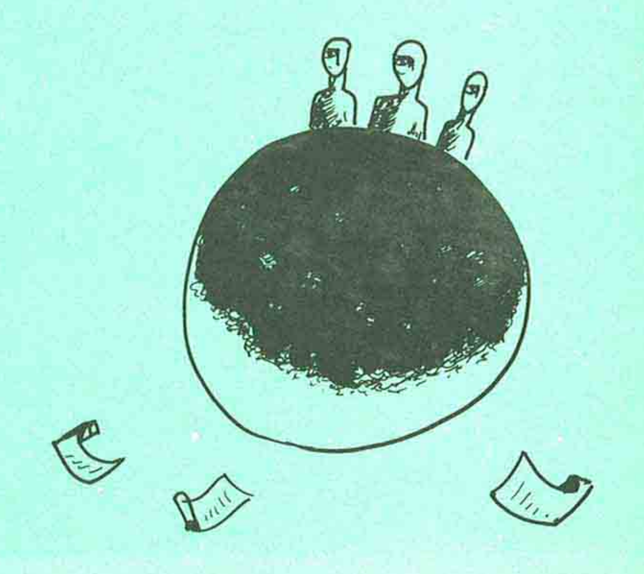
قمنا بنثر كمية قليلة من الإيثير تحت الباب فتراجعت الفئران للحظات ثم عادت بأعداد أكبر وبدأ الباب يبدي بعض الثقوب . . واستطعنا تبيان

عدد كبير منها يتزايد باستمرار خلف زجاج النافذة .. لحسن الحظ أنها لا تستطيع أن تقرض الشباك المعدني .. لاحظت هدوءاً عجيباً على الأستاذ .. وعندما نظرت إليه أصبت بالهلع .. إنه يبدو كالمأخوذ ، عيناه لا تبديان أي انفعال ، وسمعته يتمتم بصوت خفيض :

ـ نعم ، يجب أن نعيش .. إقرضوهم .. إقرضوا الذين يعرفون السر حتى الموت !

وبمنتهى الطاعة ذهب باتجاه الباب لفتحه ليسمح لفيضان الغزاة بالدخول . فعرقلته بقدمي قبل أن يصل إلى الباب ثم أزحته جانباً فعاد إلى صوابه للحظة قصيرة ، تمتم مرة أخرى : **إنني أستطيع أن أقرأ ما يدور في عقول هذه الفئران .. هذه الفئران ليست من عالمنا الأرضي لقد طورت وتطورت في كوكب آخر يدور حول شمس أخرى بعيدة عنا بملايين السنين الضوئية .. ثم أحضرتها إحدى سفنهم إلى كوكبنا هذا منذ قرن مضى ، فوجدت هذه الفئران نفسها في صراع مع الإنسان** ولأنها لا تستطيع استعمال أيديها كما نستعملها نحن ، فقد تطورت بيولوجيتها بشكل خرافي .. وتطورت غددها العطرية المحتوية على « الفريمونات » لتتحكم في الفئران الأخرى .. ولا شك أن الفريمونات ستتطور لتتحكم في الحيوانات الأخرى أيضاً .. إنها ما زالت قليلة العدد ، ولكنها تتزايد باستمرار وسرعان ما تتحكم في كل الفئران الموجودة في هذه البلاد ، ومن ثم فئران العالم بأسره .

بدأت الثقوب تتسع أكثر وأكثر .. وفي غضون دقائق قليلة سوف يصب الطوفان داخل الغرفة ليمزقنا إرباً إرباً قبل أن نكشف سرها للعالم بأسره .. وبما أن أعدادها ما زالت قليلة فإنها لن تمكن الإنسان من معرفة



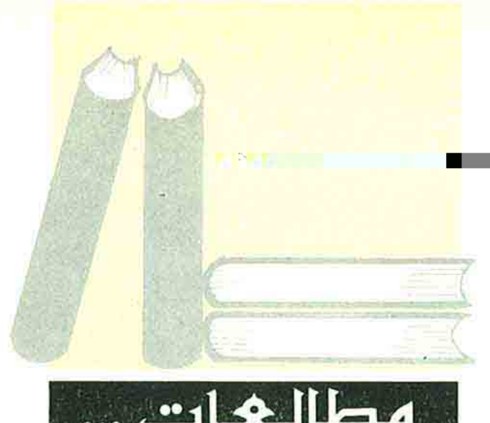
سرها حتى تتضخم أعدادها ولهذا فإنها ستقتل كل من يقوده حظه السيئ لمعرفة سرها .

لقد وجدت سلاحاً آخر .. طلبت من الأستاذ أن يجمع كل السوائل القابلة للاشتعال في معمله فأجابني بمنتهى السرعة .. صببنا كل السوائل في جردل كبير وطويت أنا بدوري صحيفة قديمة وغمستها في السائل ثم أشعلتها .. وعندما أشرت إليه صب الأستاذ بالسائل من تحت الباب ثم أشعلته بالجريدة ، فاشتعل الباب اشتعالا رهيباً . وتراجعت الفئران مرة أخرى .

من الواضح أن الفئران الأرضية الصغيرة ما زالت تخاف من النار **فالنار وحدها استطاعت أن تكسر طاعة هذه الفئران للفئران الفضائية** .. شعرنا بنوع من الأمان للحظات ، ولكننا نسينا لسوء الحظ أن النار ربما قتلتنا أيضاً .. تصاعد الدخان وتزايد في المعمل بشكل لا يطاق رغم المناديل التي وضعناها على أنوفنا وأفواهنا .. ولا يبدو هناك مخرج **غير القفز من النافذة التي ما زالت محروسة بعدد كبير من الفئران** .. قررت أخيراً أن **الموت بالقفز من الطابق الثالث أفضل كثيراً من الموت بأسنان الفئران الحادة أو حرقاً ..**
فتحت النافذة بقوة فدخلت الفئران دخولا غير منتظم ثم لوحت بالجريدة المشتعلة لأبعد الفئران عني .. وتراجعت لكي أسحب الأستاذ فوجدته قد جن جنونه . ومع أن مقبض الباب كان ساخناً إلى درجة الإحمرار فقد وضع يده عليه وفتح الباب واتجه إلى الساحة الخارجية وقد أمسكت النار بأكمامه حيث تنتظر الفئران القائدة وهو لا يدري أن أسنانها بانتظاره .

لم أستطع الانتظار حتى يحين دوري مع هذه الأسنان وبدلا من ذلك **اتجهت إلى النافذة وقفزت** .. وأعتمت الدنيا في عيناي **وصحوت لأجد نفسي في المستشفى .**

وقد علمت أنني **كنت في غيبوبة لعدة أيام وقد انكسر كاحلي** ووجدت شرطة المدينة الجامعية بانتظاري .. وعلمت أن كل البناية دمرتها الفئران تماماً وقد اكتشفوا جثة الأستاذ بين الحطام ولكنهم لم يجدوا أثراً للفئران الثلاثة .. أخبرت الشرطة بأن النار اشتعلت فجأة عندما كنا نقوم بتشريح الفأر وقد حوصرنا في المختبر وعندما حاول الأستاذ أن يهرب من خلال اللهب قفزت أنا من النافذة للنجاة بحياتي . صدّق رجال الشرطة روايتي .. إنني لا أستطيع إخبارهم بقصة الفئران وأنها من الفضاء الخارجي .. إنني أعلم تماماً أن هذه الفئران سرعان ما تتعقبني .. **ولهذا لن أعود إليكم لقد قضيت ليلتي الأخيرة في المستشفى بدون نوم مستمعاً إلى قرض هذه الفئران أسفل مبنى المستشفى . سأهرب إلى مكان مجهول ..حيث لا يعرف أحد عنواني .. سأهرب إلى حيث أجد الأمان والنوم .**



زودني صديقي الأفضل الدكتور علي محمد القاسمي بنسخة «المجاملة» من آخر، وليس أخير، ما نشر من مؤلفاته حول اللغة العربية. وقد ضمنه صرخات أخرى يعلو صداها وينتشر. وما هي إلا أنات من أناته المألوفة دفاعاً عن لغة القرآن الكريم، وتوجيهات مركزة تركيزاً علمياً، لعل المعنيين بالأمر يهتدون إلى بذل بعض الجهود وإعطاء شيء من الاهتمام للغة التي اختارها الباري عز وجل لتنزيل الذكر الحكيم، وهداية الضالين إلى الصراط المستقيم.

اتجاهات حديثة في تعليم اللغة العربية للناطقين باللغات الأخرى

بقلم: د. أحمد الوالي العلمي

وقبل أن أدعو القارئ الكريم إلى جولة في كتاب «اتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى» للدكتور علي محمد القاسمي، يودّي أن أنوّه **بعمادة شؤون المكتبات لجامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية** التي برهنت مرة أخرى، وهي ليست المرة الأخيرة، عن مساندتها للنهضة العربية الإسلامية، وتشجيع المفكرين الشباب من بني العروبة والإسلام، وذلك بنشر ما جدّ وتجدّد من بحوث قيمة عن لغة الدين والدنيا، ماضيها ومستقبلها، ولا أذكر الحاضر فإنه في الواقع المؤسف لا يلفت الأنظار، ولا يأخذ بلُبّ من بيدهم الحل وهم الذين إذا أمروا أطعنا وإذا سألوا أجبنا.

والمؤلف ليس بالغريب عن أسرة «**الفيصل**» ولا هو بحاجة إلى مزيد من الإشهار لمؤلفاته تتحدث عنه.

ورد الكتاب في (٢٧٧) صفحة من القطع الكبير، ويتحدث المؤلف في مقدمة كتابه مبرزاً القرائن التي انتهت به إلى تأليفه، حيث ذكر أن عمله هذا كان استجابة لما أنيط به من لدُن أستاذنا المحنّك **الدكتور محمود إسماعيل صيني، مدير معهد اللغة العربية لجامعة الرياض**، وهو معهد فنيّ أنشئ سنة ١٩٧٦م، ومهمته تعليم اللغة العربية للأجانب المقيمين بالمملكة العربية السعودية. يقول المؤلف: «**آمل أن يحقق هذا الكتاب ما رسم له من أهداف، علماً بأن الحاجة كبيرة وملحة لدراسات وتآليف وكتب كثيرة في حقل تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. واللغويون العرب مدعوون جميعاً لبذل مزيد من الجهد في هذا المضمار**».

اللغة ضرورة للفكر

إن طبيعة اللغة تعنينا جميعاً. فتعلُّم لغةٍ ما، أجنبية كانت أم قومية، ينبغي أن يستند إلى فهم صحيح لطبيعة اللغة. أما بالنسبة لدارسي

الإنسان ، فلا مندوحة لهم من الإلمام بطبيعة اللغة التي تميز البشر عن باقي الكائنات ، حتى قيل في تعريف الإنسان بأنه « **حيوان ناطق** » . وكيف يمكن إدراك طبيعة الإنسان من غير فهم عميق لميزته الأساسية !؟ ويعلم طلاب علم التاريخ والعلوم السياسية أن اللغة تلعب دوراً فعّالا في نشوء القوميات وتكوين الدُول (. . .) وهكذا كان الفهم لطبيعة اللغة يُعمِّق من فهمهم للمشكلات السياسية والعنصرية التي يجابهها المجتمع الدولي . ومن هنا ينطلق المؤلف إلى شروح مركزة حول طبيعة اللغة الباطنة والظاهرة ، حيث يفرق بينها بأن الأولى هي التي نُحسها في أعماقنا ولا يمكن فصلها عن الفكر ، وهي من اختصاصات **علم اللغة النفسي** ، بينما اللغة الظاهرة تتميز بالوظائف التي نؤديها في المجتمع بوصفها واسطة اتصال ، وتقع دراستها ضمن نطاق **علم اللغة الاجتماعي** .

وينتهي المؤلف إلى الاعتراف بأن المقصود من كتابه هو معالجة اللغة من حيث التركيب فقط ، أي ما تتكون منه اللغة كما تؤديه أعضاء النطق وينقله الأثير . ويبقى المؤلف في عموميات اللغات قبل أن يوجه عنايته للعربية بالذات ابتداء من الفصل الثاني . فها هو ذا **يفند بالحجة والبرهان العلمي الافتراض القائل بأن الكتابة هي أصل اللغة ، وما الكلام إلا تشويه أو تحريف لذلك الأصل** . كما ينفي اعتقاد البعض بأن **هناك رابطة طبيعية بين الكلمات ومسمياتها** وهو اعتقاد كثيراً ما يقع فيه أحاديو اللغة ، من الذين ينحصر اطلاعهم في لغتهم القومية فقط . . . !

ويزيد المؤلف في شروحه للافتراضات الوهمية مبيّناً أن الاختلاف في اللغات لا ينحصر في الألفاظ ، وأنه لا معنى للاعتقاد أن هناك لغات متطورة وأخرى بدائية ، أو لغات منطقية وأخرى غير منطقية ، أو لغات جميلة وأخرى قبيحة ، أو هذه صعبة وتلك سهلة . ثم يتحول إلى ذكر **خصائص اللغة العربية ويحصرها في خمس :**

(١) مكانة العربية بين اللغات العالمية

قسّم المؤلف الفصل الثاني من كتابه إلى ستة عناوين . فحول مشكل التفاهم الدولي يقول : « **إن من الأسباب الرئيسية لهذا المشكل ، عدم وجود لغة مشتركة واحدة ، في حين تطورت العلاقات الدولية بشكل يقتضي وجود وسيلة تفاهم مشتركة** » . ويقول : « **وإن كانت الترجمة تحقق بعض التفاهم المنشود ، إلا أنها عملية بطيئة ، وغير دقيقة ، لا يمكن اتخاذها حلاً ناجحاً لمشكلة الاتصال المباشر** » . فهل من الممكن أن يُحلّ مشكل التفاهم الدولي بإيجاد لغة عالمية مشتركة ؟ هل نخترع لغة اصطناعية ؟ أو نُيسِّر إحدى اللغات الطبيعية ؟ أو نتخذ لغة طبيعية عالمية ، ونُعمِّم تدريسها في جميع أنحاء المعمورة ؟ .



★ د. محمود إسماعيل صيني ★

وهنا يتطرق المؤلف إلى المحاولات التي أجراها الفلاسفة من قرون خلت قصد الاتفاق على لغة شاملة تكون ملكاً لبني الإنسان جميعاً ، بما في ذلك احتمال إيجاد لغة مصطنعة ، أو لغة مُبسَّطة ، أو غيرهما من اللغات الطبيعية التي عمل الناطقون بها على تعميمها ، وتوفقوا في توسيع حقلها إبان فترات معينة من الزمان . كما يشرح التدرج الذي أدى بهيئة الأمم المتحدة إلى الاعتراف باللغة العربية كإحدى لغات العمل سنة ١٩٧٣ م ، وعن مستقبل اللغة العربية كلغة عالمية يقول المؤلف : « نستطيع القول بأن العربية قادرة على تبوُّء المكانة الأولى بين اللغات حسب التكهُّنات المبنية على القرائن الآتية ، ويعدها في ثمانية ، أذكر بعضها حسب ما أراه متفقاً مع تطلعاتي الخاصة إلى التطور المبارك الذي تُبشر به النهضة العربية الإسلامية :

أ ـ **تحتل الأمة العربية موقعاً جغرافياً استراتيجياً لكونها ملتقى القارات الثلاث ، أوروبا ، وآسيا ، وإفريقيا .**

ب ـ **إن للأمة العربية إمكانات اقتصادية هائلة تمكنها من الهيمنة على نسبة كبيرة من مصادر الطاقة في العالم ، علاوة على إمكاناتها الزراعية .**

جـ ـ **في وسع الأمة العربية أن تسيطر على طرق التجارة العالمية من برية وبحرية وجوية .**

د ـ **إن للأمة العربية قدرة التأثير على الاقتصاد العالمي ومخططات البلدان النامية ، وذلك بتقديم المعونات الاقتصادية (والفنية ؟) بواسطة تأسيس عدد من المصارف المختصة ، وأهمها البنك الإسلامي في جدة ، وصندوق التنمية الكويتي والمؤسسات المصرفية العالمية . .**

وكعادته ، حسب ما قرأنا من مؤلفاته السالفة وتفحّصنا من بحوثه

الظرفية واستفدنا من مجالساته في نفس الموضوع ، يُفضِّل إثبات البرهان الملموس على كل افتراض مجرد . فها هو ذا يعود إلى الموضوع حيث يقول بشيء من المرارة : « في مدرسة إسلامية عربية بإحدى البلدان الإفريقية تستخدم أعداد من مجلة « **الكواكب** » (الفنية !) المصرية القديمة في تعليم قراءة العربية وكتابتها » . وليس الخبر كالعيان ، فهذا ما شاهده المؤلف في عين المكان ، ولسان حاله يقول : إن المواد الأساسية لتعليم العربية قليلة جداً أو معدومة بالمرة . ويزيد من تعقيد المشكل عدم توفر المعلمين المتخصصين في تدريس العربية ، من جهة ، ومن جهة أخرى تشبث المعلمين العرب وغير العرب بطرائق التعليم التي أكل الدهر عليها وشرب ، وفي مقدمتها طريقة الترجمة أو ما يسميه بعض اللغويين المنتصرين لها بـ « **طريقة الاستشراق** » .

إن في العالم اليوم أكثر من ثلاثة آلاف لغة ، ثمان منها فقط تتمتع بأهمية عالمية . ثم إن الأمة العربية مقبلة على نهضة علمية وأدبية يصبح معها الكتاب العربي مصدراً للعلوم والفنون والآداب ؛ إلى جانب الفعَّالية المحتومة التي تمارسها على الاقتصاد العالمي . فقد توفرت للأمة العربية أسباب النمو الاقتصادي والتطور السياسي ، وتجمَّعت للغتها إمكانات الانتشار . غير أن ذلك لا يضمن انتشار اللسان العربي في العالم ، ما لم تكن هناك إرادة قوية لنشره ، وما لم تتخذ الأمة العربية الإجراءات والخطوات اللازمة لتحقيق ذلك الهدف النبيل .

ويقترح المؤلف جملة هائلة من الإجراءات اللازم اتخاذها . ومنها : نشر التعليم ، ومحاربة الأمية ، **وتيسير الخط العربي** وتطويعه لمتطلبات الطباعة الحديثة ، وإتمام عملية تعريب التعليم ، وتشجيع التأليف والترجمة ، وحل مشكلة توزيع الكتاب العربي ، وتشجيع البحوث الخاصة بتعليم العربية لغير العرب (...) **وقيام الجامعات العربية بتنظيم الدورات الصيفية الخاصة بتعليم لغتنا لغير العرب** ، تعلماً مكثَّفاً ومركزاً (...) .

وينوِّه المؤلف **بجامعة تونس** التي تعطي المثال الحسي في تعليم اللغة العربية للأجانب ، حيث **ينظم معهد بورقيبة للغات الحية برامج سنوية مكثفة لمدة ستة أسابيع يستفيد منها السياح في فصل الصيف** . كما يُبدي المؤلف ارتياحه لكون **جامعة الرياض** هي الأخرى حققت خطوة مباركة في هذا المجال ، **حيث أصبحت تقدم برنامجاً سنوياً لتعليم العربية للأجانب المقيمين في المملكة العربية السعودية** .

ولم يفت المؤلف ، وهو ، منذ أن عرفته ثابت في غيرته على لغة أجدادنا وحضارة الإسلام ، أن يُعبِّر عن عاطفة الأخوة الصادقة نحو إخواننا المهاجرين في البلاد النائية التي لا تتكلم العربية ، ولا تدين بالإسلام . ويهيب بالسفارات العربية **أن تقوم بواجبها في إنشاء معاهد لتعليم اللغة العربية للعرب المهاجرين والأجانب الراغبين في ذلك** حيث إن « **معهداً لتعليم اللغة العربية يستطيع خدمة الأمة العربية من ناحية إعلامية أكثر من عشر سفارات مجتمعة** » (...) .

وينبغي على وزارات الخارجية في الدول العربية ، وعلى مؤسساتنا المالية والتجارية ، أن تكف عن استعمال اللغات الأجنبية ، وأن تبادر إلى استعمال العربية فقط في جميع مراسلاتها مع الخارج . و« نحن لا نفرض بذلك على المؤسسات الأجنبية أن تكتب لنا بالعربية ولكننا بشكل غير مباشر إلى استخدام من يعرف العربية » (...) .

فـي السنوات القلية الأخيرة ، أخذت العربية تتبوّأ مكانتها من جديد بوصفها لغة عالمية تدرَّس في الجامعات والمدارس المختلفة في أنحاء أوروبا وأميريكا . . . كما أخذت كثير من العواصم الغربية تصدر صحفاً باللغة العربية . ويذكر المؤلف ثلاث عواصم غربية مناوئة للإسلام ، متعمداً ولا شك إغفال كثير من العواصم التي ليست أوروبية ولا أميريكية شمالية ، وقد اشتهرت بإصدار دوريات ومجلات وصحف باللغة العربية .

ويلاحظ المؤلف أن استعمال العربية في الغرب لم يعد مقتصراً على الإذاعات المسموعة ، بل إن مرض القرن العشرين الميلادي ، أي **التلفزة** في عقر البيوت ، يساهم هو الآخر في إبراز العربية كلغة محتومة . لقد ثبت بالبرهان الملموس أن اللغة العربية قد استحقت منزلتها كلغة رسمية في هيئة الأمم المتحدة والمؤسسات التابعة لها ، الشيء الذي لم يخفف من حدة المشكل القائم في طريق اللغة العربية إلى الشعوب التي تتعشقها ولا تجد إليها إلا سبلاً مليئة بالأحجار والعقبات على المستويات الاجتماعية والثقافية والسياسية ؛ أفلا يجمل بنا أن نطرح المشكل على الصعيد الإنساني باعتبار الفرد المقبل على تعلُّم **لغة ثانية** كوحدة لا تتجزأ لها إمكانات وقابليات طبيعية تنمو وتتسع في فترات معينة من العمر؟ وهذه الفترات هي التي كانت ، ولا تزال موضوع خلاف ومناهضات بين علماء النفس والمربّين . فكل له نظرياته الخاصة في اعتبار فترة معينة من عمر الطفل دون غيرها صالحة لتقبُّل لغة ثانية . ويطرح المؤلف السؤال : **ما هي السن الملائمة لتعليم اللغات الأجنبية ، من هم الذين يجب أن يتعلموها ؟**

إن هناك اعتقاداً شائعاً عند علماء النفس بأن للأطفال موهبة كبيرة في تعلُّم الكلام ، واللغات الحية ، وقدرة ملحوظة على المحاكاة الصوتية لا يملكها الكبار . أفلا يتفق المخططون لمناهجنا التعليمية مع علماء النفس التربوي على ضرورة استغلال هذه المعطيات الطبيعية عند الصغار؟ إذن لأصبح من اليسير توحيد الطريقة التي يتم بها تعلُّم اللغة الأولى (اللغة الأم) واللغة الثانية ، وهي **الطريقة البيداغو نفسانية** التي تتسم بالبساطة والفعالية . إن لكل شيء ميعاداً ، وإن هناك وقتاً مناسباً لكل غرض ، وعلى رجال التعليم قبل غيرهم أن يعلموا أن ذلك ينطبق تماماً على عضو التفكير ، الخ ! . .

فالتطور الجسمي جعل المخ قابلاً لتعلُّم اللغة قبل الفترة المتراوحة بين العاشرة والرابعة عشرة؛ وبعدها يأخذ المخ في التصلُّب والبطء وقلة التقبُّل لكل ما ليس له نسق منهجي في تكييف عقل الأحداث النامية التي نريد منها أن تضيف إلى مستقبل الإنسانية إسهاماً في محاولتنا الأزلية نحو استفهام الطبيعة.

إن الاستشهادات التي ركز عليها المؤلف عند اختيار السن المبكرة لتعلُّم اللغات جديرة بأن يقف عندها، للتأمل، جميع مخططي المناهج التعليمية لا في العالم العربي فحسب، بل في العالم كله.

(١) من الخطاب العلمي الذي ألقاه **جراح الدماغ الكندي الشهير الأستاذ و. بنفيلد** أمام أكاديمية الآداب والعلوم الأمريكية سنة ١٩٥٣م، والذي أحدث ضجة في صفوف المربين، جاء فيه على الخصوص: «... إنني أعتقد بأن علينا أن نمكن أطفالنا من سماع اللغات الأجنبية منطوقة بشكل **جيد في سن مبكرة** (...) وإن السنوات الأولى من طفولة الإنسان مخصصة عادة لتعلُّم اللغة كوسيلة لمعرفة الحياة وإن للمخ البشري مرونة في ذلك الوقت (الطفولة الأولى) وقدرة خاصة على تعلُّم الكلام وهذه المرونة، وتلك القدرة سيضيعان بعد ذلك». ولم يظهر من بين جراحي الدماغ المرموقين من يُعارض نظرية الأستاذ «بنفيلد».

(٢) **في الولايات المتحدة الأمريكية** انتشرت حركة اللغات الأجنبية في المدارس الابتدائية منذ حوالي عشرين سنة، حتى أصبح اليوم أكثر من مليونين من الأطفال الصغار يتعلمون لغات أجنبية مختلفة في الصفوف الأولى من المدارس الابتدائية.

(٣) **وفي فرنسا** فُتح عام ١٩٦٤م، مئتان وثلاثون صفاً تجريبياً لتعليم الإنجليزية، وسبعون صفاً آخر لتعليم الألمانية لصغار الأطفال. والصفوف المماثلة في انتشار مستمر.

(٤) **وفي ألمانيا** حيث كان الصغار يتعلمون اللغات الأجنبية في سن العاشرة أو الحادية عشرة قبل سنة ١٩٦٤م، بدأ مشروع تجريبي في تلك السنة يهدف إلى تعليم اللغات الأجنبية في سن مبكرة.

(٥) **وفي الهند** حيث قامت الحكومة باستشارة **الأستاذ «بنفيلد»** في الموضوع سنة ١٩٥٩م، تقرر بناء على ما ذهب إليه هذا الأستاذ وسانده فيه جراح آخر للدماغ، أن فترة الدراسة الابتدائية هي المرحلة المناسبة لتعليم اللغة الأجنبية.

هذا بخصوص اللغات دون العربية. وبما أن الدول النامية أصبحت اليوم تأخذ من المدنية الغربية جوانبها الحسنة خاصة فيما يتعلق بالتكنولوجيا، لما أجدرنا أن نأخذ بالتطورات التربوية الصالحة في الغرب بما في ذلك تعليم اللغات الأجنبية في المدارس الابتدائية، حيث آمنت أرقى الدول الغربية بهذا المبدأ التربوي وعملت وما تزال تعمل على تحقيقه.

وإذا كان لا بد من إبداء رأيي الخاص في الموضوع، فأنا متفق مع المؤلف على مبدأ تعليم اللغات الأجنبية في مدارسنا الابتدائية، شريطة أن لا تكون لغات ناقلة للمواد العلمية (كما هو الحال في بعض الأقطار العربية) بل تدرس اللغات الأجنبية في حد ذاتها كأداة للتوصل إلى معرفة الشعوب الراقية في إطار تقريب الإنسان من أخيه الإنسان بواسطة اللسان، وكذلك لنعمل على نقل ما جد من آدابها وعلومها وتمهيد الطريق لنقل العلم والتكنولوجيا إلى اللغة العربية.

ويذهب المؤلف إلى ضرورة **المواكبة** بين تعليم اللغات الأجنبية لأبنائنا، وتعليم لغتنا للأجانب في نفس السن المبكرة، **لما لتعلم اللغات الأخرى من أهمية كبيرة في توسيع مدارك الأطفال، وتطوير شخصياتهم، وسهولة تعلمها بصورة أفضل في مثل هذه المرحلة، ولأن معرفة اللغات الأجنبية وسيلة من الوسائل الناجحة في نشر التفاهم الدولي والتعايش السلمي بين الأمم.**

ولتحقيق هذا الهدف النبيل علينا أن نهيِّئ المتطلبات الأساسية لنجاح هذه الخطوة التربوية ويلخصها المؤلف في نقطتين: إعداد المعلمين المؤهلين واختيار المنهج الملائم والطريقة المناسبة.

إعداد المعلمين المؤهلين

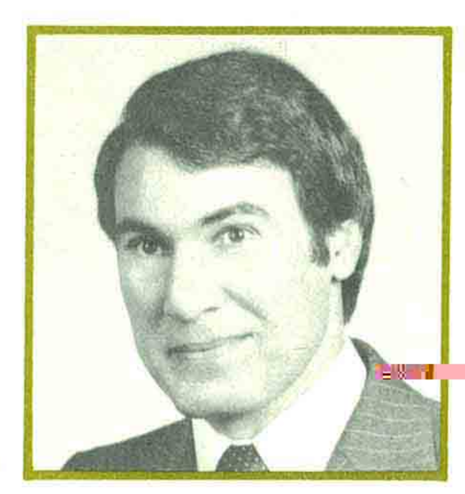
إن مشكلة عدم توفر مدرسي اللغة الأجنبية تواجه الكثير من الدول في مختلف مراحل التعليم، على حين تتوفر لهذه الدول عادة الأطر الكافية لتدريس اللغة القومية... ويجب تدريب معلمي اللغات الأجنبية تدريباً خاصاً يحتاج إلى جهد ودراية وكفاءة.

اختيار المنهج والطريقة المناسبة

إن معظم المناهج، وطرائق التدريس المتبعة حالياً في تعليم اللغات الأجنبية في مدارسنا، لا تصلح عند تعليم اللغات في سن مبكرة (...) فوجب إذن اختيار المنهج الملائم والطريقة المناسبة.

ويؤكد المؤلف على **التركيز على اللغة المنطوقة والمحادثة** (...) **وتجنب تدريس قواعد اللغة بوصفها موضوعاً مستقلاً** (...) **والإكثار من أوجه النشاط التي تستهوي الأطفال كالأغاني والأناشيد والألعاب والمسابقات** (...) ليكون تعليم وتعلُّم اللغات الأخرى خبرة ممتعة سارة للأحداث الصغار.

ويعود المؤلف في الفصل الموالي... لقضية إعداد مُدرِّسي اللغات الأجنبية لِيُركز هذه المرة على شخصية معلم اللغة الأجنبية فيطرح السؤال:
هل صحيح ما يشاع من أن المدرسين الأجانب أفضل من



★ د. علي القاسمي ★

المدرسين الوطنيين أي ـ بعبارة أخرى ـ **من الأجدر بتعليم لغة أجنبية للصغار، هل هو المتكلم بتلك اللغة، أو غيره ممن تعلمها كلغة ثانية؟** على أي حال فإن **المدرس «الوطني» لا يستطيع نطق اللغة الأجنبية كما ينطقها أهلها الأصليون مهما بلغ من الفصاحة واللياقة... ومهما أوتي المدرس «الوطني» من البلاغة فإنه لا يستطيع منافسة زميله الذي يدرس لغته الأم في عدد من المفردات والتعبيرات والاصطلاحات التي يتوفر عليها.**

وعن الطرائق المتبعة في تدريس اللغات الأجنبية يقول المؤلف: **إن أفضل الطرائق هي الطريقة المباشرة التي لا يستخدم فيها المدرس إلا اللغة الأجنبية (أي اللغة الهدف) سواء أكان ذلك في شرح معاني المفردات، والقواعد النحوية، أم في التحدث مع الطلاب وتوجيه التعليمات إليهم.**

وينطلق المؤلف في إعطاء شروح مفيدة تعضيداً لاختياره الطريقة المباشرة على أي طريقة سواها، فبعد وصفة لطريقة الترجمة (... الاستشراق في تعبير بعض اللغويين المناصرين لما ورثناه عن مستعمرينا السابقين) تلك الطريقة التي يقول عنها بأنها **زندقة ما بعدها زندقة**، فيقول في دفاعه عن اختياره للطريقة المباشرة: **إن أسلوب الترجمة مضيعة لوقت الطلاب... لأنه يعودهم على التفكير باللغة الوطنية (لغتهم الأم) ترجمة الفكرة إلى اللغة الأجنبية (اللغة الهدف).**

وبقية السؤال المطروح هي هل يحسن بالمعلم أن يلم بلغة المتعلم؟ في هذا الباب نجد المؤلف يقول: «... **ومن المؤكد أن المدرس الأجنبي** (الذي يدرِّس لغته لغير الناطقين بها) **هو الذي يستخدم الطريقة المباشرة لأنه لا يعرف لغة الطلاب... أما المدرس الوطني** (الذي يدرِّس لغة أخرى للناطقين بلغته!) **فكثيراً ما يستخدم لغة الطلاب** (لغته أيضاً!) **حينما يستعصي عليه التعبير أو التفسير باللغة الأجنبية** (اللغة الهدف)». وفي مكان آخر يقول: «... **على مدرس اللغة الأجنبية أن يلم بلغة الطلاب إلماماً يبصره بنظامها الصوتي والإعرابي والصرفي واللفظي ليكون قادراً على المقارنة والاستنتاج ومساعدة طلابه بصورة حقيقية فعالة**».

مواقف علم اللغة الحديث

لنا عودة ثانية مع المؤلف إلى معالجة تعلُّم اللغة الثانية من الوجهة النفسانية. وهذه المرة سنتغافل عن نفسية المتعلم ووجدانه لفائدة معطيات علم اللغة النفسي (علم النفس التطبيقي). فإذا **كان الطفل مجبراً** على تعلم لغة أمه بالاستماع فقط، لأنه لا يملك وسيلة أخرى للتعبير عن رغباته، فإن الطالب الذي يتعلم لغة ثانية (بمحض إرادته، أي أنه دون الحدث الصغير الذي يجبر على ذلك) يعلم علم اليقين أنه باستطاعته التفاهم بلغته القومية عند الضرورة، وإذن فأي حاجة له في الخضوع ولو بضع ساعات في الأسبوع فقط، إلى تتبع أسلوب غريب عنه يعتمد على التحليل والاختيار... فما هي إلا أصوات غريبة عن طبيعته اللغوية وألفاظ مستصعبة وقواعد (نحوية) شاذة... فمن قائل «ما لي ولهذا ما دمت قادراً على التعبير لأمي بحبي لها، وإعجابي بها، واعتمادي عليها، وباستطاعتي أيضاً أن أهدِّئ هيجان أبي الفياض باللغة التي ما تعبت قط في تملكها؟!».

إن سيكولوجية تعلم اللغات الأجنبية تختلف عن سيكولوجية تعليم اللغة الأم. فالطفل أكثر مرونة وتقبلاً لأن أعضاء نطقه لم تتعوّد بعد أداء الأصوات بصورة معينة كما هي الحال لدى طلاب اللغات الأجنبية. ومن ناحية أخرى يستمع الطفل إلى لغة الأم عدة شهور قبل أن يبدأ بالنطق... ثم يستعملها سنوات قبل أن يتعلم قواعدها... وبعد تحليلات ضافية لأقوال مشايخ علماء النفس والمربِّين في هذا المجال أعطى المؤلف نموذجاً للكتاب المدرسي لتعليم العربية لغير الناطقين بها، وحلّله من حيث المادتين، الأساسية والمساعدة، والوسيلة والخصائص، ومنه انتقل إلى المخبر، ثم الخريطة في تعليم العربية، فالتعليم الإذاعي، واستعمال العقل الإلكتروني في التربية، وتيسير الكتابة، وتطوير الطباعة العربية.

ونظراً لأهمية ما ورد في هذه الفصول من الكتاب وحرصاً منا على إعطائها الأهمية اللائقة بها بدلا من المرور عليها في عُجالة قد لا تفيها حقها، ولا تسري إلى عمقها، استأذن القراء الكرام في الوقوف عند هذا الحد من قراءتنا في كتاب آخر وليس الأخير من مؤلفات الدكتور علي محمد القاسمي. فإلى قراءة ملحقة متممة لقراءتنا هذه في كتاب اتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى.



صرفية



اسم الآلة :

اسم الآلة هو اسم مصوغ من مصدر ثلاثي ، لما وقع الفعل بواسطته . **ولاسم الآلة أوزان ثلاثة هي : (مفعال)** وأمثلته : (مِفْتاح ، مِنْشار ، مِقْراض) ؛ و **(مفعل)** وأمثلته : (مِبْرَد ، مِشْرَط ، مِخْلَب) ؛ و **(مفعلة)** وأمثلته : (مِكْنَسَة ، مِصْفَاة ، مِقْرَعَة) . وهذا هو القياس . وقد وردت ألفاظ خرجت عن هذا القياس من مثل : (مُنْخُل ، مُنْصُل ، مُكْحُلَة) بضمّ الميم والعين ، كما ورد جامداً على أوزان مختلفة منها : **(فعل)** مثل : (فأس) ؛ و **(فعول)** مثل : (قَدُوم) ، و **(فعيل)** مثل : (سِكِّين) .



الإبدال :

الإبدال هو جعل حرفٍ مكان حرف آخر . وله في العربية أشكال متنوعة ، منها :

قلب التاء دالا : فنلاحظ أن كلمات مثل : (دَعَا ـ زَحَمَ ـ ذَكَرَ) تبدأ بدال ، وزاي ، وذال ، فإذا ما جئنا منها بمشتق على وزن (افْتَعَلَ) لا ننطقها (ادتعى ، ازتحم ، اذتكر) ، ولكن ننطقها هكذا : (ادَّعى ، ازْدَحَمَ ، اذْدَكَرَ ـ ويجوز إدَّكَرَ اذَّكَرَ بتضعيف الذال والدال) .

قلب التاء طاء : ونلاحظ أن كلمات مثل : (ضَرَبَ ، صَحِبَ ، ظَلَمَ) تبدأ بضاد ، وصاد ، وظاء ، فإذا ما صُغْناها على وزن (افْتَعَلَ) لا ننطقها (اضْتَرَبَ ، اصْتَحَبَ ، اظْتَلَمَ) ، ولكن ننطقها هكذا : (اضْطَرَبَ ، اصْطَحَبَ ، اظْطَلَمَ ـ ويمكن أن يقال : اظَّلَمَ بتضعيف الظاء .

قلب الواو والياء تاء : نلاحظ أيضاً أننا لا ننطق الكلمات : (وَعَظَ ، وَصَلَ ، يَسَرَ) على هيئة : (اوْتَعَظَ ، اوْتَصَلَ ، ايْتَسَرَ) ، ولكننا ننطقها بالشكل الآتي : (اتَّعَظَ ، اتَّصَلَ ، اتَّسَرَ) بإبدال حرفي الواو والياء تاء . ومثل هذا يحدث في مصادر هذه الأفعال فلا نقول : (اوْتعَاظ) ، وإنما نقول : (اتِّعَاظ) .



التوكيد :

الماضي لا يؤكد مطلقاً بالنون ، أما **المضارع** فيجب توكيده في حالات ، ويجوز توكيده في حالات أخرى ، ويمتنع في غير ذلك . وأما **فعل الأمر** فيجوز توكيده بالنون . أما عن طريقة توكيد الأفعال فيُتَّبع ما يلي : .

بالنسبة **للفعل الصحيح** (مثل : ضَرَبَ) يؤكد كما يأتي : (أنتَ

تَضْرِبَنَّ ـ أنتِ تَضْرِبِنَّ ـ أنتما تَضْرِبَانِّ ـ أنتم تَضْرِبُنَّ ـ أنتن تَضْرِبْنَانِّ) ؛ وذلك بحذف ضمة الرفع أو نونها ، وفتح آخر الفعل المسند إلى ضمير المخاطب ، وكسره في المخاطبة ، وضمّه في حالة المخاطبين ، وكسر النون عند التثنية ، وإضافة ألف بين نون النسوة ونون التوكيد مع كسر النون الأخيرة في حالة الإسناد إلى ضمير المخاطبات .

أما بالنسبة **للفعل الناقص** فلذلك أشكال ثلاثة هي :

١ ـ **الناقص الواوي** .

٢ ـ **الناقص اليائي** ؛ ويُتَّبع فيهما ما اتُّبع في الفعل الصحيح ، ففعل مثل : (تَدْنُو) يُؤكد هكذا : (تَدْنُوَنَّ ـ تَدْنِنَّ ـ تَدْنُوَانِّ ـ تَدْنُنَّ ـ تَدْنُونانِّ) ، وفعل مثل : (تقضي) يؤكد على الشكل التالي : (تَقْضِيَنَّ ـ تَقْضِنَّ ـ تَقْضِيانِّ ـ تَقْضُنَّ ـ تَقْضِينَانِّ) ؛ مع ملاحظة حذف ياء المخاطبة وواو الجماعة لتفادي التقاء الساكنين .

٣ ـ **الناقص الألفي** ؛ ويتبع فيه أيضاً ما اتبع مع سابقيه ، غير أن الواو أو الياء التي أصلها الألفُ تبقى مع كسر ياء المخاطبة وضمّ واو الجماعة ؛ ففعل مثل : (تَرْضى) يؤكد هكذا : (تَرْضَيَنَّ ـ تَرْضَيِنَّ ـ تَرْضَيانِّ ـ تَرْضَوُنَّ ـ تَرْضَيْنانِّ) .



التثنية :

المثنى ما دل على اثنين أو اثنتين بزيادة ألف ونون في **حالة الرفع** ، وياء ونون في **حالتي النصب والجر** ، أما عن **الغرض من التثنية فهو الاختصار** ؛ فبدلا من قولك : (حضر محمد ومحمد) تقول : (حضر المحمدان) . وأما عن كيفية التثنية :

فالصحيح من الأسماء : يُثَنَّى دون تغيير فيه ، فيُقال : (المحمدان) (الفاطمتان) .

والمنقوص : تُرَد ياؤه إذا كانت محذوفة ، فيُقال : (قاضيان) (داعيان) (غازيان) عند تثنية : (قاض) (داع) (غاز) .

والمقصور : تُقلب ألفه ياء إذا كانت رابعة فصاعداً مثل : (مَسْعى) (مستشفى) وتُثَنَّى على (مسعيان) (مستشفيان) ؛ أو كانت ثالثة ومبدلة من الياء مثل : (فتى) وتُثَنى على (فتيان) ؛ وتقلب ألفه واواً إذا كانت ثالثة ومبدلة من الواو مثل : (عَصا) وتثنى على (عَصَوان) .

والممدود : إذا كانت همزته أصلية مثل : (إنشاء) يثنى على (إنشاءان) ؛ وإذا كانت منقلبة عن أصل مثل : (بناء) يثنى على (بناءان) أو (بناوان) ؛ وإذا كانت زائدة للتأنيث مثل : (صحراء) يثنى على (صحراوان) ؛ وإذا كانت مزيدة للإلحاق مثل : (علباء) فيثنى على (علباوان) .

وهناك **ألفاظ دالة على معنى التثنية** مثل : (زوج ، كلا ، كلتا ، اثنان ، اثنتان) وليست من المثنى لعدم وجود الزيادة فيها .



الجمع :

الجمع ما يدل على أكثر من اثنين أو اثنتين . **وللجمع وجوه منها** : **جمع المذكر السالم** ؛وهو ما يدل على أكثر من اثنين بزيادة واو ونون في حالة الرفع ، أو ياء ونون في حالتي النصب والجر . فالكلمات : (مؤمن ، ساه ، الأعلى) تُجمع على : (المؤمنون ، ساهُونَ ، الأعْلَوْنَ) . أما **جمع المؤنث السالم** فهو ما يدل على أكثر من اثنين بزيادة ألف وتاء . ويُجمع هذا الجمع كل ما خُتم بتاء التأنيث سواء كان علماً لمؤنث مثل : (فاطمة) ، أو لمذكر مثل : (طلحة) ، أو اسم جنس مثل : (ثمرة) ؛ وعلم المؤنث سواء كان فيه التاء مثل : (خالدة) أم لم تكن فيه مثل : (زينب) ؛ وصفة المذكر الذي لا يعقل مثل : (قصور شامخات) ؛ ومصغّر المذكر الذي لا يعقل مثل : (دُرَيْهم) ؛ وكل ما لحقته ألف التأنيث المقصورة مثل : (صحراء) .

ومن الجموع **جمع التكسير** ، وهو ما دل على أكثر من اثنين أو اثنتين بتغيير صورة مفرده . وله صورتان : **جموع قلة** مثل : (فِتْيَةٌ ، أَطْعِمَةٌ ، أَذْرُعٌ ، أَفْراسٌ) ، **وجموع كثرة** مثل : (قُضَاةٌ ، رُكَّعٌ ، حُرَّاسٌ ، أغْنِيَاءُ ، لُجَجٌ ، نِعَمٌ ، كِرامٌ ، قلوبٌ ، جواهرُ ، صَحَائفُ ، منازلُ) .

وهناك ما يسمى **باسم الجمع** وهو ما لا واحد له من لفظه مثل : (قَوْمٌ ، رَهْطٌ) ؛ **واسم الجنس الجمعي** وهو ما يدل على أكثر من اثنين ، ويفرق بينه وبين واحده غالباً بالتاء مثل : (كَلِمٌ ، كلمةٌ) أو بياء النسب مثل : (تُرْكٌ ، تُرْكِيٌّ) .



الحذف :

هناك مواضع يُراعى فيها الحذف . من هذه المواضع : **حذف همزة** (أَفْعَلَ) عند صوغ المضارع منها مثل الفعل : (أَحْسَنَ) فمضارعه (يُحْسِنُ) وأصله قبل الحذف (يُؤَحْسِنُ) ؛ ومنها : **حذف إحدى التاءين المفتوحتين في أول المضارع** مثل الفعل : (تَصَدَّى) وأصله قبل الحذف (تَتَصَدَّى) ؛ ومنها : **حذف فاء المهموز أو عينه** مثل الفعل : (خُذْ) وأصله قبل الحذف (أُؤْخُذْ) ، والفعل : (يَرى) وأصله قبل الحذف (يَرْأى) ؛ ومنها : **حذف فاء الفعل المثال الواوي** مثل الفعل : (يَعِدُ) وأصله قبل الحذف (يَوْعِدُ) ، والأمر منه (عِدْ) وأصله قبل الحذف (إوْعِدْ) ؛ ومنها : **حذف عين**

الأجوف مثل الفعل : (قُمْ) وأصله قبل الحذف (قُومْ) ؛ ومنها : **حذف لام الناقص** مثل الفعل : (أعْطِ) وأصله قبل الحذف (أعْطِي) ؛ ومنها : **حذف لام اسم الفاعل من المعتل الآخر** مثل : (قاضٍ) وأصله قبل الحذف (قاضيٌ) ؛ ومنها : **حذف ياء المنقوص عند جمعه جمع مذكر سالماً** مثل : (قاضُونَ) وأصله قبل الحذف (قاضيون) ؛ ومنها : **حذف ألف المقصور عند جمعه** مثل : (مُصْطَفَوْنَ) وأصله قبل الحذف (مُصْطفاوُن) .



الممدود :

هو كل اسم معرب آخره همزة قبلها ألف زائدة ، من شأنها أن تساعد على امتداد النطق بالألف ، وأمثلته : (إنشاء ، قُرَّاء ، صحراء ، ورقاء ، كساء ، بناء) . وإذا تأملنا الهمزة في أواخر مثل هذه الألفاظ رأيناها **مرة أصلية** كما في الاسمين : (إنشاء ، قراء) ؛ لأنها لام الكلمة فيهما ؛ فالفعل في كل : (أنشأ ، قرأ) ؛ **ومرة للتأنيث كما في الاسمين** : (صحراء ، ورقاء) ، **ومرة ثالثة منقلبة عن أصل** ، وهذا الأصل إما أن يكون واواً أو ياء كما في الاسمين : (كساء ، بناء) ، فالفعل في كل : (يكسو ، يبني) .



المذكر والمؤنث :

ينقسم الاسم إلى مذكر ومؤنث ؛ **فالمذكر** مثل قولنا : (رجل ، كتاب) ، أما **المؤنث** فمنه ما هو **حقيقي** مثل : (فاطمة ، هند) ، ومنه ما هو **مجازي** مثل : (شمس ، أذن) . ومن المؤنث ما هو **لفظي** ، وهو ما وُضع لمذكر وفيه علامة من علامات التأنيث مثل : (طلحة ــ حمزة ــ زكريا) ؛ ومنه ما هو **معنوي** ، وهو ما كان علماً لمؤنث وليس فيه علامة مثل : (مريم ــ هند ــ زينب) ؛ ومنه ما هو **لفظي ومعنوي** ، وهو ما كان علماً لمؤنث وفيه علامة مثل : (فاطمة ــ سَلْمَى) . ونظراً لأن المذكر هو الأصل لم يُحتج فيه إلى علامة ، بخلاف المؤنث الذي له علامتان هما : (التاء) في قولنا : (صائمة ، ظريفة) ، و (الألف) بنوعَيْها : المقصورة في قولنا : (حُبْلى ، بُشْرى) ، والممدود في قولنا : (حمراء ، عذراء) . وقيل إن الأصل في وضع التاء في الاسم يكون للفرق بين المذكر والمؤنث في الأوصاف المشتقة المشتركة بينهما ؛ فلا تدخل في الوصف المختص بالنساء مثل : (حائض ، عانس ، ثَيِّبٌ) . وقد لا تدخل التاء على أوزان معينة ، فالكلمات : (صَبُورٌ ، جَريحٌ ، مِهْذارٌ ، مِعْطِيرٌ ، مِغْشَمٌ) يستوي فيها المذكر والمؤنث ، ولذا لا تُزاد على وصف المؤنث بها تاء .



الترخيم :

الغرض من **تصغير الترخيم** حذف الزيادة التي تصلح للبقاء في تصغير غير الترخيم ، فيمكن أن نصغِّر الكلمات : (أحمد ، حامد ، محمد ، محمود ، حمدان ، حمود ، حمدون) تصغير ترخيم على : (حُمَيْد) على حين تختلف صيغها في تصغير غير الترخيم ، حيث تُصغَّر على الوجه الآتي : (أُحَيْمد ، حُوَيْمد ، مُحَيْمد ، مُحَيْميد ، حُمَيْدان ، حُمَيِّد ، حُمَيْدون) . ومثل ذلك كلمة (كُتَيِّبٌ) **فهي تصغير للكلمات** : (كاتب ، كتاب ، مكتوب ، مكتبة ، كتَّاب) وهي في غير الترخيم على الوجه التالي : (كُوَيْتب ، كُتَيِّب ، مُكَيْتيب ، مُكَيْتِبَةٌ ، كتَيْتيب أو كوَيْتبون) .



الزيادة :

تُطلق حروف الزيادة على كل ما زاد على أصل بنية الكلمة ، سواء كانت ثلاثية الوضع أو زائدة على الثلاثة في أصل وضعها مثل : (درهم ، جعفر ، سفرجل ، جحمرش) ، وسواء كانت الزيادة من تضعيف بعض حروف الكلمة الأصلية مثل : (قدَّم ، اخلولق) ، أو من حروف خاصة **اصطلح علماء الصرف على تسميتها حروف الزيادة ، وهي عشرة يجمعها قولهم : (سألتمونيها)** . **وقد جمعها ابن مالك أربع مرات** في بيت يقول :

هناء وتسليم ، تلا يوم أنسه
نهاية مسؤول ، أمان وتسهيل

ولكل زيادة على أصل الكلمة أثر فيها ، وهذا الأثر ليس مقصوراً على زيادة المعنى كما قال بعضهم : (زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى) ، بل قد يكون هذا الأثر تغييراً في العمل من حيث التعدي واللزوم ، كما قد يكون تغييراً في اللفظ دون أن يكون ذا صلة بالمعنى أو بالعمل . ومن أمثلة صيغ الزيادة (أفْعَلَ) التي قد تدل على التكثير أو الصيرورة أو الإعانة أو التعريض أو السلب أو بلوغ الشيء ووجدانه ، وصيغة (فَعَّلَ) التي قد تفيد **التكثير** ، أو صيغة (فاعَلَ) التي تفيد **المشاركة** ، وهكذا .



السالم :

السَّالِمُ من الأفعال **ما سلمت أصوله من أحرف العلة ،**

ومن الهمز والتضعيف مثل : (ضَرَبَ) . والاسم في ذلك كالفعل مثل : (شمس) . **والسالم من الأفعال أحد فروع الصحيح** منها ؛ **فالأفعال الصحيحة تنقسم إلى : سالم ومهموز ومضعف** . والسالم ما ذكر آنفاً ، والمهموز ما كان أحد أصوله همزة مثل : (أمر ، سأل ، بدأ) . أما المضعف من الأفعال ــ ويُقال له الأصمّ ــ فهو من **الثلاثي** ما كانت عينه ولامه من جنس واحد مثل : (مدّ) ، ومن **الرباعي** ما كانت فاؤه ولامه الأولى من جنس وعينه ولامه الثانية من جنس مثل : (زلزل) . أما عن كيفية إسناد الفعل السالم إلى الضمائر فلا يحدث أي تغيير فنقول في الفعل (ضَرَبَ) : (ضربتُ ، ضربتَ ، ضربتِ ، ضَرَبا ، ضَرَبْنا ، ضَرَبوا ، ضَرَبْنَ) .

ومثل ذلك يتبع في **الفعل المهموز** . أما **الفعل المضعف** فيختلف عن سابقيه في فك إدغام الفعل عن إسناده إلى ضمير الرفع المتحرك فنقول : (مَدَدْتُ ، مَدَدْتَ ، مَدَدْتِ ، مَدّا ، مَدَدْنا ، مَدُّوا ، مَدَدْنَ) .



المشتقات :

المشتقُ ما أُخذ من غيره ، **كاسم الفاعل واسم المفعول** وصيغ المبالغة . **فاسم الفاعل هو اسم مصوغ لما وقع منه الفعل ،** ويُصاغ من **الثلاثي** على وزن (فاعلٌ) مثل : (سامع) ، ومن **غيره** على وزن مضارعه بإبدال حرف المضارعة ميماً مضموماً وكسر ما قبل الآخر مثل : (مُنْذِر) . أما **اسم المفعول فهو اسم مصوغ من مصدر الفعل المبني للمجهول للدلالة على ما وقع عليه الفعل ،** ويصاغ من الثلاثي على وزن (مَفْعولٌ) مثل : (مَسْموعٌ) ، ومن غيره على وزن مضارعه بإبدال حرف المضارعة ميماً مضموماً وفتح ما قبل الآخر مثل : (مُنْذَر) . وقد يُحوّل اسم الفاعل عند قصد المبالغة إلى : (فعّال) مثل : (طعّان) ، (مِفعالٌ) مثل : (مِطْعانٌ) ، (فَعُولٌ) مثل : (حَسودٌ) ، (فَعيلٌ) مثل : (عليم) ، (فَعِلٌ) مثل : (حَذِرٌ) . وهذه الصيغ سماعية ، ولا تُبنى إلا من الثلاثي ، وندر بناؤها من غيره مثل قولهم : (مِعْطاءٌ) (نَذيرٌ) (بَشيرٌ) من الأفعال : (أعطى) (أنذر) (بشّر) .



التصغير :

التصغير معناه **التقليل** ؛ فبدلا من قولنا : (شجرة صغيرة) نقول : (شُجَيْرةٌ) . **وقد يكون التصغير للدلالة على حقارة المدلول ، أو لبيان قرب الزمان أو المكان** مثل : (قُبَيْل) ، أو للتمليح مثل : (وُلَيْدي) . أما عن كيفية التصغير : فالاسم **الثلاثي يُصغَّر** على وزن (فُعَيْل) مثل : (نُهَيْرٌ) ، **والرباعي** على وزن (فُعَيْعِلٌ) مثل : (مُنَيْزِلٌ) ، **والخماسي** الذي رابعه حرف لين على وزن (فُعَيْعيلٌ) مثل : (قُنَيْديلٌ) . أما ما ثانيه حرف علة مثل : (بابٌ ، فاضلٌ) فيصغر على (بُوَيْبٌ ، فُوَيْضلٌ) بردّ الحرف إلى أصله . وما ثالثه حرف علة مثل : (مطارٌ ، حَبيبٌ) فيصغر على (مُطَيِّرٌ ، حُبَيِّبٌ) . وبالنسبة للمؤنث الثلاثي مثل : (هِنْدٌ ، أُذُنٌ) فيصغر على (هُنَيْدةٌ ، أُذَيْنَةٌ) بإضافة تاء التأنيث للكلمة . وبالنسبة لمحذوف اللام أو الفاء مثل : (أبٌ ، عدَةٌ) فيصغر على (أُبَيٌّ ، وُعَيْدَةٌ) بردّ المحذوف . أما **تصغير الجمع بنوعيه** فإن جمع القلة يُصغَّر على لفظه ، فنصغِّر (أفْراسٌ) على (أُفَيْراسٌ) ، وجمع الكثرة بتصغير مفرده ثم جمعه ، فنصغِّر (جبالٌ) على (جُبَيْلاتٌ) . وإذا كان الاسم المراد تصغيره مركباً تركيباً إضافياً أو مزجياً مثل : (عبد الله ، سمرقند) يُصغَّر صدره فنقول : (عُبَيْدالله ، سُمَيْرقند) .



التضعيف :

من فوائد التضعيف : **التكثير** كما في الفعل (طوّف) ؛ أو **السلب والإزالة** كما في الفعل (قشّر) ؛ أو **التوجه إلى الشيء** كما في الفعل (شرّق) أي توجّه إلى الشرق ؛ أو **نسبة المفعول إلى ما اشتق منه الفعل** كما في (كذّب) أي نسبه إلى الكذب ؛ أو **الصيرورة** كما في الفعل (حَجّرَ) أي صار حجراً ؛ أو **الاختصار** كما في الفعل (سَبَّحَ) لاختصار قوله : ﴿ **سبحان الله** ﴾ والفعل (هَلَّلَ) اختصاراً لقوله : ﴿ **لا إله إلا الله** ﴾ أو **تعدية الفعل** مثل قوله تعالى : ﴿ **نزل عليك الكتاب بالحق** ﴾ . **وقد لا يكون للتصغير معنى زائد على الأصل** نحو قولنا : (قَطَّبَ وَجْهَهُ) بمعنى قَطَبَهُ .



المطاوعة :

ويُقصد بها دلالة أحد الفعلين على تأثير ، ودلالة الفعل الآخر على قبول فاعله لهذا التأثير ، بشرط أن يتلاقى الفعلان اشتقاقاً . والأوزان التي وردت من ذلك : **صيغة (انْفَعَل)** فتقول : (كسرتُ الزجاجَ فانكسر ، أطلقتُ الأسير فانطلق) ؛ **وصيغة (افعَلَلَ)** فتقول : (طمأنتُ علياً فاطمأنّ) ؛ **وصيغة (تَفَعْلَلَ)** فتقول : (دحرجتُ الكرة فتدحرجت) ؛ **وصيغة (أفعَلَ)** فتقول : (كَبَبْتُهُ على وجهه فأكبَّ) ؛ **وصيغة (تَفَعَّلَ)** فتقول : (قَدَّمْتُهُ فتقدَّم) ؛ **وصيغة (تَفاعَلَ)** فتقول : (ضاعفتُ الأجر فتضاعف) . ومطاوع الفعل المتعدي إلى مفعول واحد لازم كما نلاحظ ذلك فيما سبق من أمثلة ، **أما**

مطاوع الفعل المتعدي إلى مفعولين فيكون متعدياً إلى مفعول واحد مثل قولك : (ألبَسْتُهُ الثَّوْبَ فَلَبِسَهُ) .



الإعلال :

الإعلال هو **تغيير حرف العلة للتخفيف . وقد يكون بالقلب أو بالتسكين أو الحذف :**

فالإعلال بالقلب كما تقلب الألف واواً عند بناء الفعل للمجهول فتقول في : (شاهد) (شُوهِدَ) ؛ أو كما تقلب الياء واواً عند صوغ اسم الفاعل من الفعل : (أَيْقَنَ) فتقول : (مُوقِنٌ) ؛ أو كما تقلب الواو ياء عند تحويل الأفعال إلى أسماء من مادة الفعل نفسها ، فالاسم من : (يَسُودُ) (سَيِّدٌ) ؛ أو كما تقلب الواو والياء همزة عند اشتقاق اسم أو مصدر من الفعلين : (دَعا ، قَضَى) فتقول : (دعاء ، قضاء) ؛ أو كما تقلب الواو والياء ألفاً عند الإتيان بالماضي من الفعلين : (يَقُولُ ، يَمِيلُ) فتقول : (قال ، مَال) .

أما **الإعلال بالتسكين** والنقل فكما تأتي بالمضارع من الفعل : (قَامَ) فتقول : (تَقُومُ) وأصلها : (يَقْوُمُ) ؛ أو كما تأتي باسم المفعول من الفعل : (عَابَ) فتقول : مَعِيبٌ) وأصله : (مَعْيُوبٌ) .

وأما الإعلال بالحذف فكما يظهر عند إسناد فعل مثل : (رَأَى) إلى ضمير الغائب فتقول : (يَرى) وأصلها : (يَرْأى) ، أو فعل مثل : (وَعَدَ) فتقول : (يَعِدُ) وأصلها : (يَوْعِدُ) .



التفضيل :

اسم التفضيل هو اسم مصوغ على وزن (أَفْعَلُ) **للدلالة على اشتراك شيئين في صفة ، وزيادة أحدهما على الآخر في هذه الصفة . ولاسم التفضيل أربع حالات هي :**

أن يكون مجرداً من الألف واللام والإضافة ، وعندئذ يجب إفراده وتذكيره والإتيان بعده بالمفضل عليه مجروراً بمن مثل : (العلم أنفع من المال) . **وأن يكون محلى بأل فتجب مطابقته لموصوفه** ، ولا يؤتى بعده بالمفضل عليه مثل : (الولد الأكبر ذكي) ، (الدار الكبرى جميلة) ، (البقرات الكبريات هزيلات) .

أما إذا كان مضافاً إلى نكرة فيجب إفراده وتذكيره مثل : (الكتاب أفضل سمير) . **وإذا كان مضافاً إلى معرفة** فيجوز فيه المطابقة وعدمها فتقول : (عائشة أفضل النساء ، أو فضلاهن) ، (مكة والمدينة أشرف المدن ، أو أشرفا المدن) ، (العلماء العاملون أفضل الناس ، أو أفاضلهم) .



المقصور :

الاسم المقصور هو **كل اسم معرب آخره ألف لازمة** ، مثل : (السَّنا ، الثرى ، الحيا) . ومثل هذه الألفاظ لا تُنَوَّنُ ، وتثبت ألفها المقصورة في جميعها لفظاً وخطاً . أما في مثل : (عصا ، فتى ، ملهى) فتُنَوَّنُ ، وتحذف ألفها لفظاً لا خطاً في الرفع مثل قولنا : (جاء فتىً) والنصب مثل قولنا : (دخلت ملهىً) ، والجر مثل قولنا : (اتكأتُ على عصاً) ؛ حيث تُقَدَّر عليها الحركات الثلاث .



اسم المكان :

هو اسم يُصاغ **لدلالة على مكان** وقوع الفعل . ويُصاغ من **الفعل الثلاثي** على وزن (مَفْعَلٌ) إذا كان مضارعه مضموم العين أو مفتوحها مثل : (مَنْظَرٌ ، مَذْهَبٌ) من الفعلين : (يَنْظُرُ ، يَذْهَبُ) ، أو كان معتل اللام مثل : (مَسْعى ، مَرْمى) من الفعلين : (يَسْعى ، يَرْمي) . كما يكون على وزن (مَفعِلٌ) إذا كان مضارعه مكسور العين مثل : (مَنْزِلٌ) ، أو إذا كان الفعل مثالاً كما في : (مَوْعِدٌ ، مَيْسِرٌ) . أما **في غير الثلاثي** فإنه يُصاغ على هيئة اسم المفعول مثل : (مُكْرَمٌ ، مُنْطَلَقٌ ، مُسْتَخْرَجٌ) من الأفعال : (أكرَمَ ، انْطَلَقَ ، اسْتَخْرَجَ) .



اللفيف :

هو أحد أقسام الفعل المعتل ، وهو قسمان :

لفيف مفروق ؛ وهو ما كانت فاؤه ولامه من أحرف العلّة مثل الأفعال : (وَعَى ، وَفَى ، وَقَى) .

ولفيف مقرون ؛ وهو ما كانت عينه ولامه من أحرف العلة مثل الأفعال : (لَوَى ، رَوَى ، طوى) . والاسم في ذلك كالفعل ؛ فمن أمثلة القسم الأول : (وَحْيٌ ، وَعْيٌ) ، ومن أمثلة القسم الثاني : (جَوٌّ ، حَيٌّ) .



المصدر الميمي :

المصدر الميمي **مصدر مبدوء بميم زائدة في غير المفاعلة** ؛

فهي غير المصادر الدالة على المفاعلة مثل : (مشاركة ، معاونة) . **ويُصاغ المصدر الميمي على وزن (مفْعِل)** بكسر العين إذا كان الفعل ثلاثياً ، مثالا ، صحيح اللام ، محذوف الفاء في المضارع مثل : (موْعِدٌ ، موْقِعٌ) من الفعلين : (وَعَدَ ، وَقَعَ) . **ويُصاغ على وزن (مَفْعَل)** إذا كان الفعل ثلاثياً ، وليس صحيح اللام دائماً ، وليس محذوف الفاء في المضارع مثل : (مَرْكَبٌ ، مسْعىً) من الفعلين : (رَكِبَ ، سَعَى) . أما إذا كان الفعل غير ثلاثي فإنه يُصاغ على هيئة اسم المفعول مثل : (مُكْرَمٌ ، مُزْدَحَمٌ) من الفعلين : (أكرَمَ ، ازْدَحَمَ) . وقد تزاد على صيغة المصدر الميمي تاء في آخره مثل : (مَسَرَّةٌ ، مَوْعِظَةٌ) .



المنقوص :

المنقوص **كل اسم في آخره ياء لازمة قبلها كسرة** ؛ مثل : (القاضي ، الوادي ، الراعي) ، ومثل هذه الأسماء لا تُنَوَّنُ ، وياؤها ثابتة في جميعها لفظاً وخطاً . أما في مثل : (مُنادٍ ، باغٍ ، داعٍ) فتنون ، وتُحذف ياؤها لفظاً وخطاً في حالتي الرفع (مثل قولنا : نادى مُنادٍ) ، والجر (مثل قولنا : أصغيت إلى داعٍ) ، وتبقى في حالة النصب فتقول : (نصحتُ باغياً) .



اسم الهيئة :

مصدر **يدل على هيئة الفعل حين وقوعه** . ويُصاغ اسم الهيئة من **الفعل الثلاثي** على وزن (فِعْلَةٌ) بكسر الفاء ؛ فالكلمات : (مِشْيَةٌ ، جِلْسَةٌ ، نِظْرَةٌ) هي أسماء هيئة للأفعال : (مشى ، جلس ، نظر) . ولكن هناك بعض مصادر للأفعال الثلاثية على وزن (فِعْلَةٌ) أصلاً مثل : (خِبْرَةٌ) ، ولذلك يدل على الهيئة منه بالوصف أو بالإضافة فتقول : (خبرة واسعة) ، أو تقول : (خبرة الكهول) .



أوزان الفعل :

الفعل الثلاثي المجرد له ثلاثة أبواب باعتبار ماضيه هي : (**فَعَلَ** مثل : نَصَرَ) ، (**فَعِلَ** مثل : فرِحَ) ، (**فَعُلَ** مثل : كَرُمَ) .

أما باعتبار الماضي مع المضارع فله ستة أبواب هي :

(١) فَعَلَ ــ يَفْعَلُ ، ومثاله : فَتَحَ ــ يَفْتَحُ .
(٢) فَعَلَ ــ يَفْعُلُ ، ومثاله : نَصَرَ ــ يَنْصُرُ .
(٣) فَعَلَ ــ يَفْعِلُ ، ومثاله : ضَرَبَ ــ يَضْرِبُ .
(٤) فَعِلَ ــ يَفْعَلُ ، ومثاله : فرِحَ ــ يَفْرَحُ .
(٥) فَعِلَ ــ يَفْعِلُ ، ومثاله : حَسِبَ ــ يَحْسِبُ .
(٦) فَعُلَ ــ يَفْعُلُ ، ومثاله : كرُمَ ــ يَكْرُمُ .

أما الفعل الثلاثي المزيد فأوزانه هي :

(١) أفْعَلَ ومثاله : أكرَمَ .
(٢) فَعَّلَ ومثاله : كرَّمَ .
(٣) فَاعَلَ ومثاله : شَارَكَ .
(٤) انْفَعَلَ ومثاله : انْصَرَفَ .
(٥) افْتَعَلَ ومثاله : اشْتَمَلَ .
(٦) افْعَلَّ ومثاله : احْمَرَّ .
(٧) تَفَاعَلَ ومثاله : تَبَارى .
(٨) تَفَعَّلَ ومثاله : تَقَدَّمَ .
(٩) اسْتَفْعَلَ ومثاله : اسْتَعْلَمَ .
(١٠) افْعَوْعَلَ ومثاله : احْلَوْلَى .
(١١) افْعَوَّلَ ومثاله : اجْلَوَّذَ .
(١٢) افْعَالَّ ومثاله : اخْضَارَّ .

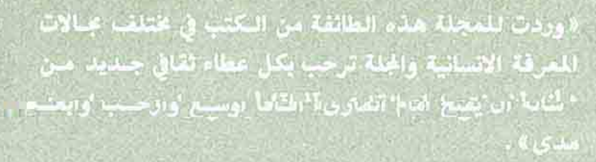
والرباعي المزيد له ثلاثة أوزان هي : (تَفَعْلَلَ ومثاله : تَبَعْثَرَ) ، (افْعَنْلَلَ ومثاله : افْرَنْقَعَ) ، (افْعَلَلَّ ومثاله : اطْمَأَنَّ) .



ياء النسب :

الغرض من النسب تحقيق الاختصار بجعل المنسوب من آل المنسوب إليه ، دون إطالة بذكر الصفة ؛ فبدلا من أن نقول : (علي من أهل مصر) نقول : (علي مصريٌّ) . كذلك يُستخدم النسب عند إرادة توضيح شيء أو تخصيصه ، أو نسبته إلى موطن أو طائفة أو علم أو عمل فتقول : (نحويٌّ) نسبة إلى العلم الخاص به ، وتقول : (جوهريٌّ) نسبة إلى صناعته ، وتقول : (فنيٌّ) نسبة إلى إحدى صفاته الظاهرة ، وهكذا . وعند إرادة النسب تُزاد على المنسوب إليه ياء مشددة مكسوراً ما قبلها ، وتلك هي القاعدة العامة . **وتعرف العربية أشكالا أخرى للنسب غير الياء** ؛ فقد يُصاغ الاسم على وزن : (فَعَّالٌ) مما يُراد النسب إليه ، وذلك في الحرف غالباً فتقول : (نَجَّارٌ ، حَدَّادٌ) بدلا من قولنا : (نجاريٌّ ، حِدَاديٌّ) . **وقد يُصاغ الاسم على وزن :** (فاعلٌ) أو وزن : (فَعِلٌ) مثل قولنا : (تامرٌ ، لابنٌ) أي صاحب تمر وصاحب لبن ، وقولنا : (طَعِمٌ ، لَبِسٌ) أي صاحب طعام ولباس .





من إصدارات نادي الطائف الأدبي

سوق الخميس

كتاب من تأليف **خليل إبراهيم الفزيع**، وهو عبارة عن شرائح مختلفة لنماذج من الحياة الاجتماعية. يقع في (١٠٧) صفحات من القطع الصغير.

دريد بن الصمة

كتاب من تأليف **مناحي ضاوي القثامي**، يتناول فيه حياة دريد وشعره وتأثيره في عصره وتأثر عصره به، بالإضافة إلى منزلته الشعرية. يقع في (٧٦) صفحة من الحجم المتوسط.

ألوان من الأدب

تأليف **شعبان جبريل عبد العال**، جمع فيه نماذج من المقالة والقصة والخواطر التي قام بنشرها في بعض الصحف والمجلات أو التي ألقاها في بعض المناسبات. يقع في (١١٧) صفحة من القطع المتوسط.

الشعر

كتاب يحوي بعض النماذج من الشعر السعودي الحديث من إعداد **علي حسن العبادي ومحمد المنصور الشقحا**، من بينها قصائد لكل من صاحب السمو الملكي الأمير **عبدالله الفيصل** والشاعر محمد علي السنوسي ومحمد ابن سعد بن حسين وغيرهم. يقع في (١٠٧) صفحات من القطع المتوسط.

الشاعر عبد الرحيم محمود

تأليف **نافع عبد الله**، يتناول فيه بالدراسة والبحث حياة الشاعر الفلسطيني عبد الرحيم محمود، ويحاول أن يلقي على شعره ضوءً ليبرزه في إطاره الحقيقي، وليسهل على القراء والدارسين الرجوع إليه. يقع الكتاب في (٢٢٤) صفحة من الحجم المتوسط. إصدار **مطابع صوت الخليج ــ الشارقة**.

دراسة في الحركة التعاونية

تأليف **أحمد البكاي**، يشرح فيه الخطوات الأولى لحركة التعاون التي شهدها المغرب منذ بدايتها حتى إعلان الحماية الفرنسية على المغرب سنة ١٩١٢ م، كما يوضح نشاط هذه الحركة بعد الاستقلال، بالإضافة إلى أنه يعالج تعاونيات الصناعة التقليدية والتحولات التي مرت بها. يقع في (٢٥٠) صفحة من القطع المتوسط. صدر عن **دار الكتاب ــ الدار البيضاء**.

الجد الأكبر منصور

رواية من تأليف الشيخ **محمد الراوي**، يستمد أسلوبه فيها من لغة الصدفيين وإشاراتهم العالية ويكون منها رؤية معاصرة لهذا العالم الذي يعايشنا ونجهله. تقع في (٧٩) صفحة، صدرت عن **دار العلم للطباعة** في سلسلة «**كتاب دار آتون**» ــ القاهرة.

السفر في الاتجاه المعاكس

ديوان للشاعر **إسماعيل عامود**، يضم مجموعة من القصائد الوجدانية والوطنية، من بينها: «أسافر في فجر الرماد»، و «التذكر والجدران المنهوكة»، و «وفصول المضايقات اللبقة». يقع في (٨٤) صفحة. طبع بالتعاون مع **اتحاد الكتَّاب العرب ــ دمشق ــ سورية**.

أوراق الدفلي

مجموعة قصص تأليف **عبد السلام العزيز**، ترسم واجهات عدة لنماذج من الألم والحرمان والضياع. تقع هذه المجموعة في (٨٤) صفحة. إصدار **دار الكتاب ــ الدار البيضاء**.

في موكب الأبطال

ديوان للشاعر **علي حسين عويضة**، يضم نماذج مختلفة من القصائد التي قيلت في مناسبات متنوعة. من هذه القصائد: «من أجل الجهاد»، و «نشيد النصر»، و «عش يا لواء الأمن». يقع في (١٥٢) صفحة من القطع الصغير. إصدار **دار الزايدي للطباعة والنشر**.

تاريخ طرابلس

تأليف **عمر عبد السلام تدمري** «الجزء الأول» يتناول فيه تاريخ المدينة من النواحي السياسية والنضالية والحضارية منذ الفتح العربي في عهد الخليفة **عثمان** حتى تحريرها من الصليبيين على يد السلطان المنصور قلاوون. والكتاب يضم تسعة فصول توضح الأطوار المختلفة التي مرت به هذه المدينة. يقع في (٥٠٠) صفحة. صادر عن **دار البلاد ــ طرابلس ــ لبنان**.

الحقيقة والواقع

كتاب يتساءل فيه مؤلفه **أحمد الهاملي** عن الإنسانية في هذا العصر: هل هي سائرة في طريق الخير أم العكس من ذلك؟ بغض النظر عما وصل إليه الإنسان من تقدم علمي في مختلف مجالات الحياة، وبغض النظر عن كل أنواع الدعايات والتضليل والتعمية. يقع في (٢٣١) صفحة من القطع الصغير. إصدار **مكتبة الجيل الجديد ــ صنعاء**.

المرايا

ديوان للشاعر الفلسطيني **محمود مفلح**، في قصائده صور من مأساة وطنه ومواطنيه، وفي أبياته حنين إلى ذلك الوطن السليب «**فلسطين**»، بالإضافة إلى مجموعة من التأملات وفيض الشعور. يقع في (٧٢) صفحة من القطع الصغير. صدر عن **مؤسسة الرسالة ــ بيروت**.

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



السؤال الأول :

أين توجد هذه المتاحف ؟

متحف توب كابي ـ متحف قصر العظم ـ متحف الانطباعيين ـ متحف الفنون الإسلامية ـ متحف متروبوليتان للفن .

السؤال الثاني :

ما أصل قصص كليلة ودمنة ؟

السؤال الثالث :

لماذا تمنح شهادة «براءة الاختراع» ؟

السؤال الرابع :

هذه ألقاب أطلقت على بعض شعراء العرب المعاصرين . . ما الاسم الحقيقي لكل واحد منهم :

بدوي الجبل ـ الأخطل الصغير (ولد في لبنان عام ١٨٨٤ م) ـ الشاعر القروي .

السؤال الخامس :

هي عمة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام . . أسلمت قبل الهجرة ، ثم هاجرت إلى المدينة . . نزلت المعركة وبيدها رمح تقاتل به . . أمر النبي الكريم الزبير أن ينحيها حتى لا ترى أخاها حمزة رضي الله عنه مقتولا ، لكنها زجرت الزبير وأقبلت على أخيها حمزة . . قالت الشعر . . وماتت بالمدينة . . ما اسمها ؟



الاسم : ------------------------------------

المهنة : ------------------------------------

العنوان : ------------------------------------

● نتائج مسابقة العدد (٤٨) ●

● فاز بالجائزة الأولى وقيمتها (٢٠٠٠) ألفي ريال سعودي الأخ محمد سحاذة عباس، ثانوية صيدا الرسمية للبنين، التعمير، صيدا ــ لبنان.

● وفاز بالجائزة الثانية وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخ الطيب بالقاضي (2) نهج الرياضات عمارة ف العناصر ــ الجزائر العاصمة.

● وفازت بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخت مها جمال البيروتي، دمشق ــ سورية.

وهناك سبع جوائز قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة الآتية أسماؤهم:

● الأخ بلحسن قناوة، شارع الدكتور كنهت، عدد ٣٤ ميتوال فيل ــ تونس.

● الأخ عبد الرحمن صالح إبراهيم العبد اللطيف، المكتبة العامة/ الجامعة الإسلامية ــ المدينة المنورة.

● الأخ فارس عبد الواحد بن بريك، (73) فندق الحمراء باب فتوح، فاس ــ المغرب.

● الأخ زايد صالح سعيد، مدرسة دير أبي سعيد الثانوية للبنين، اربد ــ الأردن.

● الأخ عمر حسن آدم أبوقرين، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية/ جامعة الخرطوم، الخرطوم ــ السودان.

● الأخ الهواري الحسن، كلية أصول الدين ص. ب (95) تطوان ــ المغرب.

● الأخ إبراهيم عبد الحميد عقيل، ص. ب ٤٨٦٤، الدمام ــ المملكة العربية السعودية.

بالإضافة إلى عشر جوائز قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتي ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● الأخ عبد القادر أحمد عمرة، بعلبك، معسكر الجليل، مدرسة القسطل ــ لبنان.

● الأخ إبراهيم فضل السيد، حي المعاهد، مدرسة المأمون، جوار معهد النور ــ الرياض.

● الأخ مدحت حافظ إبراهيم، إدارة قضايا الحكومة، فرع بور سعيد ببور فؤاد ــ مصر.

● الأخ عماد محمد كامل خشان، بعلبك، بواسطة السيد أبو خالد مكية ــ لبنان.

● الأخت جيهان أحمد حمودة، دمشق ــ سورية.

● الأخت ليلى البوليفي، صفاقس ــ تونس.

● الأخت فتحية حسن طاهر، طنطا ــ مصر.

● الأخ عطا سعود عبد الرزاق، جامعة حلب، كلية الطب البيطري، حلب ــ سورية.

● الأخ درويش محمد بن أحمد، (22)، نهج قديد صالح، قسطنينة ــ الجزائر.

● الأخ يوسف جابر عبد الرضا، محافظة البصرة، عشار، سوق موسى عطية، دكان جابر عبد الرضا ــ العراق.

● أجوبة مسابقة العدد (٤٨) ●

ج ١ الفرق لغوياً بين: برهة، برقة، برشم.
برهة: قطعة من الزمان طويلة أو كل قطعة منه، **البرقة:** الدهشة والخوف، **البرشم:** البرقع.

ج ٢ **البوشمن** يعيشون في **صحراء كلهاري في جنوب إفريقيا**، وقد تحدث عنهم باحثان هما: **بول رادين، وبيتر ميردوك**.

ج ٣ **جند** إحدى المدن اليمنية تبعد عن شمال شرقي تعز ١٥ كم، واشتهرت بجامعها الكبير، اختطه سنة ٩ هـ، الصحابي الجليل **معاذ بن جبل** عندما أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم والياً على اليمن.

ج ٤ **القاضي أبو يوسف** مات أبوه وهو صغير فقير.. عكف على دروس شيخه **أبي حنيفة** حتى نبغ وصار في منصب قاضي القضاة وله **كتاب الخراج**.

ج ٥ خمسة كتب صدرت في أزمان متلاحقة بعنوان **«تاريخ الأدب العربي»** لكل من: **مصطفى صادق الرافعي، أحمد حسن الزيات، محمد هاشم عطية، كارل نللينو وعمر فروخ**.

ج ٦ من المصطلحات في مجال السفن العربية قولهم: **شحنت السفينة** شحناً، وجنحت جنوحاً إذا انتهت في الماء القليل أو تركت مقصدها. **وماهت:** دخل الماء فيها.

ج ٧ يُعد الكتاب الصيني للتراتيب من أقدم المؤلفات في علم الأعداد فقد ألف سنة ١١٠٠ ق. م. وقسم الأعداد الصحيحة إلى فردية: ١ ــ ٣ إلخ، وزوجية ٢ ــ ٤ إلخ.

ج ٨ الفرق اللغوي بين:
سام السلعة: عرضها وذكر ثمنها، **سام الماشية:** أخرجها للمرعى، سام الأمر: كلفه إياه.

ج ٩ المقصود **بحاجز الحرارة** في مجال الملاحة الجوية هو حدٌ لا تتجاوزه سرعة الطائرات بسبب الحرارة الشديدة الناتجة عن احتكاك الهواء بسطح الطائرة.

ج ١٠ **ابن قزمان** سموه أمير الزجل الأندلسي، توفي سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) واقتبست الأغاني القشتالية كثيراً من مقطوعاته وأزجاله.

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

ALAWI TAHA ALSAFI
Editor-in-Cheif

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4653026-4653027
TELEX 202600 DRFATH SJ



EUROPE – AMERICA – ASIA

Belgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
France	FF	15
F.R.G.	DM	10
Greece	DR	100
Italy	L	4000
Netherlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Sweden	SKR	30
Switzerland	SF	15
United Kingdom	£	2
U.S.A.	$	5

● **أسعار الاشتراكات السنوية :**

للأفـــراد ١٥٠ ريالا سعودياً
لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150
Others : S.R.250
PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ



أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات
الكويت	٦٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٧ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة
الأردن	٤٠٠ فلس
ج . ع . اليمنية	٦ ريالات
ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس
مصر	٣٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دنانير
العراق	٤٠٠ فلس
سورية	٥ ليرات
لبنان	٥ ليرات
ليبيا	٨٠٠ درهم

شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، العمارية ، الرياض